المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

من المسرح العالمي

الطبعة الثانية

نيكراسوف

جان بول سارتر

العدد التاسع

مايو 2009

تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

إهـــــــداء ٢٠١٣
المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب ــ الكويت
الكويت



نيكراسوف

مسرحية

تأليف:

جان بول سارتر

ترجمة :

د. عبدالقادر التلسماني

مراجعة:

د. رضا الجمل

الطبعة الثانية ٢٠٠٩

من

المسرح العالمي

تصدر كل شهرين عن
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
دولة الكويت

almasrahalaalami@yahoo.com

almasrahalaalami@gmail.com

www.kuwaitculture.org

نيكراسوف

تأليف: جان بول سارتر
ترجمة : د. عبدالقادر التلسماني
مراجعة: د. رضا الجمل

طبعة الثانية ٢٠٠٩ / الطبعة الأولى ١٩٨٩
دولة الكويت

ISBN: 978 - 99906 - 0 - 271 - 5

رقم الإيداع: (٢٠٠٩/٠١٦)

نيكراسوف

جان بول سارتر

الفهرس

* * *



تقديم

سارتر.. والدراما الوجودية

بقلم: د. سيد الإمام

يعنى بعض النقاد بإجراء يرونه مهما - إن لم يكن رئيسيا - في تناولهم للعمل الفني، إذ يركزون على العمل في ذاته، على نحو يعزله عن أي مرجع يمكن أن يندمج فيه من خارجه، سواء أكان من السياق التاريخي بما فيه من أوضاع اجتماعية/اقتصادية/سياسية، أو من تطور الحياة الخاصة بالمبدع، أو من المعطيات الثقافية التي تتشكل في أفق الوعي العام، وبهذا العزل يؤكدون مقولة الموضوعية التي تمنح العمل الفني استقلاله الذاتي واكتماله الداخلي، مما يبرر - من ناحية أخرى - استغراقهم في عناصره تحليلا وكشفا عما بينها من علاقات التماثل والتشابه أو الاختلاف والمغايرة، على نحو يترابط في بناء الأثر الكلي. غير أن هذا المنحى - في تقديري على الأقل - لا يعد مقاربة مجدية في تناول أعمال جان بول سارتر (١٩٠٥-١٩٨٠) الدرامية أو الأدبية عامة، فإنتاجه الفلسفي يكاد يقترن بإنتاجه الأدبي، ويجد فيه مجال تفسيره وهوامشه الشارحة لما غمض فيه وبدا مبهما، من خلال ما يتجسد في هذا الأدب من تجارب إنسانية محددة يتفاعل فيها البشر بعضهم مع بعض، ومع الشروط الموضوعية التي يعيشون في ظلها، ويتنفسون أبعادها، ويفرزون أفكارهم ومشاعرهم بإزائها، والإنتاج الأدبي - من ناحية أخرى - يجد في الفلسفة المقترنة به خصوصيته التي تميزه عن الإنتاج المماثل، بل وكان سارتر في حاجة إلى أدبه كي يكتشف آفاق فلسفته، كما كانت فلسفته وأدبه الدرامي والروائي وثيقي الصلة بالسياق التاريخي بوصفه عالمه الذي يعيشه وتعيشه شخصياته، ويستقي منه مواقفه، ويحدد فيه خياراته، ونظريته الأدبية أيضا تؤكد على هذه الصلة وتدعوها التزاما، ومناط المسؤولية في الوقت نفسه.



وقـد بلغ إنتاج سـارتر الدرامي تسـعة أعمـال هي بتواريـخ ظهورها: «الذبـاب» (١٩٤٣)، «لا مفـر» (١٩٤٤) التي قد تترجم بـ «جلسـة سـرية» أو «الأبـواب الموصـدة»، «موتى بلا قبور» (١٩٤٦)، وفي العام نفسـه كتب «المومس الفاضلة» (١٩٤٦)، «الأيدي القذرة» (١٩٤٨)، «الشيطان والرحمن» (١٩٥١)، «الممثل كين» (١٩٥٤)، «نيكراسوف» (١٩٥٦)، ثم «سجناء الطونا» (١٩٥٩- ١٩٦٠). وهـذه الأعمال في تطورها يمكن فهمها وتفسـيرها في ضوء تطور فكر سارتر من الوجودية الخالصة إلى محاولة خلق تزاوج بينها وبين الماركسية، لاسيما في مسـتوى نظرية المعرفة، وكذا في ضوء تطور السـياق التاريخي نفسه في فرنسـا، فالثلاث الأولى من هذه المسرحيات تسـتعيد آلام تحرير البلاد من قبضة الاحتلال الألماني خلال سني الحرب العالميـة الثانية، وما اكتنفها من تنظيم خلايـا وفاعلية المقاومة، وتذويب الفـوارق الأيديولوجية بين قوى المجتمـع المختلفة، لإعلاء هدف التحرير وتعضيـد مبدأ الحرية الوطنية. وفي بقيتها تبرز قضايا الوجود الاجتماعي مثل «التفرقة العنصرية» وتأثيرها في قيمة العدالة في «المومس الفاضلة»، وفلسفة الحكم، بما تستدعيه من ملاحاة أيديولوجية وصراع في الممارسة السياسـية، مثل الخلافات بين الكتل اليسـارية تحالفا أو تعارضا مع الكتل التقليديـة كمـا في «الأيـدي القـذرة»، والحملات الإعلاميـة الزائفة في الصحف اليمينية ضد اليسـار في «نيكراسوف»، خصوصا أن العالم انقسم فعليا إلى كتلتين أيديولوجيتين كبيرتين، إحداهما اشـتراكية بقيادة الاتحاد السـوفييتي، والثانية رأسـمالية في ظل قيادة الولايات المتحدة الأمريكية، وبينهما حرب باردة يتقي قطباها أن تصبح سـاخنة، تهدد البشرية بالدمار مع تطور تكنولوجيا التسـليح واكتشاف القنبلة الذرية والهيدروجينية، حتى أن ثـورات التحرر الوطني التي صفت الاستعمار القديم فـي دول العالم الثالث، تأثرت مدا وجذرا بما بين الدولتين العظميين من آليات صراع على دوائر النفوذ والاسـتقطاب العالمي. وفي هذا الإطار لفهم أعمال سـارتر



الدرامية، يمكن طرح التطور العام لفلسفته مقترنا بالحلقات المفصلية في السياق التاريخي، ثم الصيغة الفنية التي اعتمد عليها مسرحه بما تنطوي عليه من تنويعات ممكنة.

أولا: تطور الفلسفة الوجودية في السياق التاريخي

١- الفكرة الوجودية بين الواقع العيني والتراث الفلسفي

ليست الوجودية - على نحو ما ألفت الفلسفات الكلاسيكية - نظاما من الأفكار المتكاملة فيما بينها لتفسير العالم، وامتصاص تجربة الوجود الإنساني فيه، والحكم عليها على نحو مسبق، لكنها بالأحرى منهج وأسلوب للتفكير في العالم وفي الوجود الإنساني، من حيث هو وجود يجمع بين الأشياء والذات، بين الموضوعات العديدة والمتنوعة التي تتناثر في العالم، وتشكل في الوقت نفسه الوسط المادي، والحقيقة الإنسانية التي تتغير وتنفي ماهيتها باستمرار مع تنوع وتغير علاقاتها بمفردات العالم الذي يحيط بها، ولكن خلال الحضور المباشر لكليهما معا في الحيز نفسه من الزمان والمكان. وفي هذا الإطار الذي يجعل الوجودية أسلوبا ونهجا في التفكير يتعلق بعلاقة متغيرة دائما في الزمن، تعد الوجودية مبحثا من العسير تحديده، ويستنكر مبدئيا عملية التحديد. فالمبحث - فيما يقول سارتر - مشروع، وتسمية المبحث أو المشروع وتحديده، يبدو كما لو كنا جمدناه وربطنا عليه وعقدنا الرابطة[1].

فالاختيار والقرار الذي تصدره الذات الإنسانية، في علاقاتها بالعالم وما فيه من موضوعات وأشياء، في الحيز عينه من الزمان والمكان، يؤديان

(١) سارتر، جان بول - نقد العقل الجدلي - ت: د. عبد المنعم الحفني- القاهرة - مكتبة مدبولي - ب. ت - ص٤.



إلى تغير الذات وتغير الموضوع فيتجاوزان نفسيهما إلى المستقبل، إلى حضور مغاير لما كانا عليه في الماضي، ولما كانا عليه «هنا والآن»، فيتغير الاختيار مثلما يتغير الفكر والشعور. والفلسفة الوجودية بما هي منهج وأسلوب، تود لو احتفظت لتجربة الوجود المتعين بما لها من حيوية في الفكر، وكثافة في الشعور والانفعال، ولا تنحو بها إلى التجميد في أطر نظرية مجردة تحصر أجزاءها وتمتصها في تصور كلي واحد، يحكمها بمنظور سابق عليها. غير أن هذا الأسلوب تمخض - من ناحية أخرى - عن جملة من النظريات الأصلية تخترق الوضعية الإنسانية في العالم وتنفذ إلى ما وراءها، فتهيأت بالنتيجة فلسفة لا تبغي تكاملا صوريا بقدر ما تسعى إلى تكامل منهجي. ويؤكد سارتر أنه حيث لا توجد إلا فلسفة واحدة تحت ظروف معينة ومحددة بدقة تعبر عن حركة المجتمع العامة، ومادامت الفلسفة حية، فهي تمنح نفسها لمعاصريها بوصفها وسطا ثقافيا[٢]، لأنها نتاج فاعلية إنسانية احتفظت لنفسها بحيوية الحاضر وانبثقت منه بكل ما ينطوي عليه من أبعاد، وعبرت عنه - على مستو آخر - باعتبارها وسطا ثقافيا فيه.

والواقع أن فترة ما بين الحربين العالميتين في القرن العشرين، وجدت وسطها الثقافي في أسلوب ومنهج تفكير الوجودية الذي يؤكد فرضه الرئيسي على مبدأ سبق الوجود على الماهية، فلم تعد تغني شيئا كل التصورات الفلسفية السابقة في فهم التجربة المباشرة التي يمر بها الوجود البشري، ولم تعد تتطابق معها، مما أفقدها - ومنهج التوصل إليها - القيمة والمعنى، وأصبحت أوعية فارغة من المضامين الحقيقية. وفي هذا السياق صار ضروريا البحث عن أسلوب آخر في التفكير يحتفظ للتجربة بحيويتها وزخمها الشعوري والانفعالي، ويحول

(٢) سارتر، جان بول - المرجع نفسه - ص٧.



دون تجمُّدها في أطر نظرية محضة، فكان الأسـلوب الوجودي الذي يقول ماكـوري: إنه ينبثق كلما وجد الإنسـان أمنه مهددا، ويـدرك ألوان الإبهام واللبس في العالم، وعندما يعرف وضعه العابر في هذه الدنيا، وذلك يساعدنا كثيرا في تفسـير السـبب الذي من أجله ازدهرت الوجودية في هذه البلاد التي تقوضت فيها البنية الاجتماعية، وانقلبت رأسا على عقب، وأعيد تقويم القيم كلها من جديد[٣]. ولا شـك في أنه ليس هناك شـيء أشد وطأة على الوضع الإنسـاني من أن يتهدد في الصميم ليـس بالتغير، ولكن بالتدمير، مثلما كان في سـني الحربين العالميتين وما بينهما، وما اكتنفهما من وقائع الاحتـلال والمقاومـة، فكانت باعثا علـى توجيه وعي الكتاب في فرنسـا وغيرها من بلاد أوروبا، نحو تقدير جدي لدور الإنسان ليس بوصفه حيوانا سياسـيا فقط، ولكن باعتباره ساكن الكون الذي ينهار معناه ومبناه، وتجلت هـذه النظرة في الثلاثينيات والأربعينيـات في كتابات الوجوديين خصوصا سارتر[٤].

ولقد توازت الفلسـفة في جانب كبير من تاريخهـا مع العلوم، من حيث الاهتمام بالتجربة والملاحظة والواقع العيني الذي يعيشه البشر، وبالطبيعة الممتـدة في الكـون وما تتمخض عنه مـن ظواهر، وكثيرا مـا انتفت عن التجارب التـي تنعزل في الذهن أو الوجدان أو أفـق التأمل المحض كأن، العالم يمكن استيعابه هنا أو هناك في كليته المطلقة. ولكن غالبا ما يترتب على الاتجاه بالتفكير إلى الواقع العيني، وما يتشكل فيه من تجارب إنسانية حية، أن تنحسـر القيم في التناقضات العينية، وتنتزع المسـلمة الأولى من مكانها المألوف والمتواتر - في الوقت نفسـه - في أبنية الفكر والشـعور

(٣) ماكوري، جون - الوجودية - ت: د. إمام عبد الفتاح إمام - عالم المعرفة - الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - ع ٥٨ - ص٨٢.

(٤) انظر: برونكو، ليونارد كابل - مسرح الطليعة/المسرح التجريبي في فرنسا - ت: يوسف اسكندر - القاهرة - دار الكاتب العربي - ١٩٦٧ - ص٣٨.



البشـــري. وعلى هذا الأســـاس لم يعد الإنســـان منذ القرن الثامن عشـــر فـــي كتابات فولتير وغيـــره، عاصيا أو غير عاص، بل صـــار مؤمنا أو غير مؤمن، وأصبحت هذه القضية محورية في فلســفات القرن التاســع عشـــر بما يتأســـس عليه من ســؤال حول كيفية الإيمان. وفـــي كل ذلك باتت قيم الدين المســـيحي المتوارثة، غير ذات بال، حتى أن سورين كيركجرد Soren Kierkegaard (١٨١٣ : ١٩١٥) – الـــذي يعتبر عـــادة أبا الوجودية الحديثة، وأول فيلســـوف يحمل لقـــب المفكر الوجودي[٥]، وهو مـــن أكثر الوجوديين مغـــالاة فـــي إيمانه – يـــكاد يســـتخف بالإيمـــان التقليدي، ويـــرى الإيمان الحقيقـــي قرارا داخليا للفـــرد، يرتقي من المرحلة الحســـية الجمالية إلى المرحلـــة الأخلاقية، للمرحلـــة الدينية، وهذه المراحـــل لا يمكن أن تصب في قوالب عقلية، أو تملى بطريقة منطقية، ووصم المسيحية التقليدية التي تمارسها الكنيســـة بطقوســـها ونظرياتها بالانحراف والضلال[٦]. فالإيمان الحقيقـــي لا يعد اســـتجابة لدعوة، ولا اتســـاقا مع مؤسســـة قائمة يرتجى رضاهـــا ويجتنب غضبها، ولكنه قرار فردي يتولد من تجربة ذاتية في ضوء احتكاكها الفعلي بالعالم، أشيائه وموضوعاته، وبالآخرين وما يصوغونه من علاقات لها مخاض فكري ونفسي وتأثير بالتبعية على الإيمان. وفي السياق الفلســـفي نفسه يؤكد فريدريك نيتشه (١٨٤٤ : ١٩٠٠) أن الإيمان المسيحي انتحار متواصل للعقل، ويدون مارتن هايدجر Martin Heidegger (١٨٨٩ : ١٩٧٦) كتابات مهمة عن نيتشـــه، ويعتبره الشـــخصية الرئيســـة في نشـــأة الوجودية بل وتاريخ الفلســـفة بصفة عامة، لأنه ينهي العصر الكلاسيكي في الفلســـفة الغربية، ويصبح مرشـــدا لعالم غريب هو عصرنا[٧]، ذلك العصر

(٥) انظر: ماكوري، جون – الوجودية – م. س – ص٧٢.

(٦) انظر: ماكوري، جون – م. ن – ص٧٣.

(٧) انظر: ماكوري، جون – م. ن – ص٧٤.



الذي يعد في لبابه، عصر شعور بالأزمة والتهديد، التمزق والاغتراب، وهي مشاعر جديدة في شدة تبعث الرجفة[٨].

وأيا كان مـــن أمر فهناك جملة من العوامل التي تولّد معها هذا الموقف في الفلسـفة المعاصرة، فمن متناقضات المسـيحية في ذاتها، وتناقضها مع تجربة البشــر التي تتعين في حضورها المباشــر، لشـكلية الممارسـة الطقسـية وقصورها عن استيعاب الحقيقة الإنسـانية، للإنجازات العلمية والفكريـة بالغة الاتسـاق منهجيا والقــادرة في الوقت ذاتــه على مخاطبة العقــل وخلخلة مصداقية الخطاب الديني المسـيحي التقليدي، إلى جانب تناقضات البنية الاجتماعية/الاقتصادية في ظل الرأسـمالية، مما حسـر حركـة الفرد وزاد من عزلته النفسـية، ودمر وشـائج انتمائـه. فكل ذلك لـم يؤد إلى نفـي القيم المتوارثة عن آفاق واقع الإنسـان فقـط، بل تركه معلقا علـى نحو اضطراري في العالم، يعاني وجـوده الخاص، ويفرض أن يسـتعيد بنفسـه ولنفسـه مبررات هذا الوجود، وينتزعها من قلب حياته. فـإن أصبـح الفرد مؤمنا، فهو مؤمـن على نحو خاص تتحـدد فيه فرديته وخصوصيـة حياتـه كلهـا، ومن ثم يجد نفسـه المتفردة فـي العالم، وقد تساقط عنها مبرر الوجود السابق عليها وفرغ من معناه، ولذلك يؤكد سارتر أن الوجوديين جميعا سـواء أكانوا مسـيحيين أو «... »، يؤمنون بأن الوجود سابق على الماهية، وأن الذاتية تبدأ أولا[٩].

وعلـى هذا النحو، يمكـن أن تتلخص السـمات العامـة للوجودية، في الريبة الجوهرية في القيم المتوارثة، وشـكلية ما تنطوي عليه ممارسـاتها، وتناقضهـا غالبا مع التجربة الحية والمتعينة في الزمن والمكان، بالإضافة إلى انزواء الذات عن العالم في شعور ارتدادي يتوجس منه، ومن احتمالات

---

(٨) انظر: ماكوري، جون - م. ن - ص ٣٧٨.

(٩) سارتر، جان بول - الوجودية مذهب إنساني - ص١١.

تقلبه وانهياره بالبنية الاجتماعية/الاقتصادية، فضلا عن خصوصية تجربة الإيمـان، وكل هـذا يلتقي بجذر واحد يجعل وجود الإنسـان فـي العالم/ الموقف/التجربة سـابقا على ماهيته، التي تتشـكل بالتالي فيما يعانيه من تجارب نفسـية تكتسب معاني ومفاهيم بالغة الخصوصية، وإن كانت تتلبس أسـماء دارجة في الحيـاة اليومية مثل الغثيان والقلق وهواجس السـقوط في سـوء الطوية، وتتحدد الماهية فيما يتخذه الإنسـان خلال تجاربه، من خيارات وقرارات، بنفسه لنفسه، في أثناء اشتباكه وتفاعله مع الموضوع.

٢- سارتر بين الوجود والعدم .. ونقد العقل الجدلي

يمكن تحديد تطور فكر سـارتر بوصفه مسـارا بين مرحلتين، أولاهما تتمثل فـي كتابه «الوجود والعدم» الذي أصدره سـنة ١٩٤٣، ويعتبر وصفا للاشرعيتنا من حيث إنها تعيش الملل[١٠]، والثانية كتابه «نقد العقل الجدلي» الذي أصدره سنة ١٩٦٦، مرورا بمشكلة المنهج والمادية الماركسية والثورة. لكن تجربة سـارتر سـواء على مسـتوى الفكر أو الحياة، تعد نموذجا حيا لقـرارات وخيارات بالغة الصعوبة على مسـتويات عديدة، وطالما كشـفت عـن حالة شـديدة التأزم والفـوران، اتصالا من الـذات بالعالم/الآخرين، وانفصالا عنهم، انغمارا فيما هو شـخصي وجزئي، وانتقالا إلى ما هو عام وثيـق الصلة بمعرفـة التاريخ. ولما كان مبدأه الفكري يسـتند إلى حضور التجربـة وتعينها في الزمن والمكان، فإن أي تطور في فكره يتصل بالتبعية بتغير الواقع والتجربة التي يعيشـها ويتورط بوعيه فيها، فإذا كان في فترة مـا بين الحربيـن يتمخض عـن «الوجود والعـدم»، فإنه تحـت الاحتلال

(١٠) انظر: جانسون، فرانسيس - سارتر بقلمه - ت: د. خليل صابات - بيروت - منشورات نزار قباني - ١٩٦٧ - ص٢٥٥.



النــازي لفرنســا، ومع انخراطــه في المقاومة، يكتشــف فاعليــة الحرية وقيمتهــا، فيقول في الجزء الثالث من كتابه «المواقف»: إننا لم نكن إطلاقا أكثــر حرية مما كنا أبان احتلال الألمــان. . . لقد وصلنا إلى أعمق معرفة يمكن أن تكون لدى الإنســان عن نفسه، فليس سر الإنسان عقدة أوديب، أو عقــدة الدونية، بل حدود حريته ومقدرته فــي مواجهة العذاب والموت[11].

ولكــن بعد التحرير لونــت أفكاره صبغة اجتماعية واضحــة، لم تكن تظهر بالدرجة نفســها من الوضوح قبلها، وهذا التغير- كما يرى جانسون - يجب البحث عن دوافعه الموضوعية في السنوات الأولى لما بعد الحرب، مقارنة بفترة الاحتــلال غير العادية، التي لم تكن العوامــل الاجتماعية تؤدي فيها دورها في تفكيره بحرية، لأن مصائر فرنســا كانــت في أيدي الأجنبي[12].

فقــد كان الآخر يبدو بوضوح باعتباره عــدوا للحرية، التي ينبغي أن تتحدد بوصفها جوهر الذات الإنســانية ومناط الشعور العميق بالكرامة، وبالتبعية اكتشافها وحتمية الذود عنها بمقاومته.

ولكــن بعد التحرير وخفــوت فورة الحماس تدريجيــا بنواله والتضحية النبيلة من أجله - لاســيما في الســنتين الأوليين - لم يكن بد من أن يعيد الوعي توصيف الآخر الذي ينبغــي التفكير فيه وفهمه ومحاورته والتعايش معــه، مما يمنح الصبغة الاجتماعية للأفكار تبرير الظهور والتبلور بوضوح. فهــذه الفترة التــي تتحدد فيما بين ١٩٤٦ و١٩٥٠، تعد أساســية في تطور فكر ســارتر، بما ينطوي عليه من غموض، فقد ألح صراع الطبقات بشــكل محسوس، بما اكتنفه من تناقض في الرؤى والأفكار الاجتماعية، سواء على مستوى الداخل الفرنســي، أو في مستوى العلاقات الدولية بصيغة الحرب الباردة بين الكتلة الاشــتراكية بقيادة الاتحاد السوفييتي والكتلة الرأسمالية

---

(١١) انظر: كرانستون، موريس - سارتر بين الفلسفة والأدب - ت: مجاهد عبد المنعم - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٨١- ص١٩.

(١٢) جانسون، فرانسيس - سارتر بقلمه - ص٢٥٥.



بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية. وفي هذا السياق اكتشف سارتر مع أبناء جيله أنهم تركوا حياتهم تسرق منهم، ومن ثم لم يرشح نفسه - أي سارتر فيما يرى جانسون - لمهمة أكثر استعجالا من محاولة فهم العالم وإدراك اختصاصاته الحقيقية، حتى لا يخاطر من جديد بأن يصبح ملكا له، وبأن يبتلعه بكتلته الضخمة، ولم يكن يستطيع أن يفوته الالتقاء بفكرة ماركس في الحدود التي تدع هذه الفكرة نفسها قادرة على أن تعطي الناس السيطرة على تاريخهم ذاته، بما أن الهدف لم يكن فهم العالم، بل تغييره(١٣).

والواقع أن ظهور البعد الاجتماعي/التاريخي في فكر سارتر يؤثر تأثيرا حاسما في مسرحه، سواء من حيث اختياره للمواقف والظروف الموضوعية التي تتطور بها وتتشكل من ناحية أخرى فيها، أو من حيث الشخصيات ومدى وعيها بهذا البعد وتأثيره فيها وتفاعلها معه وانعكاساته الممكنة على حريتها وخياراتها، وبالتبعية إبداع أو تحديد ماهيته.

ثانيا: الصيغة الفنية في دراما سارتر

الواقع أن اتضاح البعد الاجتماعي في فكر سارتر بشكل تدريجي فيما أعقب فترة تحرر فرنسا من الاحتلال الألماني، يؤدي إلى بروز فوارق جوهرية بين أعماله الدرامية التي أنتجها خلال المقاومة، والأعمال التي أنتجها بعد ذلك. ففي أعمال مثل «الذباب» و«جلسة سرية» و«موتى بلا قبور» التي، وإن قدمت بعد التحرير، ارتبطت بتجربة المقاومة وما أفرزته من مواقف، كان الماضي الذي شكل البعد الاجتماعي/الاقتصادي في حياة الأبطال خصوصا، يكاد يكون هامشيا، فلا يتطرق أورست قط إلى نمط

(١٣) جانسون، فرانسيس - م. ن - ص ٢٢٨، وانظر: ص ٢٣٠، ٢٣١.



حياتـه فـي الذباب قبل أن يعـود إلى مدينته أرجـوس، وبالمثل لا تعنى به شـخصيات موتى بلا قبور، ويكتسـب وجودا هشـا في ذاكرة أبطال جلسة سـرية يلقي بظـل باهت على الحاضـر، ولكن لا يلبث أن يتلاشـى. وعلى العكـس من ذلك فإن الأعمال التي كُتبت في النصف الثاني من الأربعينيات والخمسـينيات مثل «المومس الفاضلة» و«الأيدي القـذرة» و«الممثل كين» و«نيكراسـوف» و«سجناء الطونا» و«الشـيطان والرحمن» يتجلى فيها البعد الاجتماعـي ممتزجا بتناقض ونقـد أيديولوجي ومحاولـة متعمدة أو غير متعمدة لإنتاج صور زائفة عن الواقع، وتبرير الذات بها.

وأيـا كان من أمـر، جاءت أعمـال سـارتر الدرامية فـي الأربعينيات والخمسـينيات مـن القرن العشـرين، مرتبطة بشـكل أو بآخـر بتيارات الحداثـة الفنية، ومتأثرة بها في الوقت نفسـه، وخصوصا في تناول مفهوم الزمـن الدرامي. ولكن على الرغم من أن سـارتر عبر عـن إعجابه البالغ بأعمـال برتولد بريشـت ومنحاه الفلسـفي إلى الماركسـية، فإنه لم يطق أسـاليبه الفنية، ولم يسع قط إلى أن يشـاركه فيها، وبالمثل أبدى إعجابه بدراما العبث، لاسـيما حين عـرض صمويل بيكت عمله «في انتظار جودو» (١٩٥٤)[١٤]، غيـر أنـه لم يقترب مـن تقنياتها الفنية، وإن أفرزت الشـكل الفني الذي يعتبر تجسـيدا للفلسـفة الوجودية. والواقع أن سـارتر وغيره مـن الكتاب الوجوديين ومن لفوا لفهم وتأثـروا بهم بدرجة أو أخرى، آثروا الشكل الفني التقليدي ذا الطابع الأرسطي، وإن أعادوا - بالطبع - تأسيسه في سـياق فلسـفتهم ورؤاهم الجمالية. ففي دراما سارتر - مهما بلغت من التركيز والتكثيف كما نجد في «جلسـة سرية»، أو أصابها شيء من التطويل والترهل نتيجة تكنيك «الفلاش باك» flash back كما في «الأيدي القذرة» أو

(١٤) انظر: محمد رشاد خميس، ماهر فؤاد - مقدمة (سجناء الطونا - تأليف: جان بول سارتر) - مسرحيات عالمية - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر - ع ١٩٦٨/٦١ - ص١٩.



«سجناء الطونا» التي يتداخل فيها الزمن الحاضر مع الاسترجاع، نجد بناء مألوفا في تطوير الشكل الفني، فمن مرحلة المقدمة prologue أو العرض Exposition التي تخصص لتعريف الشخصيات والعلاقات بينها والموقف الذي يجمع بينها «هنا – الآن»، إلى الحدث الحافز inciting action أو نقطة الهجوم point of attack التي تولّد المفارقة الدرامية dramatic paradox مما ينشـط الفعل في إطار من التناقضات يتكشـف معها الصراع في خط صاعد rising conflict عبر سلسـلة من التعقيدات complications تنتهي إلى ما يعرف بمشـهد الذروة climax، ثم مشـهد التعرف enlightening أو الاستنارة الذي تنفض معه المفارقة وتدرك الشخصية ما كان مجهولا عنها أو عن شبكة العلاقات التي انخرطت فيها ودمجتها في سياقها، ويبدأ معها الخط البياني رحلة الهبوط falling conflict، فيؤدي التعرف إلى تحول أو انقلاب مواقف الشـخصية transformation، بما يغير أو يعيد بناء العلاقات على نحو مختلف، فيمهد – في الوقت نفسـه – للنهاية الدرامية dramatic end أو الحل resolution، الذي يشكل إجابته عن السؤال الدرامي العام major dramatic question الذي تولد منه الفعل.

ولما كان حجر الزاوية في هذا الشكل من البناء الفني، يتمثل في مرحلة العـرض والحدث الحافز الذي تتولد معه المفارقة، مما يضفي تأثيره على البنـاء ككل، فإن الكاتب الوجـودي يعنى عناية خاصة بهمـا، بحيث يتخذ الموقف الابتدائي من السـمات والتفصيلات ما يجعـل منه موقفا وجوديا تواجه الشـخصية فيه نفسها وذاتها، في تزامن مع تعرفها على العالم الذي تُلقـى فيـه – ربما على غير انتظار منها أو توقـع – فكأنها على هذا النحو تواجه عرضية الوجود وما يثيره فيها من «غثيان وقلق» التشيؤ، بينما تدرك على نحو أعمق «ذاتها» بوصفها اللاشيء الحر الذي تقوم به الأشياء، ويمكنه بالتبعية أن يتجاوز نفسـه ويتجاوز عرضية الوجود في وقت معا، بالاختيار



وتنفيذ الفعل الذي يخلق الماهية بمثل ما يمنح العالم معناه وجدواه، باعتبار أشيائه أدوات الفعل. ومن هنا فإن مرحلة العرض أو المقدمة، تعتبر مرحلة في تيقظ الحواس على معطيات «الموقف» والحيز الذي يشـغله في الزمان والمكان، والشروط الموضوعية التي ينطوي عليها، وتشكل في الوقت نفسه قوانيـن العلاقة بين «الأنا – الآخرين»، بينما يصبـح الحدث الحافز دافعا لاكتشـاف الشـخصية حدود حريتها بما فيها من إمكانات اختيار مفتوحة، ولا يمكن أن تقيد أو تحدد – في الوقت نفسـه – بأي جبرية سـابقة على وجودها في الموقف. والسـمات الأساسـية في هذا الموقف تتجسـد في تنويعات مهمة، يمكن إجمالها في أربعة تنويعات تتردد في الدراما الوجودية سـواء أكان كاتبها سارتر أو ألبير كامي أو جابريل مارسيل، أو غيرهم ممن تأثروا بالوجودية كوسـط ثقافي في السـياق التاريخي نفسـه، ومنهم جان جيردو وجان آنوي، وهذه التنويعات هي: إعادة تعيين المسافة الميلودرامية، وفقدان الذاكرة، والموقف الاستثنائي، وعبء السلطة المطلقة.

أ- فقدان الذاكرة وإعادة تعيين المسافة الميلودرامية

يفاجئنا سارتر في «الذباب»، أول أعماله الدرامية التي كتبها ١٩٤٣، في ظل الاحتلال الألماني لفرنسـا بتكنيك مهم في بناء الموقف الدرامي، يبدو وكأنه إعادة تعيين لما يعرف بالمسـافة الميلودرامية، وهي المسـافة التي دأب عـدد من كتاب الدراما الحديثة على كسـرها والتغلب عليها وتجفيف منابع تأثيراتها النفسية والعصبية في المتلقي، لاسيما أن الميلودراما كانت إرثا مشـتركا بينهم جميعا، سـواء انضووا تحت لواء المدرسـة الواقعية أو الطبيعيـة، أو تيارات غير الواقعية Anti-realistic drama التي شـكلت ما يعـرف بالحداثة Modernism الفنية في أوروبا، من الرمزية إلى التكعيبية



والمســتقبلية، إلى التعبيرية، فالدادية التي اكتســبت أساسها الفلسفي في الســـريالية. وكانت الميلودراما تقوم فــي تأثيرها على فصم علاقة القربى والدم بمسافة كبيرة في المكان أو الزمن، وكثيرا ما اقتضى الأمر المسافتين معا، ثم يلتقي من فرقت بينهما هذه المسافة، على نحو يضع علاقات القربى والدم في امتحان التأثير الذي تتهيج معه وتســتثار مشاعر المتفرج وترهف أعصابه، انتظارا لما تسفر عنه في إجهاض «زنى بالمحارم» وإبطال جريمة قتل تخوض في رابطة الدم، أو ستشيب الرؤوس هولا لأي من الجريمتين.

ولكن المسافة الميلودرامية في الأدب الوجودي، تفرغ كلية من تأثيراتها علــى نحو بالغ الأهميــة لبناء الموقف الوجودي، بصفته موقفا يســبق فيه الوجود الإنســاني في الحيز المتعين بالمكان والزمان «هنا - الآن»، ماهيته، فعلاقة القربى ورابطة الدم تغرق في المسافة الميلودرامية وتموت في سياق التاريــخ وتكف بالتبعية عــن أن يكون لها أي نداء منتظر في النفس والوعي والضمير والشعور، فلا يستطيع الابن أن يجد في نفسه شيئا من عاطفة ود، تدفعه إلى أبيه أو أمه أو أخته، أو غيرهم ممن افترق عنهم ســنوات طوالا لا يــكاد يعرف عنهم شــيئا أو يجتمع بهم في تجربة، إلا - ربما - أســماء وذكرى باهتة من طفولة منســية. فلئن كانت الشخصية الوجودية - أي التي تؤمن بســبق وجودها على ماهيتها - تعايش موقفها من نفســها ومن العالم المحيط بها، على أساس من تذويب فعاليات الجبر سواء كانت اقتصادية أو اجتماعية أو سيكولوجية، بل وتذويب ماضيها نفسه وتعديمه فلا تستعين به في موقفها «هنا - الآن»، فإن المســافة الميلودرامية تهيئ لهذه الشخصية نفســها، شــروطا موضوعية لتحريرها من ضغوط هذه الجبريات مجتمعة ودفعة واحدة، خلافا لما يمكن أن تعانيه منها لو أنها عاشــت في ظلها، أي في ظل علاقات القربى وروابط الدم.

وفي «الذباب» يعود سارتر إلى حلقة أورست من مادة أسطورة «آل آتريوس»



الإغريقية، ليجد المســافة الميلودرامية التي قامت عليها هذه الحلقة، وقد قدمت له أبعاد موقف وجودي جاهز التكوين ما عليه إلا أن يغزوه ويكســوه بفلسفته. أورست فُصم عن مدينة أرجوس منذ نعومة أظفاره في تزامن مع مقتل أبيه أجاممنون على يد ابن عمه إيجســت وعشــيق أمه كلتمنسترا في الوقت نفســه، فقضى صباه وطفولته ومراهقته، حتى أوشك أن يدلف إلى ســن الرشــد وعالم الرجولة، في مدينة أخرى مع مربيه، لا يكاد يعرف عن آرجوس شــيئا، ولا عما يجرى فيها تحت حكم إيجســت، ولا عما آلت إليه أوضــاع أمه أو أخته إلكترا، إلا ما يحكيه له «المربي»، لكن ما الحكايات أيا كان تأثيرها ودرجة صدقهــا، إلا خيوط واهنة أقرب إلى خيوط العنكبوت، لا تبني بيتا ولا تربي شعورا، ولا تلزم بواجب. وهكذا وجد سارتر في عودة أورست إلى آرجوس وهو على مشارف سن الرشد، موقفا وجوديا يقذف به إلى عالمها طليق القدمين خفيف النفس من أي تبعات، بريء الوعي من أي تجربة ممكنة فيه، يمكنه أن يبقى ويمكنه - من ناحية أخرى - أن يرحل عنه مــن دون أن يلومه أحد، فلا أحد يعرفه في المدينة، حتى لو كانت أمه التي تربطه بها رابطة الرحم، ويملأهــا الاعتقاد بأنه مات، أو أخته التي يربطه بهــا الدم، ولكنها لا تعرف عنه إلا ما تولد في خيالها من أوهام تراكمت مع انتظــاره ليثأر لمقتل أبيه ويعيد إليها - وهي الأميرة - كرامتها المهدرة في خدمة فراش العاشقين، وإن كانت لن تتعرف إليه إلا إن اعترف لها بحقيقة العلاقة التي تربطه بها، ومستشــهدا بمربيه، ومن ناحية أخرى من دون أن يلوم نفســه أيضا، فلا ذكرى واحدة تربطه بالمكان بوصفه وطنه أو بالناس باعتبارهم الشعب الذي ينتمي إليه.

وفي ظل الشــروط التي انطوى عليها وجود أورست في آرجوس، يمكنه أن يتأمــل عالمها ويفحص أوضاعها من كثــب، يقترب منها وينفصل عنها، مكتشفا طوال الوقت «ذاته الحرة» وحدود ما يمكن أن يتبلور فيها من خيارات



نابعــة منها، فلا أحد يمليها عليها من الخارج، أو يمكنه أيضا أن يدعوه إلى أن يتشيأ منكفئا على نفسه في وضعية الندم التي تعيشها المدينة بأسرها، لاسيما وهي توشك – في الحدث الحافز – أن تحتفل بعيد الموتى السنوي الذي يوافق – على مستو آخر – ذكرى مقتل أبيه.

والواقع أن هذه الشــروط ميزت أورســت وفعله عــن أخته إلكترا التي بدت بالغة الســخط على وضعها وأوضاع آرجوس ، وشديدة الإيمان بعودته والانتقام لمقتل أبيه، فإلكترا تشــبعت بالســخط على وضــع المهانة الذي عاشــته خادمة لفراش أمها وعشــيقها الذي اغتصب عرش أبيها، وامتلأت – بحكــم تواصل وجودها في آرجــوس – إيمانا بمعتقداتها، ســواء أكانت عقيــدة «الندم» التي أفــرزت الاعترافــات confessions العلنية بالفضائح والمخازي الأخلاقية، أو بعقيدة الثأر ونداء الدم التي تتصور أنها تقود، إلى جانب اللعنة العائلية، أقدام أورست إلى المدينة وتدوّن على جبينه أنه قاتل إيجست وأمه كلتمنسترا، وما عليه إلا أن يستجيب لما تحدد له سلفا. وعلى هــذا النحو فالإيمان بالجبرية يقود خطى إلكترا لانتظار أورســت والتعويل عليــه، ثم معاونته وتمهيــد طريقه إلى مخدع العاشــقين، ولكن لا تلبث أن يغزوهــا الندم فتتحول عنه ســاخطة عليه وقد حرمها مــن مبرر وجودها الوحيد، مما شــكل – على مســتوى آخر – المفارقة الدرامية التي حكمت علاقتيهما، فأورست أنجز عمله ليس باعتباره فعل انتقام، لكن باعتباره فعل تحــرر لذاته من عرضية الوجود في العالم، وتحرير لآرجوس مما يثقلها من «ندم» يدمر بين يديها أسباب الحياة، ويعمق كراهيتها المعلنة للحياة نفسها، على نحو – ربما – يعيد قراءة مفهوم الخطيئة الأصلية، الذي حاولت حكومة «فيشي» أن تكرسه في فرنسا إبان الاحتلال.

ويعود ســارتر إلــى تكنيك مســافة الزمــان والمكان إلــى جانب حيلة ميلودراميــة أخرى، في بناء الموقــف الابتدائي في آخر أعماله «ســجناء



الطونا» التي يخترق فيها عالم أسـرة ألمانية تمزقت بين خدمة النازية قبل الحرب وإبانها، وخدمة الحلفاء الذين زحفوا على ألمانيا في نهايتها، ويبدو كأنه يصفي من خلالها حسـاباته مع الحرب ومفهوم المصالح الرأسـمالية التي شـكلت التاريخ والمناخ النفسي في أوروبا خلال القرن العشرين، سواء فـي العالمية الأولى والثانية أو حركات التحرر الوطني من الاسـتعمار، بما اكتنفها من أشـكال مقاومة ومعارك صغيرة أو كبيـرة، ومظاهر قمع وقهر متفاوتة الشدة. ففي «سـجناء الطونا» يتشكل موقف «هنا/في بيت الأسرة التي يعد عائلها من رجال الصناعة ويقف على رأس أكبر مؤسسـة صناعية لإنتاج المنشآت البحرية - الآن سنة ١٩٥٩»، لكن أبعاده ترجع إلى ثلاثة عشر عامـا مضت، أي إلى عام ١٩٤٦، وقت أن أجـرت قوات الحلفاء محاكمات «نورمبورج» للنازية التي أشـعلت فتيل الحرب، واقترفت عديدا من الجرائم في معسكرات الاعتقال والتعذيب. فمنذ هـذا التاريخ انسحب الابن فـرانتز إلـى حجـرتـه الخـاصة فـي البيت وحـرص الأب جـيرلاخ علـى إخفـائـه، حـتى لا تدركه المحاكمة لأنه شارك في الحرب على الجبهة الروسية، وعاد في نهايتها إلى البلاد متسللا من بولندا، وقد أسهم فيما تجرى المحاكمات بشـأنه، وإن لـم يكن نازيا في يوم من الأيام. ولـم يكتف الأب بذلك، ولكنه أذاع موت فرانتز في الأرجنتين، واستطاع أن يدبر له شهادة وفاة زائفة سنة ١٩٥٦.

وفي ضوء هذه الأوضاع، تحيا الأسـرة تحت التهديـد الدائم بالتفتيش المفاجـئ الذي يمكن أن يسـفر عن العثور على فرانتـز، ويعاد إليه توجيه الاتهام على جرائم لا يمكن أن تسقط بالتقادم، ويوجه إليها في الوقت نفسه الاتهام بحبس إنسـان والإسـهام في إخفاء مطلوب للعدالة وتزوير محضر رسـمي بموته واسـتعماله. وعلى أي حال لم يكن ثمة ما يبرر- طوال هذه السنوات - أن تفجر الأسرة سرها وتخوض فيما قد يفسد أمنها، مادام الأب



موفور الصحة ثابت المكانة التي تحول دون أن يخضع بيته لتفتيش السلطة، ومادامت ابنته «ليني» تتصل بأخيها الحبيس وتشرف على شأنه وعنايته، فكاد أن يكون مبرر وجودها، إن لم يكن كذلك بالفعل. لكن يتكشف الموقف منذ اللحظة الأولى، عن ملمس ميلودرامي آخر لا يلبث سارتر أن يمتص تأثيره التقليدي، فيما درجت عليه الأسرة من هزل أحيانا وعريهم النفسي بعضهم بإزاء بعض أحيانا أخرى، فمن المؤكد أن الأب أصيب بسرطان الحنجرة ويتهدده بالموت في غضون ستة أشهر على الأكثر، وينبغي أن يرتب أمان بيته أو على الدقة أمان فرانتز مرة ثانية، ولذا يدعو أفراد أسرته - (ابنته ليني - ابنه فيرنر الذي امتهن المحاماة فترة من الزمن، حتى استدعاه أبوه لمعاونته في أعمال مؤسسته منذ ثمانية عشر شهرا، وزوجته جوهانا التي تزوجها من ثلاث سنوات إبان عمله محاميا ناجحا في هامبورج، ولم تشأ أن تعترض على عودته إلى بيته والإقامة فيه كي لا تضعه في اختيار بينها وبين أبيه)، ليفضي إليهم بما استقر عليه من ترتيبات، يود لو أقسموا على الوفاء بها، سواء فيما تبقى له من حياة أو بعد موته.

والواقع أن الترتيبات التي يدعو جيرلاخ أسرته إلى الوفاء بها، بالإغراء تارة وبالغمز الميلودرامي تارة، وإثارة المخاوف لديهم بالتهديدات المحتملة تارة ثالثة، هي التي تشكل بجانب عزلة فرانتز الطويلة، سمات الموقف الوجودي، خصوصا أن هذه العزلة أو المسافة الميلودرامية بتعبير آخر، أعيد تعيينها بحيث تهاوى معها كل ما يعتبر جبريات كامنة في علاقة القربى والدم، بما تقتضيه من واجبات، كما أتاحت لفرانتز فرصة ذهبية - سواء أكانت باختياره أو بالرغم منه - لمعايشة نفسه والماضي، الذي لم يعد قابلا للتعديم وفق تطور فكر سارتر نفسه، ويتنبه ولو تدريجيا لما يعانيه من تجارب نفسية ذات طابع وجودي بشكل جوهري، مثل «غثيان» التشيؤ و«القلق» بمختلف أبعاده الممكنة، ومنها اكتشاف حدود حرية ذاته مقابل ما كان يصدر إليه من أوامر أو يستجيب له من نداء خارجه، بالإضافة إلى



تجربة السـقوط في فخ الجبرية وما تنطوي عليه من مفهوم سـوء الطوية الـذي يجعل منه قذرا لا يـود أن يختار، أو يختار بينما يكذب على نفسـه ويكذب على الآخرين في الوقت نفسـه، لاسـيما أن التجربة الرئيسـة في ماضيـه تقترن بتحول أبيه بين خدمة النازية على الرغم من عدم إيمانه به، وخدمة الحلفاء على الرغم من أنهم احتلوا البلاد وجروا شـعبها إلى مهانة المحاكمة، وإن لم يقلوا جرما عمن يحاكمونهم.

إن جيرلاخ يهب ابنه فيرنر رئاسـة مؤسسـته الصناعية، مقابل القسـم على البقاء في البيت، ولكن لئن كان فيرنر أفشـى سر أخيه فرانتز لزوجته جوهانا، فإن جوهانا لا تلبث أن تعي أن مطلب الأب يعني البقاء على خدمة ابن يدعون موته لأسـباب تجهلها، فـلا يملك الأب إلا أن يفصح عن خطته كاملة، خصوصا أنه أدرك أن جوهانا ستكون حجر عثرة بإزاء ترتيباته لأنها لا تسـلم، بما يسـلم به فيرنر - ولو كارها - من نـداء الواجب. فالموقف يتطلب وجود فيرنر دائما بصفته محاميا دارسـا للقانون، سـواء لمواجهة التفتيـش المفاجئ على البيت، أو لمواجهـة احتياجات أخيه، خصوصا إذا تعرضت ليني لحادث، وهي التي اعتادت أن تقود سـيارتها بسـرعة، وعلى الرغم من أن فرانتز لم يفقد عقله فإنه لن يبادر قط بنداء أحد من الخدم، وإن مات في محبسه فحينئذ ستتعفن جثته وتفوح رائحته حتى تزكم الأنوف، ولن تكون إلا الفضيحة التي توقتها الأسرة ثلاثة عشر عاما، ولن يسلم منها فيرنر نفسه ولا زوجته.

وعلى هذا النحو يبني الأب شـروط حياة للأسـرة ترتهـن في حريتها، بموت فرانتز ودفنه في صمت في حديقة البيت، الأمر الذي بدا معه فرانتز قويا - فيما يقول الأب - يعيش في مودة مع الموت، بينما يمسـك بين يديه بمصير الآخرين، وتتشكك جوهانا:

جوهانا : أيكون فرانتز هكذا؟

الأب : نعم.

جوهانا : ما عساك تعرفه عنه الآن، ثلاثة عشر عاما تقف بينك وبينه.

الأب : نحن أربعة هنا تعلق به مصيرنا، وهو لا يفكر في ذلك.

جوهانا : فيمَ يفكر إذن؟

ليني : (ساخرة وبوحشية في صدق) في الكبوريا.

جوهانا : (ساخرة) طوال اليوم؟

ليني : إن ذلك يستغرقه للغاية[١٥]

وعلى أي حال تعتبر الشروط بمنزلة الحدث الحافز أو نقطة الهجوم، على شبكة العلاقات المستقرة في الأسرة طوال السنوات الثلاث عشرة تقريبا، على نحو يؤدي إلى تفجير التناقض الكامن فيها، وإدماج الماضي بالاسترجاع وإعادة التجسيد في الحاضر، وصياغة الفعل حول سؤال المصير، قبولا لها - طواعية أو غصبا - أو تمردا عليها خصوصا من جوهانا التي لا تكاد تقبلها، مما يوقعها في أحابيل «الأب - ليني» اللذين يزيدانها شغفا بفرانتز، ويدعيان أنها كانت أولى به، على نحو يفصم علاقتها بفيرنر، ويمهد - وإن خسرت الجولة الأولى وعجزت عن دفع فيرنر إلى رفض الشروط والرحيل معها - لتحديها واقتحام عالم فرانتز وتعرية ما ينطوي عليه من أسرار ممكنة ذات مغزى أخلاقي شائك، سواء فيما يتعلق بعلاقته بأبيه أو بأخته ليني أو بأخيه فيرنر، أو بها هي نفسها.

والواقع أن إعادة تعيين المسافة الميلودرامية، في بناء الموقف الوجودي، كان خيارا متاحا في أعمال أخرى لـ سارتر، ففي «الأيدي القذرة» تتعين هذه

(١٥) سارتر، جان بول - سجناء الطونا - ت: محمد رشاد خميس، وماهر فؤاد - مسرحيات عالمية - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر - ع ٦١/ ١٩٦٨ - ص٦٨.

المســافة في الزمن الذي اســتغرقه هوجو في الســجن متهما بقتل هردر، وســواء أكان الزمن سنتين أو عشر سنين، كما يشــار إليه أحيانا، فإنه كان كافيا لأن يتغير هوجو ويقطع صلته بزوجته جيســكا التي كانت بقايا عالمه القديــم بوصفه من أبناء الطبقــة البرجوازية العليا، قبــل أن يتمرد عليها وينضم إلى الحزب الشــيوعي بحثا في نفســه عما يمكنه أن يفعله بنفســه ويخصه فيظل مسؤولا عنه. وعلى مستوى آخر تتغير سياسة الحزب وتتقلب متماثلة مع سياسة هردر الذي كلف بقتله بوصفه خائنا، وإذا بالحزب يتهيأ لتصفيتــه بعد خروجه من الســجن، وقد حــاول أن يتخلص منه عدة مرات في الســجن للسبب نفســه، حيث يتخذ إجراءات تمجيد هردر بصفته رمز السياســة التي ينتهجها. وفي هذا السياق يتبلور الســؤال والفعل الدرامي معا، عما إذا كان هوجو قابلا للاســترداد في الحزب مرة أخرى، ويرتضي التغيرات التي يمكن أن يضفيها على ماهيته بوصفه قاتل هردر، أو أن هوجو ســيأبى عملية الاسترداد المشروطة؟ إن الإجابة عن هذا السؤال تدفع إلى اســتحضار الماضي وتذكره في أربعة فصول كاملة، تفتيشــا فيه عن تطور علاقــة «هوجو - الحزب»، وتكليفه بالعمل ســكرتيرا لهردر، ليتحين فرصة موائمة لقتله، تلك العلاقة التي تقاطعت مع علاقته الخاصة بزوجته جيسكا التــي لم تكن إلا لعبا وتمثيلا يفتقد الإحســاس بالجدية والعمق في الوقت نفسه، ويبلغ التقاطع بين خطي العلاقات ذروته الممكنة حين يضبط هوجو - بمصادفة بحتة - جيسكا في أحضان هردر، فيقتله، لتتوه في نفسه دوافع الفعل بين الأسباب السياسية والغيرة على زوجته من رجل تصور أنه خدعه بعــد أن أحبه وكاد يثق به وبآرائه. إن ســارتر يتتبــع بدقة بالغة وبرود يكاد يكون معمليا، أدق التفصيلات النفســية في تطور العلاقتين معا، حتى يضع هوجو أمام جريمة توشك أن تكون بلا فاعل، إذا ما ارتضى عملية الاسترداد وشروطها التي تدعوه إليها رفيقته أولجا.



ولا تكاد تختلف المسافة الميلودرامية، حين يعيد توظيفها كتاب وجوديون آخرون، ففي «ســوء تفاهم» التي كتبها ألبير كامي وعرضت في ١٩٥٨، نجد موقفا مماثلا، وإن كان معكوســا عما في «الذباب»، فالأم والأخت هنا هما اللتــان تتعاونان لقتل الابــن العائد. فقد انفصل يان عــن أمه وأخته مارتا خمســة عشــر عاما، ليجمع لنفســه ثروة طائلة ويحقق مكانة مرموقة في أفريقيا، وربما كانت بينهم طوال هــذه المدة خطابات متبادلة تقوم بمنزلة الحكايات الهشــة التي حكاها المربي لأورست. غير أن يان يعود منقبا في دفاتر ذكرياته القديمة والباهتة في الوقت نفسه، عن أمه وأخته، حتى يعرف أنهما اســتقرتا في مبنى معزول بمنزلة فنــدق للغرباء، ويقرر إخفاء هويته عنهمــا ويهبط الفنــدق بوصفه نزيلا، حتى يعيش فرحــة اللقاء بمضمونها الميلودرامي مضاعفة تهزه هزا. ولكن المســافة الميلودرامية آتت أكلها في الفلســفة الوجودية على غير ما يشــتهي يان فقد نمت خلالها حياة أخرى وأحــلام مختلفة عما يظنه في أمــه وأخته، وفصلت بينهــم وأعمتهم، في الواقــع، بعضهم من بعض، فلا ملامح الوجوه الآنية يمكن أن تُقرأ في ضوء الذكــرى الباهتة عنهــا، ولا رابطة الدم أو الرحم يمكــن أن تعيد ما انقطع بالزمــن أو ترهــف آذانا أصمها حلم الثروة بالجرائــم المتعاقبة. وفي هذا الســياق لن يكون يان بالنســبة إلى أمه وأخته مارتــا إلا نزيلا غنيا وغريبا عنهما، مثلــه مثل غيره من النزلاء الذين تقتلانهم وتســتوليان على ما بين أيديهــم من ثروة ســواء ظلت في جيوبهم، أو أودعوهــا في أمانات الفندق، إنهما – وهنا تكمن المفارقة – تكونان الثروة التي تعينهما على تكلفة السفر إليه في أفريقيا.

وعلى أي حال، من التنويعات الممكنة، على فكرة إعادة تعيين المســافة الميلودراميــة في بناء الموقف الوجــودي، تنويعة فقدان الذاكرة، ففي هذه التنويعة يمّحي الماضي كلية من الوعي بما اقترن به من مشــاعر وعلاقات



عاطفيـــة متفاوتة العمق والتأثير، فيبدو المرء كأنه ولد من جديد وقذف به إلى العالم، على نحو عرضي، لا يربطه به شيء، ولا يرتبط فيه بشيء، فيتبدى العالم مبهما غائصا في الظلام والصمت الأبدي، مفتوحا - من ناحية أخرى - علـى عدد من الإمكانات والانتماءات التي يمكن للمرء أن يختار بينها في حرية مطلقة. وفي ضوء هذه التنويعة يكتب جان جيردو رائعته «سيجفريد» (١٩٢٨) ويكتــب جان أنوي عمله الســاحر الذي ينطوي على ســحر خاص بعنوان «مســافر بلا متاع» (١٩٣٧)، وفي العملين يتبدى أثر الحرب العالمية الأولى واضحا في حساسية الكاتبين الفنية، إذ يفقد جندي فرنسي ذاكرته، وتتاح له الفرصة لأن يبني حياته مرة أخرى بخيارات مغايرة، لا تثقل ماضي طفولته وصباه، وما فيهما من روابط قربى أو صلات دم أو علاقات عاطفية قد يكون لها جوانبها المريرة أو الخبيثة التي يرجى نسيانها. فإذا كان الجندي جاك فرســتييه يتيح له فقدان الذاكرة أن يصبح سيجفريد الألماني، ويتبوأ بنجاح كبير - في هذا المجتمع الجديد - مكانة مستشــار الرايخ المحبوب من شــعبه، إلى أن يفلح صانعه زلتين في استحضار عشيقته جنيفاف لتعيد إليه ذاكرته به إلى فرنســا، على الرغم من معارضة قادة الجيش والشــعب، فإن جاك رينو في «مسافر بلا متاع» يصبح جاستون في ملجأ ويبقى فاقدا الذاكرة لثمانية عشــر عاما، على نحو يتيح له الفرصة لاختيار هويته وصنع ماهيته كيف شــاء، بين مئات الخيارات التي تطرح نفسها عليه وتشده إليها لتدمج انتماءه فيها، ولذا يكاد يصرخ في وجه فالنتين زوجة أخيه وعشــيقة صباه التي تحاول أن تشــده إلى عالمه القديم نفسه: إنني بلاشك الإنسان الوحيد حقا، الذي وهبه القدر الفرصة الســانحة لتحقيق ذلك الحلم الذي يراود كل إنسان.. إنني رجل، وفي استطاعتي أن أكون - إذا شئت - جديدا جــدة الطفل، وهــذا امتياز أرى من الإجــرام ألا أنتفع بــه. إني أرفضكم، ليــس لدي منذ أمس الذي لم أكد أقضيه بينكم، إلا فيض من أشــياء عني



ينبغي أن أنسـاها[١٦]، ويعود ليؤكد في موضع آخر من المواجهة نفسـها مع فالنتين: إني عاشق لا يعرف حب عشيقته، عاشق لا يتذكر القبلة الأولى ولا الدمعة الأولى، عاشق ليس أسير أي ذكرى، وسوف ينسى كل شيء غدا، هذه أيضا فرصة نادرة. . إني أنتهزها[١٧].

ب- الموقف الاستثنائي.. وهم السلطة المطلقة

يعد الموقف الاستثنائي من التنويعات التي يبنى عليها الموقف الابتدائي في الدراما الوجودية، خلافا لتنويعة إعادة تعيين المسـافة الميلودرامية، أو تنويعة فقدان الذاكرة، وهذا الموقف محمل - في الوقت نفسه - بالشروط الجوهرية ذاتها التي تفقد أيا مما يمكن اعتباره جبريات سابقة عليه، قيمتها ووزنها في تحديد الماهية والتنبؤ بالسلوك. والواقع أن الشروط التي يمكن أن تضع الإنسـان في مواجهة حقيقية مع نفسـه ومع العالم معا، لا تلتقي أو تتضافـر فيما بينها كثيرا في حياة البشـر، بحيث يمكن أن تكون مألوفة أو معتادة، تتكرر بشـكل يومي، ولكنها تكاد تكون نادرة أو اسـتثنائية وغير منتظرة. فالتجارب لا تتماثل مهما تشـابهت في سياق التاريخ، والإنسان لا يمكنه أن يلتمس فعله أو يتنبأ به، حتى لو بتجربة شخصية مشابهة مرت به في الماضي، فهو نفسـه قد تغير في السـياق نفسه ووعى ما لم يكن يعيه، وربمـا أمكنه احتمال ما لم يحتمله، وربما صار أضعف مما كان، ومن ناحية ثانية لا يسـتطيع أن يعول تعويلا كاملا على ما يتخيله من تصور عن نفسه، فقـد يكون هذا التصور زائفا، ولا يمكنـه أن يلتمس عونا من آخر كائنا من

(١٦) آنوي، جان - مسافر بلا متاع - ت: د. أنور لوقا - روائع المسرح العالمي - المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر - ع٥٦/ ديسمبر ١٩٦٤- ص١٥٢،١٥١.

(١٧) آنوي، جان - مسافر بلا متاع - م. ن - ص١٥٢.



كان، وعلى هذا لا يبقى معه غير نفسه «هنا - الآن»، وما يمكن أن يكتشفه فيها من حدود حريتها التي تبقى معها كل الاحتمالات مفتوحة، مما يجعله دائم القلق نحو إنتاج ماهيته في فعله. والموقف الاستثنائي يتسم من ناحية أخرى بخياراته الحدية، فإما أن يكون ذاته بجوهرها الحر غير القابل للتشيؤ أو الخداع، أو لا يكون على الإطلاق، حتى ليبدو وكأنه حصار في مختلف تنويعاته الممكنة مادية كانت أو معنوية. فالقس - على سبيل المثال - قد يتلقى عشرات الاعترافات يوميا، في مقره الكنسي، بعديد من الآثام التي عليه أن يكتمها وألا يبوح بها أو يستغلها، وإلا خان ذاته بوصفه قسا ورجل دين، وهذا موقف مألوف وعادي، ولكن أن تختاره زوجته نفسها لتبوح أمامه في مقره الكنسي باعترافات خيانتها الزوجية، فهذا ولا ريب موقف استثنائي يضفي تعقيدا غير عادي على حياة القس - كما صوره جابريل مارسيل في رائعته «رجل الله» - فإما أن يكون قسيسا ينبغي ألا يبوح بأسرار رعاياه، أو يكون زوجا سمع بأذنيه اعترافا بخيانة زوجته، هي نفسها.

وسارتر في عمله المعنون بـ «موتى بلا قبور» يشكل موقفا استثنائيا بالشروط ذاتها حين تلقي سلطة الاحتلال الألماني القبض على كل من «كانوريس - سوربييه - هنري - الطفل فرانسو ذي الخمسة عشر عاما وأخته الفتية لوسي»، وهم خلية من خلايا تنظيم مقاومة فرنسية في أعقاب قيامهم بعملية فاشلة، إذ يتعرضون تباعا لألوان من التعذيب متزايدة العنف، ليعترف أي منهم على الزعيم الذي يقودهم، فيقبض عليه. غير أن موقف التعذيب وما ينطوي عليه من بشاعة متزايدة لكسر الإرادة، لا يعتبر بحد ذاته موقفا استثنائيا، فأي منهم لا يعرف أين الزعيم جان؟ ويشعر أنه يتعذب مجانا وربما مات عبثا، فليس لديه ما يخفيه ويفخر بإخفائه ويتحمل التعذيب من أجله. ولكن ما يجعل الموقف استثنائيا بمعنى الكلمة تلك المصادفة التي تقذف جان بينهم بعد أن ألقت القوة الألمانية القبض عليه،



لغير تهمة المقاومة ومناهضة سـلطة الاحتلال، من دون معرفة بالطبع، أنه مـن يبحثون عنه، ولذا فبقاؤه مؤقت والإفراج عنه وشـيك. إن ظهور جان علـى هذا النحـو - وإن تولد عن مصادفة لم يدبرهـا أحد - يضفي على الموقف طابعا أسطوريا واستثنائيا بشروطه الحدية في الوقت نفسه، فإما أن يعترفوا عليه وينقذوا أنفسـهم من التعذيـب، وإما أن يحتملوا التعذيب، ويجـد كل منهم له معنى فيما يخفيه، ويجد شـعورا بالانتصار على معذبيه في صمته، وانتصارا لقضيته ككل. وفي هذا الإطار لا يتردد سوربييه في أن يقذف بنفسه من نافذة حجرة التعذيب، منتحرا حين أحس بجسده ينهار من التعذيب، ويوشك أن يعترف، ولا تتردد لوسي في تسليم عنق أخيها الصغير لقبضة هنري فيخنقه، لأنه هدد بالاعتراف، ولا يجد في صباه ما يعينه على احتمال التعذيب ويلتمس فيه معنى.

وفي «المومس الفاضلة» يتشـكل موقف اسـتثنائي آخـر في حياة ليزا الأمريكية العاهرة التي تعيش من بيع المتعة بجسـدها، إنها تمتهنه مختارة أو بضغط من ظرفها الاجتماعي، وربما وجدت فيه شـيئا يقيم أود حياتها ولـم تكـن مرت - من ناحية ثانية - بما يجعلها تكتشـف حدود حريتها في ذاتها، ولكن ما لبثت أن هاجمها موقف تجد نفسها فيه شاهد العيان الوحيد على جريمة قتل رجل زنجي بيد توماس الأبيض، وتتعرض لعديد من أشكال الإغراء لتغير شـهادتها، بدءا من ألفرد ابن عمة توماس وأحد زبائنها الذي يغريها بالمال ويسـكن جميل على ضفة النهـر، وأن يكون زبونا دائما ثلاث مرات أسـبوعيا، ويسـألها أن تدعي أن توماس قتـل الزنجي لإنقاذها من اعتدائه الجنسـي عليها، ويرى أن الزنجي مذنـب لمجرد أنه زنجي. لكنها تأبى أن تشـهد زورا، وتجد ليزا نفسـها أمام رجل الشرطة الذي يساومها ويهددها باقتيادها إلى السجن بتهمة البغاء الممنوع قانونا، لتغير شهادتها، لكنهـا تأبى أن تخضع للابتزاز والتهديد والمسـاومة. إن ليزا يطلبون منها



لأول مرة أمرا غير جسـدها، وقدرا من المتعة في فراشـها، لكن هل هذا الأمر يخضع لمساومة ومزايدة؟ هل يمكن القذف به في سوق المتعة ويوضع طواعية على الفراش؟ هل يقبل التثمين أصلا؟ أليس الرجل الزنجي إنسانا مثلها، ولماذا تسـترخص حياته في لون بشرته الذي لم يختره منذ ميلاده؟ وتسـترخص حياتها في مهنتها التي تمخضت عنها ظروفها؟ إن ليز تكتشف في المساومة على شهادتها والضغوط المتتابعة لتعديلها، هذه «الذات» التي تعد حقيقتها، على أنها «لاشيء» حر بحدوده الممكنة التي تتجاوز ما يقترن به من جسـد في الوقت نفسـه، وفيه كرامتها الإنسانية، وما يعد ضميرها الأخلاقي، الذي يأبى عليها أن تزور شهادتها وتكذب فيها.

وفي «جلسة سرية» يتشكل الموقف الاستثنائي باستعارة القبر من ناحية، ومصادفة وضع ثلاثة شـخوص بعضهم في مواجهة بعض من دون أن يعرف أحدهـم الآخر، وليس ثمة ما يبرر أي علاقة ممكنة بينهم، وعلى هذا النحو يتجسـد - في الوقت نفسه - مفهوم عرضية الوجود وعدميته، الذي يتعين علـى كل منهم أن يجد له معنى، ويتجاوزه. إن اسـتعارة القبر تفترض موت جارسـان إثر تلقيه ثلاث رصاصات في صدره عقـب القبض عليه محاولا الإفلات من التجنيد، إلى المكسـيك، بحجة أنه صحافي يدعو إلى السلام، ويود لو استأنف دعوته من هناك، ليس جبنا، بل اتساقا مع مبدئه، وتفترض الاسـتعارة نفسها أن استيل ماتت بداء الصدر، وأن إنيز توفيت بالغاز الذي فتحـت أنبوبتـه فلورنس عليهما. ولكنه قبر اسـتثنائي بكل ما ينطوي عليه من مفردات وطوابق عديدة فوقه، فلا زبانية يسـألون ولا خطافات حديدية يعلقون بها، ولا جمر يلقون فيه، أو سـياط تلهب ظهورهم، لا شيء فيه مما سـمعوا في المعـارف الدينية عن القبور. ولكن فيـه آرائك لا يحبونها من طراز الإمبراطورية الثانية في القرن التاسـع عشر، وفيه مصباح لا ينطفئ قط حتى أن أحدا منهم لا يسـتطيع أن ينعم بترف إغلاق عينيه ولو ثواني،



وفيه جرس يمكن أن يستدعي خادما، إلا أنهم لا يستطيعون أن يعولوا عليه كثيرا - فيما يقول الخادم نفسه - لأنه يعمل بمزاجه، وفيه منضدة لا شيء عليها إلا كتلة صماء لتمثال يجسد حشدا من الناس، وعليهم - من ناحية أخرى - أن يجدوا لهذا المكان بمفرداته معنى ما، ولحياتهم الاستثنائية فيه جدوى.

وككل أعمال سارتر لا شيء يحدث في جلسة سرية، فقط موقف يمتد بمعطيات وشروط موضوعية لا يتطور إلا من خلال استجابة الشخصيات له «هنا- الآن»، وحفزه إلى تذكر ما فات واستعادته «هناك - الماضي»، اكتشافا لأنفسهم ولمعناه وجدوى وجودهم فيه، وما يمكن أن يلتمسوه من حدود حريتهم بلا خداع، ومن مسؤولية عن أفعالهم إزاء أنفسهم وإزاء الآخرين مهما تكشفوا بوصفهم جحيما. على أن «جلسة سرية» - مع تركيزها المفرط وتكثيفها الذي يضفي عليها ضربا من الجمال الكلاسيكي - تُعد من بين أعمال سارتر دراسة متأنية لعلاقة «الأنا- الآخرين»، وما تنطوي عليه من فخاخ السقوط في سوء الطوية، وفي الوقت ذاته الحاجة الملحة إلى الاعتراف بالوجود الذي يهدد من ناحية أخرى بتشيؤ الأنا في مشروع الآخر، على نحو يخلع على العلاقة طابعا إشكاليا، لا مفر منه.

إن لكل من الشخصيات الثلاثة حياته الماضية وأفعاله فيها، التي يمارس معها خداع الذات ويحاول أن يصورها للآخرين باعتبارها اضطرارية ولم يكن له خيار فيها، وهكذا فإن جارسان لا يود أن يجد معنى لدمع زوجته ولا لنظرة الضحية في عينيها، وهو الذي طالما خانها في فراشها، ودعاها إلى خدمة عشيقاته في الفراش نفسه، ولا يود أن يجد علاقة بين «السلام» الذي عاشه مع زوجته على هذا النحو، و«السلام» الذي دعا إليه في الجريدة، وفر كي يستأنفه في المكسيك حين طُلب للتجنيد. وإستيل لا تريد أن تتحمل مسؤولية زيجتها من ثري عجوز، باعتبارها اضطرت إليها

لتنفق على أســـرتها الفقيرة، ولا تريد تحمل مســـؤولية خيانة الزوج نفسه، فقـــد أحبـــت، وتعين عليها أن تمنح نفســـها لمن تحب، ولا مســـؤولية قتلها لطفلها، لأنها خشـــيت أن يبعد عنها عشـــيقها، ولا تكاد تفهم بالتبعية لماذا فـــر منها العشـــيق الجديد إلى أحضان أولجا حين علـــم منها بما فعلته في طفلها. وإينيز لا تريد أن تتحمل مســـؤولية فلورانس بعد أن دمرت علاقتها بزوجها، وجرتها إلى جنس شاذ لم يكد يكتشفه الزوج حتى انتحر، ولا تجد فـــي فتح فلورانس صنبور الغاز عليهما - بعد ذلك - إلا حماقة أودت بهما. غير أن المواجهة بين الثلاثة التي بدت محتمة، لا تلبث أن تفسد لعبة خداع الذات أو سوء الطوية، وتحاصر كلا منهم في نفسه بحثا عن الدافع الكامن لأفعاله، بينما يســـأل الآخر خلاصا مســـتحيلا له. فإستيل تجد خلاصها في جارسان عشيقا يمنح أنوثة جسدها إحساسا متجددا بالوجود، لكنها لا تستطيع أن تمنحه حكما جديا بشجاعته أو جبنه، ولا تقبل في الوقت نفسه شـــذوذ إينيز. وإينيز يمكنها منح جارســـان حكما صادقا على فعله فتصبح إغـــراء لـه، ولكنهـا لا تريد أن تمنحـــه خلاصا يريحه ومجرد وجوده كرجل يستقطب إستيل منها، ويؤجل مشروعها الذي تتحقق فيه ذاتها، وهكذا فإن أي علاقة تنشـــأ بين اثنين، سرعان ما تسقط في فخ الثالث، فتتشكل دائرة «الأنا - الأنت - الآخر» المغلقة، بما يعنيه الآخر من جحيم وضرورة معا.

*****

نيكرا سوف



المنظر الأول

الديكور: ضفة نهر «السين»، قريبا من أحد الكباري، في ضوء القمر.

المشهد الأول

(المتشرد في نعاس، والمتشردة جالسة تحلم)

المتشردة : أوه!

المتشرد : (وقد استيقظ قليلا) إيه!

المتشردة : ياالجماله!

المتشرد : ماذا؟

المتشردة : القمر.

المتشرد : إنه ليس جميلا، نحن نراه كل يوم.

المتشردة : إنه جميل لأنه مستدير.

المتشرد : على كل حال إنه للأغنياء، وكذلك النجوم.

(يضطجع من جديد وينام)

المتشردة : كلمني! كلمني! (تهزه)

المتشرد : ألا تتركينني في سلام!

المتشردة : (منفعلة جدا) هناك! هناك! هناك!

المتشرد : (يفرك عينيه) أين؟



المتشردة : على الكوبري، إلى جوار فانوس الغاز، إنه رجل!

المتشرد : ليس في ذلك غرابة، إنه الموسم الآن.

المتشردة : إنه ينظر إلى القمر.. وهذا يضحكني، فقد كنت أنظر إليه كذلك منذ قليل. إنه يخلع سترته ويطويها. لا بأس به، أليس كذلك؟

المتشرد : على كل حال هو مخلوق ضعيف.

المتشردة : لماذا؟

المتشرد : لأنه يريد أن يغرق نفسه.

المتشردة : إني أحب الغرق، على شرط ألا ألقي بنفسي إلى الماء، بل أنام على ظهري واسترخي فيغمرني الماء من كل جانب، كأنه حبيب صغير.

المتشرد : ذلك لأنك أنثى.. فالذكر الحق حين يخرج من هذا العالم، لابد أن يحدث دويا.. وهذا الصبي لن يدهشني أن يتصرف قليلا مثل النساء. (يعود إلى رقاده)

المتشردة : ألا تنتظر لتراه وهو يقفز؟

المتشرد : هناك متسع من الوقت. ستوقظينني حينما يقرر أمره. (ينام)

المتشردة : (لنفسها) تلك هي اللحظة التي أفضلها، قبل القفز مباشرة، إذ تبدو عليه الوداعة. إنه ينحني وينظر إلى القمر في الماء. والماء ينساب والقمر في مكانه. (وهي تهز المتشرد) إنه يستعد، إنه يستعد! (صوت ارتطام الماء) لقد قفز في عزة نفس... أليس كذلك؟

المتشرد : باه! (ينهض)



المتشردة	:	إلى أين أنت ذاهب؟
المتشرد	:	سترته! لقد بقيت هناك، فوق.
المتشردة	:	لكنك لن تتركني وحدي مع هذا الغريق.
المتشرد	:	ليس هناك ما يخيفك. إنه في القاع. (يهم بالخروج) «ياللقرف» لم يمت.
المتشردة	:	ماذا؟
المتشرد	:	لا شـــيء، إنه الرأس الذي يعود إلى الظهور. الرأس وحده، وهذا طبيعي. (يجلس من جديد) فقط، عليَّ أن أنتظر قليلا، إذ مادام هو حيا فلن أمس ســترته، وإلا اعتُبر ذلك سرقة. (يطرقع بلسانه استنكارا)
المتشردة	:	ماذا؟
المتشرد	:	لا أحب ذلك.
المتشردة	:	ولكن ماذا؟ ما هو؟
المتشرد	:	إنه يعوم!
المتشردة	:	أوه! إنك لا ترضى عن شيء أبدا.
المتشرد	:	أنا لا أحب المعاندة.
المتشردة	:	معاندة أو غير معاندة.. سوف ينجو بجلده.
المتشرد	:	هذا لا يمنع أنه عنيد. ثم إن الســترة قد ضاعت عليَّ. أنا على الأقل، انتظر حتـــى يموت.. ولكني أراهنك أن أول مـــار علـــى الكوبري لن تكون عنده رقة إحســـاس. (يقترب من مربط مركب ويفك الحبل الذي يحيط به)
المتشردة	:	روبير، ماذا تفعل؟
المتشرد	:	(وهو يفك الحبل) أفك هذا الحبل.



المتشردة : لماذا؟

المتشرد : (الحركة نفسها) لألقيه إليه؟

المتشردة : ولماذا تريد أن تلقيه إليه؟

المتشرد : ليمسك به.

المتشردة : كف عـــن ذلك أيها التعـــس... ودع ذلك للمحترفين، فلزام علينا أن نظل كالزهور، نحن المتشردين، ويجب أن نبقى في المؤخرة، وإذا وضعت نفسك في المقدمة فسوف تنال جزاءك!

المتشرد : (مقتنعا) أيتها العجوز، إنك تتحدثين كعليمة بالأمور.

المتشردة : إذن لا تلق إليه بهذا الحبل.

المتشرد : بل لا بد أن ألقيه إليه.

المتشردة : لماذا؟

المتشرد : لأنه يعوم.

المتشردة : (تقترب من حافة الرصيف) كف عن ذلك! كف إذن! أرأيت.. فات الأوان، لقد غرق. نهاية طيبة.

المتشرد : (ينظر بدوره) يالبؤسنا! (يعود إلى النوم)

المتشردة : والسترة؟ ألا تذهب لإحضارها؟

المتشرد : لم يعد لدي دافع لهذا العمل، هاك رجل مات لأنه لم يجد من ينقذه، وهذا يجعلني أفكر في نفســـي.. لو أنهم ساعدوني في الحياة... (يتثاءب)

المتشردة : أسرع ياروبير، أسرع!

المتشرد : دعيني أنم.



المتشردة : أقول لك أسـرع! الحبل! إنه يطفو على سـطح الماء من جديد. (تحث المتشرد على النهوض) أيها الوغد! أتترك رجلا في ضائقة؟

المتشرد : (ينهض وهو يتثاءب) إذن فقد غيرت رأيك؟

المتشردة : نعم.

المتشرد : (وهو ينتهي من فك الحبل) لماذا؟

المتشردة : لأنه عاد يطفو على سطح الماء.

المتشرد : فلتفهموا النساء إذن! (يلقي بالحبل)

المتشردة : لقد ألقيت به في المكان المطلوب. (مسـتاءة) تصور! إنه لا يمسك به!

المتشرد : (يسـحب الحبل) كلهن سواء! هاك رجل ألقى بنفسه منذ لحظة في الماء، وتريدين أن يدع نفسه يخرج منه بدون احتجاج! ألا تعرفين إذن ما هي الكرامة؟ (يلقي الحبل مرة أخرى)

المتشردة : لقد أمسك به! لقد أمسك به!

المتشرد : (وقـد خاب ظنه) ولم يتظاهر حتـى بالاحتجاج ولو قليلا. أقول لك إنه فتى طري العود.

المتشردة : إنه يسـحب نفسـه بمفرده. لقد نجا، ألست فخورا بنفسـك؟ إني أحـس بالفخر، كأنني أنجبت منك طفلا.

المتشرد : أرأيت، ترين أنه ليس في الحياة سوى أشرار الناس. لو أنـي التقيـت مخلوقا مثلـي لكي ينتشـلني من القذى... (يظهر جورج يقطر ماءً)



المشهد الثاني

الشخصيات نفسها وجورج.

جورج : (مهتاجا) ياعصبة مغفلين.

المتشردة : (في حزن) هذا جزاؤنا!

المتشرد : إنه الجحود الإنساني.

جورج : (يمسك بالمتســول من سترته ويهزه) وما شأنك أنت أيها البشع؟ أتظن أنك العناية الإلهية؟

المتشرد : لقد اعتقدنا...

جورج : لا شـــيء البتـــة! الليل مضيء كالنهـــار، ولم يكن من الممكن أن تســـيء فهـــم نواياي، كنت أريـــد أن أقتل نفسي أتفهم؟ هل ســـقطتما إلى الحضيض حتى لا تحترما آخر رغبة لرجل يحتضر؟

المتشرد : لم تكن تحتضر.

جورج : بلى، بما أني كنت في طريقي إلى الموت.

المتشرد : لم تكن في طريقك إلى الموت حيث إنك لم تمت.

جورج : لم أمت لأنكما تعديتما على رغبتي الأخيرة.

المتشرد : أي رغبة؟

جورج : رغبة الموت.

المتشرد : لم تكن الأخيرة.

جورج : بل كانت الأخيرة.

المتشرد : كلا، فقد كنت تعوم.

جورج : مرحـى! كنت أعوم قليلا في انتظار الغرق. لولم تلق إلي بالحبل...

المتشرد : إيه! ولو لم تمسك به...

جورج : لقد أمسكت به لأني كنت مضطرا إلى ذلك...

المتشردة : وما الذي اضطرك؟

جورج : أقول لك: الطبيعة البشرية، فالانتحار ضد الطبيعة!

المتشرد : فأنت تعرف جيدا...

جورج : ماذا أعرف؟ هل أنت من الطبيعيين؟ كنت أعلم جيدا أن طبيعتي سوف تحتج، ولكني كنت قد أعددت العدة لكي يأتي ذلك بعد فوات الأوان: البرد يخفت حياتي. كل شـيء كان مدبرا مقدما، كل شيء سوى أن يأتي عجوز أحمق فيستغل أضعف مشاعري لنفسه.

المتشرد : لم نكن نفكر في شر.

جورج : وهذا هو عين ما أعيبـه عليكما! كل الناس يفكرون في الشـر. ألم تكن تستطيع أن تفعل مثل كل الناس؟ لوكنت تفكر في الشـر لانتظرت مليـا حتى أغرق، ولصعدت إلى الكوبري بعـد ذلك في هدوء لتلتقط السـترة التي تركتهـا هناك. وبذلك كنت أسـعدت ثلاثة أشخاص: أنا، الذي كنت سأصبح ميتا، وأنتما الاثنان، لأنكما كنتما ستكسبان ثلاثة آلاف فرنك.

المتشرد : السترة تسـاوي ثلاثة آلاف فرنك؟ (يريد أن يتسلل، فيمسك به جورج)

جورج : ثلاثة آلاف على الأقل، وربما أربعة. (المتشـرد يريد أن يتسلل فيمسك به جورج) الزم مكانك! مادمت أنا حيا فملابسي ملكي.



المتشرد : يا للأسف!

جورج : سترة جميلة وجديدة تماما، من الصوف وعلى أحدث طراز، ومبطنة بالحرير، ولها جيوب داخلية! ضاعت منك علـى رغم أنفك، ولسـوف أحملهـا معي إلى المـوت. هل فهمت أيها الأبلـه؟ لقد كانت مصلحتك في أن أموت.

المتشرد : كنت أعرف ذلك ياسـيدي، ولكن لم يكن همي سوى مصلحتك أنت.

جورج : (في عنف) ماذا قلت؟ أيها الكاذب!

المتشرد : كنت أريد أن أسدي إليك خدمة.

جورج : أنت تكذب! (المتشـرد يريـد أن يحتج) ولا كلمة وإلا الضرب.

المتشرد : اضرب ماشئت، إني أقول الحقيقة.

جورج : لقد عشت خمسا وثلاثين سنة، أيها العجوز، وجربت كل الموبقات، وكنت أظن أني عرفت مشاعر الإنسان. ولكـن كان لا بـد أن أنتظر آخر أيامـي لكي يتجرأ مخلـوق فيعلن في وجهي (مشـيرا إلى النهر) وأمام فـراش موتي أنه أراد أن يؤدي لـي خدمة. لا أحد، أتفهم جيدا، لا أحد يسـدي خدمة إلى أحد. لحسن الحظ! كنت تعلم أني سـأصبح أسير معروفك، أنا.. أسـير معروفك! أترى: إني أضحك من ذلك. أفضل أن أضحك من ذلك. (ينتابه شـك ما) خلصني مما أشك فيه، أو تظن مثلا أني أدين لك بحياتي؟ (يهزه) أجب!

المتشرد : كلا ياسيدي، كلا.



جورج : لمن هي حياتي؟

المتشرد : إنها لك.

جورج : (يترك المتشـرد) نعم، أيها العجوز، إنها لي، ولا أدين بها لمخلوق، ولا حتى لوالديَّ اللذين كانا ضحية خطأ في الحســاب. من الذي أطعمنــي ورباني، من الذى واســى أحزاني الأولى؟ من الذي حماني من أخطار العالم؟ أنا، أنا وحدي! إني أدين بكل شــيء لنفســي وحدهــا. أنا صنيع أعمالي. (يمسـك المتسـول من تلابيبه) قل لي السـبب الحقيقي الذي دفعك! أريد أن أعرفه قبل أن أموت.

النقــود، هيــه؟ أكنت تظــن أني ســأعطيك بعض النقود؟

المتشرد : يا سيدي، من ينتحر يقتل نفسه لفقره.

جورج : إذن، لا بد أن هناك شــيئا آخر. (يلتمع ذهنه فجأة) فهمت، ذلك أنكما شيطانان تملؤهما الكبرياء.

المتشرد : (مأخوذا) نحن؟

جورج : قلت في نفسك «هاك رجل ذو قيمة، مهندم محترم، يوحي وجهه – ولو أنه ليس شديد الوسامة – بالذكاء والحيوية، ومن المؤكد أن هذا السيد يعرف ما يريد. وإذا كان قــد قرر وضع نهاية لأيامه فلا بد أن يكون ذلك لأســباب قوية، حســن، أنا، أنا فــأر البلوعة، الخنفساء، كل الحشرات الموجودة ذو العقل المتعفن، أنــا أرى أكثــر وضوحا مــن هذا الرجــل، وأعرف مصلحته كما لا يعرفها هو، وأقرر مكانه أن يعيش!» أليس هذا من الكبرياء؟



المتشرد : يا ربي..

جورج : نيــرون كان ينتزع العبيد مــن أحضان زوجاتهم لكي يلقي بهم إلى السمك. وأنت، أشد قسوة منه، تنتزعني من الســمك لكي تلقي بي إلى الإنســان. ألم تسأل نفســك، على الأقل: ماذا يريــد أن يفعل بي أولئك الرجال؟ كلا، فأنت لم تتبع ســوى هواك. يا لفرنسا المســكينة، ماذا عســاها أن تصبح لو أن متشرديها حققوا لأنفسهم شهوات الإمبراطور الروماني!

المتشرد : (مرتعبا) يا سيدي...

جورج : نعــم، الإمبراطور الرومانــي! إن متعتكم الكبرى هي أن تضيعــوا الموت على أولئــك الذين ضاعت عليهم حياتهم. فأنتم قابعون فــي الظلام تتربصون بالذي يئس من حياته لكي تديروا شؤونه.

المتشرد : أي شؤون؟

جورج : لا تتظاهر بالبراءة يا كاليجولا! لكل منا شؤونه، ونحن نطرب حين يعــرف كل منا كيف يديرها. لقد دفعت ثمن تجاربي، فلقد لعبت هذه اللعبة عشــر سنوات. فقط، لم أكن الذي ينقض، كما تفعلون، على الأطفال الشهداء والفتيات المخدوعات والآباء العاطلين. كنت أذهب إلى الأغنياء في بيوتهم، في عظمة سطوتهم، وأبيــع لهم الهــواء، آه! إن الحياة لعبــة بوكر، فورقة الســبعة المضاعفة تكســب ورق كاريــه آس، مادام شــخص متمثل بكاليجــولا وقح مثلك يســتطيع أن يلعب بي في ضوء القمر، أنا الذي كنت ألهو بعظماء الرجال! (فترة صمت) حســن وبعد، سألقي بنفسي إلى الماء. طابت ليلتكما.



المتشرد والمتشردة	:	طابت ليلتك.
جورج	:	(يعود إليهما) لن تعيدا الكرة؟
المتشرد	:	نعيد الكرة..؟
جورج	:	نعم، هذا الحبل لن...
المتشرد	:	أوه ! إن كان ذلك فاطمئني ! أقسم لك أننا لن نعيد الكرة.
جورج	:	وإذا ترددت؟
المتشرد	:	سنفرك أيدينا.
جورج	:	وإذا استغثت؟
المتشرد	:	سنغني لنغطي على صوتك.
جورج	:	عظيم! هذا عظيم! (لا يتحرك)
المتشرد	:	عمت مساء.
جورج	:	كم من الوقت ضاع! كان لا بد أن أكون ميتا منذ عشر دقائق.
المتشرد	:	(في حياء) أوه يا سيدي، عشر دقائق، لا قيمة لها.
المتشردة	:	حينما تكون الأبدية أمام المرء، مثلما هي أمامك.
جورج	:	حبذا لو أراكما فيها! لقد كانت الأبدية أمامي، هذا حق. ولكني تركتها تفلت مني لسوء تصرفكما، ولم أعد أعرف كيف أدركها.
المتشرد	:	لا أظن أنها بعيدة.
جورج	:	(مشيرا إلى النهر) لا تبحث عنها، إنها هنا. والمسألة هي أن نلحق بها. افهمني، لقد كان عندي الحظ



النــادر أن أمــر على الكوبري، وأن أكون يائســا في الوقت نفسه، وهذه المواكبة للأمور يصعب أن تحدث كثيرا، والدليل على ذلك أني لم أعد على الكوبرى.. وإنــى آمل - أقول آمل - أن أكون لاأزال يائســا. آه! هاهم!

المتشرد : (يقفز فزعا) من؟

جورج : مبررات تفكيري في المــوت (يعد على أصابعه) كلها موجودة.

المتشرد : (مســرعا) نحن لا نريد أن نستبقيك ياسيدي، ولكن مادمتَ وجدتها...

المتشردة : (توا) فإذا لم يكن في ذلك تطفل منا...

المتشرد : (توا) يسرنا أن نعرفها.

المتشردة : (توا) نحن نرى غرقى كثيرين هذه الأيام.

المتشرد : (توا) ولكن لا تتاح لنا كل يوم فرصة الحديث معهم.

جورج : أغربي أيتها النجوم. وأنت أيتها الســماء لم تعد لك حاجة إلى القمر. نحن البشــر في حاجة إلى شمس تعلو الشمس كي نتكشف حقيقة السخف الإنساني. (للمتشــردين) كيف تسمحان لأنفســكما بأن تطلبا مني معرفة دواعي موتي؟ إنه أنا أيها البائســان، أنا الذي أطلب منكما معرفة دواعي حياتكما.

المتشرد : دواعي حياتنا... (للمتشردة) أتعرفينها أنت؟

المتشردة : كلا.

المتشرد : نحن نعيش هكذا... هكذا...



المتشردة : مادمنا وُلدنا علينا أن نستمر أحياء حتى القضاء.

المتشرد : إننا ندرك النهاية دائما، ولا داعي لنا للقضاء قبل الميعاد.

جورج : ستدركانها، ولكن في أي حال؟ ستصبحان جيفة قبل أن تصبحا جثتين هامدتين. اغتنما هذه الفرصة التي أقدمها لكما. أعطياني أيديكما ولنقفز معا، فالموت ثلاثة يصبح حفلا مسريا.

المتشردة : ولكن لماذا نموت؟

جورج : لأنكما قد سقطتما، فالحياة ما هي إلا حالة فزع في مسرح يشتعل نارا. كل امرئ يبحث عن باب الخروج ولا أحد يجده. وكل الناس تتخبط في كل الناس. ويا لتعاسة من يسقطون. تطؤهم الأقدام على الفور.. هل تشعران بثقل أربعين مليونا من الفرنسيين يدوسون على وجهيكما؟ أما أنا فلن يدوس أحد على وجهي. لقد اعتديت على كل جيراني، وأنا اليوم حطام. حسن، طابت ليلتكما. إني أفضل أن أدخن على أن تسحقني الأحذية. أو تعرف أني حملت السم طويلا في فص خاتم؟ يا له من طيش: كنت أعد من الأموات، وكنت أرسم الخطط فوق مستوى القدرة الإنسانية وأتأملها بعين فنية مجردة. أي زهو كان يملؤني. أنا صاحب الأمر في مولدي وموتي، وكما أني كنت صنيع أعمالي فأنا أيضا قاتل نفسي. لنقفز أيها الرفاق. إن الفارق الوحيد بين الرجل والحيوان هو أن الرجل يستطيع اقتراف قتل نفسه، أما الحيوان فلا. (يحاول أن يجر معه المتشرد)

المتشرد : اقفز أنت أولا ياسيدي، أريد أن أفكر.



جورج	:	لم أقنعك إذن؟
المتشرد	:	ليس تماما.
جورج	:	حقا، لقد آن الأوان لكي أتلاشى من الوجود: إنـــي أنحــدر فلم يكن أمامي ســوى أن أتكلــم لكي أقنع. (للمتشردة) وأنتِ؟
المتشردة	:	كلا.
جورج	:	كلا!
المتشردة	:	بصراحة ومن دون تكليف.
جورج	:	هيا تعالي. ســتموتين بين ذراعـــي فنان. (يحاول أن يجرها)
المتشرد	:	امرأتـــي، يا إلهي، امرأتـــي، إنها لـــي، إنها زوجتي! النجدة! النجدة!
جورج	:	(يترك المتشـــردة) اسكت أنت. سيسمعونك. (أضواء على الكوبري ومن بُعد. صوت صفارات)
المتشرد والمتشردة	:	(يريان أضواء البطاريات الكهربائية) الشرطة!
جورج	:	إنه أنا الذي يبحثون عنه.
المتشرد	:	هل أنت ممن يقتحمون المنازل؟
جورج	:	(وقد أهين) أو لي هيئة اللص أيها الرجل الطيب؟ ما أنا إلا نصاب. (صفـــارات. متفكرا) الموت أو خمس سنوات أشغالا شاقة؟ هذه هي المسألة.
المتشرد	:	(ينظـــر إلـــى الكوبري) يبـــدو عليهم أنهـــم يريدون النزول.
المتشردة	:	ماذا قلت لك ياروبير؟ ســيقبضون علينا كشـــريكين



له في جرائمه، وسـيضربوننا حتى الموت. (لجورج) أتوسـل إليك ياسـيدي، إن كان لايزال في نيتك أن تقتل نفسك فلا تتحرج من أجلنا. بل سنكون شاكرين لـك هذا الفضل إن اتخذت قرارك قبلما يقبع رجال الشـرطة على صدورنا. نرجوك ياسـيدي، قدم لنا هذه الخدمة.

جورج : أنـا لم أقدم خدمة لمخلوق قـط. ولن أفعل ذلك في يوم موتي (المتشـرد والمتشردة يتشـاوران بالنظر ثم ينقضان على جورج ويحـاولان دفعه إلى الماء) هيه، لا! ماذا تفعلان؟

المتشرد : نحن نساعدك يا سيدي.

المتشردة : وحيث إن أهم شيء هو الخطوة الأولى...

المتشرد : فنحن نريد أن نسهلها عليك.

جورج : ألا تتركانني؟

المتشرد : (وهو يدفعه) لا تنسَ أنك على الأرض ياسيدي.

المتشردة : قد وقعت وانتهيت وضعت!

المتشرد : وسيمشي الناس على وجهك.

جورج : وهل تدفعان طفلكما إلى الغرق؟

المتشردة : طفلنا؟

جورج : أنا طفلكما. وقد قلت أنت ذلك منذ لحظة. (يدفعهما عنه فيوقعهما أرضا) لي حقوق عليكما أيها القاتلان! عليكمـا أن تحميا الابن الـذي دفعتما به إلى العالم على غير رغبة منه! (ينظر إلى اليمين وإلى اليسار) هل لدي الوقت للهرب؟



المتشرد : إنهم قادمون من الجانبين.

جورج : إذا ألقوا القبض عليَّ فسيضربونكما. إذن مصلحتي هي مصلحتكما. هذا ما أحبه: أن يكون في إنقاذي إنقاذكما، وهكذا لن أكون مدينا لكما بشيء، ولا حتى العرفان بالجميل. ما هذا؟ (يشير إلى بقعة سوداء على الرصيف)

المتشرد : إنها ثياب زائدة للغيار.

جورج : أعطني إياها. (يعطيه المتشرد إياها) حسنا! (يخلع سرواله ويرتديها) أي قذارة، إنها مملوءة بالقمل. (يلقي بنطلونه في النهر) دلكوني.

المتشرد : لسنا خادمين لك.

جورج : أنتما أبي وأمي. دلكاني وإلا الضرب. (يدلكانه) هاهم.. أقبلوا، سأستلقي وأنام. قولا إنني ابنكما. (يستلقي)

المتشرد : لن يصدقونا.

جورج : سيصدقون إن تحدثتما من قلبيكما.

المشهد الثالث

السابقون والمفتش جوبليه واثنان من الشرطة.

المفتش : مساء الخير يا أحبائي.

المتشرد : (تذمر مبهم) إيه... إيه!

المفتش : من الذي صرخ؟



المتشردة : متى؟

المفتش : منذ لحظة.

المتشردة : (مشيرة إلى زوجها) لقد كان هو.

المفتش : ولماذا كان يصرخ؟

المتشردة : كنت أضربه.

المفتش : أحق ما تقول؟ أجب! (يهزه)

المتشرد : لا تلمسني. نحن في ظل حكم جمهوري، ولي الحق أن أصرخ كلما ضربتني امرأتي.

المفتش : صه! صه! كن حليما، رقيقا: أنا من الشرطة.

المتشرد : أنا لا أخاف الشرطة.

المفتش : وهذا خطأ.

المتشرد : لماذا؟ لم أرتكب سوءا.

المفتش : فلتثبت ذلك.

المتشرد : عليك أنت أن تثبت أنني متهم.

المفتش : ليس أحب عليَّ من ذلك، ولكن الشرطة فقيرة. فنحن نفضل الاعترافات التي لا تكلف شيئا على الأدلة التي لا تقدر بثمن.

المتشرد : أنا لم أعترف بشيء.

المفتش : ستعترف، كن مطمئنا. وسيتم كل شيء بالقانون. (للشرطيين) احملاهما معكما.

الشرطي الأول : وبماذا سنجعلهما يعترفان أيها الرئيس؟

المفتش : حسنا! جريمة يونتواز وسرقة شارانتون. (الشرطيان



يجران المتشـــردين) قف! (يتقدم من المتشردين، وفي لطف) ألا يمكن أن نســوي المســألة كأصدقاء نحن الثلاثة؟ سيؤسفني إن أساء أحد إليكما.

المتشردة : نحن لا نطلب أحسن من ذلك يا سيادة المفتش.

المفتش : إني أبحث عن رجل عمره ٣٥ ســنة، طوله متر وثمانية وسبعون سنتيمترا، شعره أسود، عيناه رماديتان، يرتدي بدلة من التويد وهو غاية في الأناقة. هل رأيتماه؟

المتشرد : متى؟

المفتش : هذة الليلة.

المتشرد : أنا؟! شرفا لم أره. (للمتشردة) وأنت؟

المتشردة : أوه، كلا! رجــل جميل إلى هــذه الدرجة، تعلم جيدا أني لو كنت رأيته لما نسيته. (جورج يسعل)

المفتش : من هذا؟

المتشردة : إنه ولدنا الكبير.

المفتش : لماذا تصطك أسنانه؟

المتشردة : لأنه نائم.

المتشرد : وحينما ينام تصطك أسنانه، وهذا يحدث له منذ طفولته.

المفتش : (للشــرطيين) هزاه. (الشــرطيان يهزان جورج الذي يعتدل ويفرك عينيه)

جورج : حينما يكون للمرء سحنة كسحنتنا، فلا داعي لإيقاظ الناس عنوة.

المفتش : أنا المفتش جوبليه. كن مؤدبا.



جورج : مؤدب؟ لم أفعل شيئا. وأنا رجل شريف جدا ومؤدب. (للمتشردة) كنت أحلم يا أمي.

المفتش : ولم توقظك صرخات أبيك؟

جورج : هل صرخ؟

المفتش : كخنزير يذبحونه.

جورج : إنه يصرخ في كل وقت، وقد تعودت ذلك.

المفتش: : في كل وقت؟ لماذا؟

جورج : لأن أمي تعذبه دائما.

المفتش : تعذبه، ولا تمنعها أنت من ذلك؟ ولماذا؟

جورج : لأني في صف أمي.

المفتش : هل رأيت رجلا طويلا أسمر، وله عينان رماديتان ويرتدي بدلة من التويد؟

جورج : نعم رأيته، هذا الوغد! إنه هو الذي كان يريد أن يلقي بي في الماء.

المفتش : متى؟ أين؟

جورج : في منامي.

المفتش : أيها الأبله (يدخل الشرطي مهرولا)

الشرطي : لقد وجدنا سترته على الكوبري.

المفتش : إذن فقد قفز إلى الماء. أو أنه يريدنا أن نعتقد ذلك. (للمتشردين) هل سمعتما شيئا؟

المتشردة : كلا.

المفتش : (للشرطيين) أتظنان أنه غرق في الماء؟



الشرطي الأول : لا أظن.

المفتش : وأنا أيضا. إنه وحش كاسر هذا المخلوق، وسيحارينا حتى آخر أنفاسه. (يجلس على حافة الماء) اجلسا يارفاق. أجل، أجل، اجلسا. نحن جميعا متساوون أمام الفشل. (يجلس الشرطيان) لنستمد الراحة من مشاهدة الطبيعة. يا لجمال نور القمر! أترى الدب الأكبر؟ أوه! والأصغر! في هذه الليلة البديعة تصبح مطاردة الرجال متعة.

الشرطي الأول : يا للأسف!

المفتش : تعرف، لقد قلت ذلك للرئيس. قلت له: «ياسيدي، أفضل أن أقول لك إني لن أقبض عليه!». إني لا أتصف بالقوة ولا يخجلني ذلك. فالعاديون منتشرون على الأرض. أعطني قاتلا عاديا وأنا أقبض لك عليه في أقل من لمح البصر. فعديمو القوة يفهم بعضهم بعضا ويقدر بعضهم بعضا. ولكن هذا الرجل أنا لا أشعر به. إنه نصاب العصر، الرجل الذي لا وجه له. لقد ارتكب مائة واثنتين جريمة احتيال، ولم ينل حكما واحدا، ماذا أفعل؟ إن العبقرية تحرجني إذ لا أستطيع تبينها. (للشرطيين) أين هو؟ ماذا يفعل؟ ما هي ردود الفعل عنده؟ وكيف تريدني أن أعرف. هؤلاء ليسوا من طينتنا (ينحني إلى الإمام) يا إلهي! ما هذا؟ (يتناول السروال) سرواله؟

الشرطي الأول : لا بد أنه تخلص منه لكي يعوم.

المفتش : مستحيل. لقد وجدته على الدرجة الثالثة من السلم، فوق سطح الماء. (جورج يتحرك إلى اليسار ويختفي) انتظرا قليلا. لقد خلع ملابسه هنا، وكان عليه أن



يجد غيرها.. وهذه الملابس... تبا له! (يستدير إلى المكان الذي تركه جورج) اقبضوا عليه! اقبضوا عليه! (يبدأ الشرطيان في العدو)

المتشرد : إيرما؟

المتشردة : روبير؟

المتشرد : هل فهمت؟

المتشردة : فهمت. أعطني يدك.

المتشرد : وداعا يا إيرما.

المتشردة : روبير، وداعا.

المفتش : (يستدير إليهما) أما أنتما أيها الوغدان... (المتشردان يقفزان في الماء وأيديهما مشـــابكة) أخرجوهما من المـــاء! أخرجوهما... اقبضوا عليـــه! اقبضوا عليه! (يسرع الشرطيان فيلقيان بأنفسهما في الماء. المفتش يمسح جبهته من العرق) لقد قلت حقا إني لن أقبض عليه.

(ستار)



المنظر الثاني

الديكـور: مكتب جول بالوتان مدير جريدة «سـوار آباري» (مسـاء في باريس)، مكتب كبير له، ومكتب صغير للسـكرتيرة. مقاعد، تليفون... إلخ، ملصقات لسواري. مرآة. على الحائط ثلاث صور لبالوتان.

المشهد الأول

جول والسكرتيرة.

جول : (ينظر إلى صور فوتوغرافية له) إنها تشبهني كفاية. ما قولك؟

السكرتيرة : إني أفضل هذه.

جول : تناولي دبابيس وسنعلقها كلها على الحائط. (يعلقان الصور على الحائط وهما يتكلمان)

السكرتيرة : لقد انعقد مجلس الإدارة.

جول : متى؟

السكرتيرة : أمس.

جول : من دون إخطـاري؟ هذا لا ينتظر منـه خير. وماذا قالوا؟

السكرتيرة : لقد حاول لوسيان أن يسـتمع، لكنهم كانوا يتكلمون بصوت خافت جدا. وحين خروجهم قال الرئيس إنه سوف يمر عليك اليوم ليراك.

جول : الموضوع شائع يا فيفي، الموضوع شائع. هذا العجوز النحيل يريد رقبتي. (تليفون)

السكرتيرة	:	آلو... نعم، حســن يا سيدي. (لجول) ماذا قلت لك؟ إنه هو: يسأل إن كنت تستطيع استقباله بعد ساعة.
جول	:	مؤكد، مادمت لا أستطيع منعه.
السكرتيرة	:	نعم يا ســيدي الرئيس. حســن يا ســيدي الرئيس. (تعيد السـماعة) بخيل! مراب! أبرص! (طرق على الباب) ماذا هناك؟
		(يفتح الباب ويبدو سيبيلو)

المشهد الثاني

سيبيلو وجول والسكرتيرة.

جول		أهو أنت يا ســيبيلو؟ ادخل. ماذا تريد؟ إني أمنحك ثلاث دقائق فقط. (يدخل سيبيلو) اجلس. (جول لا يجلس أبدا، بل يقطع الحجرة سيرا) وبعد؟ تكلم.
سيبيلو	:	منذ سبع سنوات يا سيدي قررتم أن تكرسوا الصفحة الخامسة لمحاربة الدعاية الشيوعية. وقد شرفتموني حينمـا عهدتم إلي بها كاملـة. ومنذ ذلك التاريخ وأنا أفني نفســي في هذه المهمة. أنــا لا أبالي إن كنت قد فقــدت صحتي وشــعري وبشاشــتي. وإذا وجب، في ســبيل خدمتكم، أن أصبح أكثر تعاسة وحنقا من ذلك لما ترددت لحظة واحدة. ولكن هناك أمرا لا أســتطيع التراجــع فيه مــن دون أن تعاني الجريدة نفســها من ذلك: إنه الضمان المادي. إن الكفاح ضد الانفصاليين الخارجــين على الدولــة يتطلب الاختــراع والتكتيك والحساسية، ولكي نؤثر في النفوس فأنتم تعلمون أنه



يجـــب على المرء أن يكون إلـــى حد ما خصب الخيال. وهـــذه الخصال لا تنقصني والحمـــد الله، ولكن كيف أبقي عليها إذا كانت الهموم الخارجية تطحنني؟ كيف أنتقم بالسخرية اللاذعة، والملاحظة القارصة، والكلمة التي لا ترحـــم.. كيف أصور الفاجعـــة الخطيرة التي تهددنـــا، وأتنبأ بنهاية العالم إذا كان حذائي يتســـرب إليه الماء، ولا أستطيع إصلاحه.

جول : كم تكسب؟

سيبيلو : (مشيرا إلى السكرتيرة) اطلب إليها أن تخرج. (ينظر إليه جول في دهشة) أرجوك، فقط لحظة واحدة.

جول : (للســـكرتيرة) اذهبي لإحضار «البروفة». (تخرج) ما الذي يمنعك من الكلام أمامها؟

سيبيلو : يخجلني أن أصرح بما أكسب.

جول : هل هو كثير جدا؟

سيبيلو : بل قليل جدا.

جول : كم إذن؟

سيبيلو : سبعون ألف فرنك.

جول : سنويا؟

سيبيلو : كل شهر.

جول : ولكنه أجر محترم جدا، ولا أرى فيه ما يخجلك.

سيبيلو : إني أقول للجميع إني أكسب مائة.

جول : حســـنا! استمر. أنا أســـمح لك بأن ترفع الرقم إلى مائة وعشرين. سيظنون أنك تكسب تسعين.



سيبيلو : شكرا ياسيدي... (فترة) أو لا تستطيع أن تعطيني هذا المبلغ حقيقة؟

جول : (يقفز فزعا) المائة والعشرين؟

سيبيلو : أوه! كلا. التسعين. منذ خمس سنوات وزوجتي في المستشفى، ولم أعد استطيع أن أفي بحاجتها إلى العلاج.

جول : (يمسك بجبهته) هل مرضها... (سيبيلو يصدق على كلامه بالإشارة)... مما يستعصي علاجه؟ (إشارة جديدة بالمصادقة) يا لك من مسكين. (فترة) وابنتك؟ كنت أظنها تساعدك.

سيبيلو : إنها تفعل ما تستطيعه، ولكنها ليست غنية. ثم لا توافقني على أفكاري.

جول : لا دخل للأفكار في النقود.. ماذا تقول؟

سيبيلو : ذلك أنها... تقدمية.

جول : هيا! هيا! ستشفى من ذلك بعد حين.

سيبيلو : وإلى ذلك الحين تجد أن ميزانيتي مرتبطة بما أقوله عن موسكو، وهذا أمر يثقل على نفسي من يحترف العداء للشيوعية.

جول : على العكس، إنك تؤدي واجبك، ومادمت تسيطر على ما تقوله في موسكو فأنت لن تضار.

سيبيلو : وحتى بما أقوله عن موسكو، فنهاية كل شهر عندي كالكابوس.

جول : (وقد انتابه شك) انظر إليّ يا سيبيلو. في عيني. في عيني. مباشرة. هل تحب مهنتك؟

سيبيلو : نعم يا سيدي.



جول	:	وأنا يا صغيري، هل تحبني؟
سيبيلو	:	نعم يا سيدي.
جول	:	إذن قل ذلك.
سيبيلو	:	سيدي، أحبك.
جول	:	خير من ذلك.
سيبيلو	:	أحبك.
جول	:	برود! برود! برود! سيبيلو، إن جريدتنا هي الحب، فهي حلقة الاتصال بين الطبقات، وأنا أريد أن يعمل زملائي فيها ودافعهم إلى ذلك هو الحب. ولو كنت أشك في أنك تؤدي وظيفتك طمعا في الربح لما أبقيت عليك لحظة واحدة أكثر من ذلك.
سيبيلو	:	تعلم يا سيدي أن الفرصة لممارسة الحب في الصفحة الخامسة... ليست متوافرة دائما.
جول	:	هذا خطأ ياسيبيلو! ففي الصفحة الخامسة تجد الحب بين السطور. إنك تجاهد حبا في الحب ضد الأوغاد الذين يريدون تعطيل الإخاء بين الطبقات بأن يمنعوا البرجوازية من أن تضم إليها مكملتها البروليتاريا. إنها مهمة عظمى، وأنا أعرف أناسا يتخذون من ملء هذه الصفحة واجبا من دون مقابل. وأنت؟ أنت الذي شاء حظك السعيد أن تخدم أنبل القضايا، وتنال فوق ذلك أجرا عاليا. تجرؤ على طلب علاوة مني؟ (تدخل السكرتيرة بالجريدة) دعنا الآن، وسأدرس حالتك بعين الرعاية.
سيبيلو	:	شكرا يا سيدي.

جول : أنا لا أعدك بشيء.

سيبيلو : شكرا يا سيدي.

جول : ســأناديك حينما أكون قد اتخذت قراري. إلى اللقاء يا صديقي.

سيبيلو : إلى اللقاء يا سيدي. شكرا. (يخرج)

المشهد الثالث

جول والسكرتيرة.

جول : (للسكرتيرة) إنه يربح سبعين ورقة في الشهر، ويريد مني أن أرفع أجره. ماذا تقولين في ذلك؟

السكرتيرة : (محتجة) أوه!

جول : لا تدعيه يطــأ أرض هذه الحجرة بعد الآن. (يتناول الجريــدة ويتصفحهــا) أوه ! أوه! أوه! (يفتــح باب مكتبه) تافرنييه.. بيريجور.. اجتماع الصفحة الأولى. (يدخل تافرنييه وبيريجور. تخرج السكرتيرة)

المشهد الرابع

جول وتافرنييه وبريجور والسكرتيرة.

جول : مــاذا هنــاك يــا أبنائي؟ همــوم غراميــة؟ متاعب صحية؟

تافرنييه : (في دهشة) لا أعتقد...



بيريجور : (في دهشة) لا أظن...

جول : إذن فلم يعد أحد يحبني؟

تافرنييه : أوه! جول.

بيريجور : أنت تعلم جيدا أن الجميع يهيمون بك.

جول : كلا، أنتم لا تهيمون بي. أنتم تحبونني قليلا لأني لطيف، ولكنكم لا تهيمون بي. ليس الحماس هو الذي ينقصكم، بل هي حرارة العاطفة. في عروقي تسري النيران، ويحيطني أناس فاترون: تلك هي تعاستي الكبرى.

تافرنييه : ماذا فعلنا ياجول؟

جول : لقد ضربتم الصفحة الأولى بوضعكما مانشيتات تضحك منا السفلة.

بيريجور : وماذا يجب أن نضع أيها الرئيس؟

جول : أنا الذي أسألكم يا أبنائي. اقترحوا! (صمت) ابحثوا جيدا. أريد مانشيتا يتناقله الناس، مانشيتا ذريا! لقد مضت علينا ثمانية أيام ونحن راكدون.

تافرنييه : يمكن تناول موضوع المغرب.

جول : كم قتيلا؟

بيريجور : سبعة عشر.

جول : آه! اثنان زيادة على أمس. ينشر في الصفحة الثانية، والعنوان هو «مراكش: مظاهرات ولاء مؤثرة». وعنوان صغير «العناصر الشريفة من الشعب لا تؤيد

(*) كرات حديدية تلقى من مسافات لقياس قوة الدفع والأبعاد، وهي لعبة منتشرة في أوروبا في الساحات الخضراء والحدائق العامة.



المتمردين». هل لدينا صورة للسلطان السابق وهو يلعب لعبة الكرات؟(*).

تافرنييه : في الأرشيف.

جول : في الصفحة الأولى. في الوسط تعليق على الصورة: «يبدو أن سلطان مراكش السابق قد اعتاد إقامته الجديدة».

بيريجور : كل هذا لا يعطي المانشيت الكبير.

جول : هذا حق. (يفكر) أدينهاور؟

تافرنييه : لقد تشاحن معنا بالأمس.

جول : نزدريه، ولا كلمة. الحرب؟ كيف حالها اليوم؟ باردة؟ ساخنة؟

بيريجور : لا بأس بها.

جول : فاترة، باختصار. إنها تشبهكما. (بيريجور يرفع إصبعا) لديك عنوان؟

بيريجور : «شبح الحرب يبتعد».

جول : لا، يا أبنائي، لا. ليبتعد شبح الحرب كيفما شاء، ولكن ليس في الصفحة الأولى. في الصفحة الأولى تقترب الحروب. وفي واشنطن، ألم يثرثر أحد؟ آبيك، دالاس؟

بيريجور : إنهم لا يتكلمون.

جول : ماذا يفعلون هناك؟ (تافرنييه يرفع إصبعا) هيا...

تافرنييه : « أمريكا تلتزم الصمت المحير».

جول : كلا.



تافرنييه : ولكن...

جول : أمريكا لا تقلق، إنها تطمئن.

بيريجور : «أمريكا تلتزم الصمت المطمئن».

جول : «مطمئن»، ولكن يا عزيزي أنا لست وحدي، عليَّ واجبات نحو المساهمين. أتظن أنه يسعدني أن أضع لفظ «مطمئن» في عنوان ضخم حتى يستطيع الناس رؤية الطمأنينة من بُعد؟ وإذا كانوا مطمئنين سلفا، فلماذا تريدهم أن يشتروا مني الجريدة؟

تافرنييه : (يرفع إصبعه) «صمت سوفييتي مقلق».

جول : مقلق؟ الاتحاد السوفييتي يقلقك الآن؟ والقنبلة الهيدروجينية إذن؟ ما هي؟ أليست مثيرة لقلق العصافير؟

بيريجور : إني أقترح عنوانا أكبر «أمريكا لا تعد خطرا...» وتحته «الصمت السوفييتي المقلق».

جول : إنك تعاكس أمريكا ياصغيري! إنك تبحث عن متاعب لا داعي لها.

بيريجور : أنا؟

جول : سحقا! إن كان هذا الصمت مقلقا فإن أمريكا تخطئ إن لم تقلق له.

بيريجور : واشنطن لا تعتبر خطيرا ولا بسيطا، الصمتَ المقلق في الاتحاد السوفييتي.

جول : ما هذا؟ مانشيت جريدة أم حمولة الفيلة المتوحشة! الإيقاع ياسادة، الموسيقى. لا بد من السرعة! السرعة! السرعة! الجريدة لا تحمل بالكلام، بل



تصاغ بالمشـــاعر. أو تعرف كيف يكتـــب الأمريكيون عنوانك هذا؟ «U. R. S. S : صمت U. S. A ابتسام» هذا هو التأرجح! آه! لمـــاذا لا يوجد عندي محررون أمريكان؟! (تدخل السكرتيرة) ماذا؟

السكرتيرة : عمدة ترافادجا حضر.

جول : (لبيريجور) المصورون هنا؟

بيريجور : كلا.

جول : كيف! ألم تستدع المصورين؟

بيريجور : ولكني لم أكن أعلم...

جول : دعيه ينتظر، واجمعي كل مصوري الدار! (لبيريجور) كـــم من مـــرة قلت لـــك إني أريـــد جريدة بشـــرية! (الســـكرتيرة خرجت) نحن بعيدون جدا عن القراء. من الآن فصاعدا لا بد أن تقترن «ســـوار آباري» في ذاكرة الجميع بوجه مألوف، مبتسم، حنون. أي وجه يا تافرنييه؟

تافرنييه : وجهك يا جول.

جول : (لبيريجور) لقد تهدمـــت مدينة ترافادجا إثر انهيار الجليـــد علـــى الجبال بكميـــات هائلـــة، وقد حضر عمدتها اليوم لتســـلم نقـــود حملـــة التبرعات التي نظمناهـــا. كيف لـــم تفهم يا بيريجـــور أن هذه هي فرصتـــي لكي أظهر، وللمرة الأولـــى، لزبائننا القراء وأنا أعكس لهم كرمهم الخاص؟ (تدخل السكرتيرة)

السكرتيرة : المصورون موجودون.

جول : أدخلي العمدة. (تخرج) أين ترافادجا؟ بسرعة.



بيريجور : في بيرو.

جول : متأكد؟ لقد كنت أظنها في شيلي.

بيريجور : لا بد أنك تعلم ذلك خيرا مني.

جول : (لتافرنييه) وأنت؟ ماذا تظن؟

تافرنييه : كنت أميل إلى الاعتقاد أنها في بيرو. ولكن من المؤكد أن الحق معك. إنها...

جول : لا أريد مداهنة! أنا لا يخجلني أن أكون عصاميا في تعليمي! هات خريطة العالم! (يحضرها ويجثو جول أمامها) لا أجد بيرو.

تافرنييه : فوق وعلى اليسار. ليس فوقا إلى هذا الحد: هنا.

جول : ما هذا! إنها صغيرة كمنديل الجيب. وترافادجا؟

تافرنييه : هي النقطة السوداء على اليمين.

جول : (في جفاف) لك رؤية أفضل مني يا تافرنييه.

تافرنييه : معذرة ياجول.

(يدخل عمدة مدينة ترافادجا، يتبعه المصورون)

المشهد الخامس

عمدة ترافادجا وجول وتافرنييه وبيريجور والسكرتيرة والمترجم ومصورون.

جول : يا إلهي... أين الشيك؟ (يبحث في جيوبه)

تافرنييه : في جيب السترة.

جول : ولكن أين السترة؟



العمدة : (كأنما هو يتأهب لإلقاء خطبة) نا...

جول : (فـي عجلة) صبـاح الخير ياسـيدي. قف في هذا الجانب (للمصورين) عليكم به. اشغلوه.

العمدة : نا... (المصورون يحيطون به. أضواء الماغنسيوم)

جول : تافرنييه، بيريجور! ساعداني. (على أربع تحت المكاتب)

العمدة : نا... (صور) نا... (صور)

جول : يخرج جاكتته من تحت منضدة، ويخرج منها شـيكا. صيحة انتصار). وجدته!

العمدة : نا... صور «أوجدجا»...! (ينفجر باكيا)

جول : (للمصوريـن) أسـرعوا، يـا إلهـي! أسـرعوا...! (للسـكرتيرة) اكتبي تعليق الصورة «عمدة ترافادجا يبكـي امتنانا أمام مديرنا».. (المصورون قد التقطوا صورهـم. العمدة لايزال يبكـي) للمترجم: قل له أن يكف عن البكاء. لقد التقطت الصور.

المترجم : «أو كا ري».

العمدة : أو سي كا مي نو.

المترجم : لقد أعد العمدة خطابا في الطائرة وهو يبكي لأنهم يمنعونه من إلقائه.

جول : ستترجم أنت الخطاب، وسوف ننشر نصه بالكامل.

المترجم : راكا شوابو.

العمدة : «بايم بون».

المترجم : إنه يصر على إلقائه. ولتسمح لي سيادتكم بأن ألفت نظركم إلى أن مدينة ترافادجا تقع على ارتفاع ٣٨١٠



أمتار فوق سطح البحر، وأن الأكسجين هناك قليل. ولما كان الخطباء يضيق تنفسهم بسرعة لذلك، فقد اعتادوا الاقتضاب في الحديث.

جول : بسرعة! بسرعة إذن!

العمدة : (ببطء) نافوكي. نوفوكا. كيكوري.

المترجم : لن ينسى أطفال ترافادجا أبدا كرم الشعب الفرنسي. (فترة)

جول : وبعد؟

المترجم : هذا هو كل الخطاب.

جول : (يعطي الإشارة للتصفيق) يا للخطاب الرائع! (لبيريجور) أظن أنه يحسُن على أي حال أن نضيف إلى خطابه بعض الوقائع. (للعمدة) والآن نحن الاثنان ياترافادجا. (يمد إليه يده بالشيك. العمدة يتناوله) خذوه منه! بسرعة! إنه للتصوير. (يأخذون الشيك من العمدة)

المصور : (يأتي بمجلد من الأرشيف ويضعه على الأرض) جول.

جول : ماذا؟

المصور : لو تتفضل بالوقوف على هذا المجلد.

جول : لماذا؟

المصور : يتم عطاء الكرم من أعلى إلى أسفل.

جول : إذن فلتضع مجلدين (يصعد فوق المجلدين ويمد يده بالشيك. العمدة يتناوله. أضواء).

المصور : مرة أخرى! (يتناول الشيك من العمدة ويناوله لجول. الحركة نفسـها) مرة أخرى (الحركة نفسها. العمدة يأخذ في البكاء)

جول : كفى بكاء أرجوك! كفى! (يضع الشيك في يد العمدة. (للمترجم) كيف تقولون إلى اللقاء؟

المترجم : لا بي دا.

جول : (للعمدة) لا بي دا !

العمدة : لا بي دا. (يتبادل مع جول القبل)

جول : (يضـم العمـدة بين ذراعيـه) أعتقد أنـي أبكي، يا أطفالي. صورة، بسـرعة! (صور. جول يمسح دمعة بإصبعـه ويريها للعمدة. وكذا يفعـل العمدة ويلمس إصبع جول بإصبعه. صورة)

جول : (للمصورين) اذهبوا به في نزهة إلى المدينة: كنيسـة السـاكر - كـور، قبـر الجـندي المجهـول، ملهى الفولي - بيرجيسير. (للعمدة) لا بي دا.

العمدة : (يخرج بظهره وهو ينحني بالتحية) لا بي دا، لابي دا. (المصورون والمترجم يخرجون)

المشهد السادس

جول وتافرنييه وبيريجور والسكرتيرة.

جول : أبنائي، هل هناك متعة أعظم من فعل الخير؟ (فجأة) أوه! أوه! أوه!



بيريجور : (في قلق) جول...

جول : الصمت يا أبنائي: أحس بفكرة تراودني.

بيريجور : (للسكرتيرة وكانت تكتب على الآلة الكاتبة) كفى يا فيفي، كفى: هاك الفكرة (صمت. جول يقطع الحجرة طولا وعرضا)

جول : أي يوم نحن؟

بيريجور : الثلاثاء.

جول : عظيم، أريد تخصيص يوم للإحسان أسبوعيا، سيكون الأربعاء. إني أعتمد عليك يا بيريجور. ابتداء من الجمعة، استدع ضحايا الكوارث ومن بقوا على قيد الحياة وأيتاما عراة ولاجئين. يوم السبت تفتح باب التبرعات، ويوم الأربعاء تعلن النتيجة. فهمت يا صغيري؟ ماذا تعد لنا الأربعاء المقبل؟

بيريجور : حسنا.. أنا.. ولماذا لا نبدأ بالمشردين؟

جول : بالمشردين؟ رائع! وأين يقيم هؤلاء المشردون؟ في كاراكاس؟ في بورتوريكو؟

بيريجور : كنت أفكر في المشردين عندنا.

جول : أنت مجنون! لا بد أن يكون منكوبونا ضحايا الكوارث الطبيعية على وجه التحديد. وإلا فسوف تهين الحب في قصص بائسة عن الظلم الاجتماعي. هل تتذكر حملتنا «كل الناس سعداء»؟ في ذلك الحين لم نقنع تماما كل الناس. حسنا، هذا العام سوف نقوم بحملة جديدة: «كل الناس طيبون»، وسترى: كل الناس سيصدقوننا. وهذا ما أسميه أنا خير دعاية ضد الشيوعية. إليّ



بالعنوان يا أبنائي! العنوان! ماذا كنتم تقترحون؟

تافرنييه : لـم نكن نقترح شـيئا يا جـول. كنا نفكـر في مواد الجريدة.

بيريجور : فعدا السبعة عشر قتيلا في مراكش...

تافرنييه : (مسترسلا)... وحادثتي انتحار، ومعجزة في تروفيل، وتبادل مذكرات دبلوماسية.. وسرقة مجوهرات...

بيريجور : (مسترســلا)... وأربع حوادث تصــادم على الطريق وحادثتين على الحدود...

تافرنييه : (مسترسلا)... عدا ذلك لم يحدث شيء قط.

جول : لا جديد! وتشكوان؟ ماذا يلزمكما؟ سقوط الباستيل؟ قسم الجودي بوم؟ يا أبنائي، أنا جريدة حكومية وليس عليَّ أن أكتب التاريــخ، مادامت الحكومة تصر على عدم كتابته والجمهــور لا يريده. لكل مهنته، التاريخ من اختصاص المؤرخين، وللجرائد اليومية الأحداث اليوميــة. واليومي على عكس مــا هو جديد. إنه ما يحدث كل يوم منذ بدء الخليقة، سـفاح، سـرقات، غوايــة قصّر، أفعــال طيبة، وجوائز عــن الفضيلة. (تليفون) ماذا؟

السكرتيرة : (التي تناولت السماعة) إنه لانسيلو يا سيدي.

جول : آلو! أوه! آه! في أي ساعة؟ حسن حسن حسن. (يعيد السماعة) لقد عثرنا على المانشيت يا أبنائي: جورج دي فاليرا قد هرب منذ قليل.

بيريجور : المحتال؟

تافرنييه : الرجل ذو الخمسين مليونا.



جول : هو نفسه، إنه عبقري العصر. تضعون صورته في الصفحة الأولى بجوار صورتي.

تافرنييه : الخير والشر يا سيدي الرئيس.

جول : الحنان والخسة من العواطف الهادئة للمعدة. ولا تنسوا أن جريدتنا تصدر بعد الظهر. (تليفون) ماذا؟ ماذا؟ لا! لا! أليست هناك تفصيلات؟ أوه! أوه! أوه! حسن. (يعيد السماعة) يا إلهي! يا إلهي! يا إلهي!

تافرنييه : هل ألقوا القبض عليه؟

جول : كلا، ولكن العناوين الكبيرة لا تأتي بمفردها أبدا. منذ لحظة كان ينقصنا مانشيت، والآن عندنا واحد زائد.

تافرنييه : ماذا حدث؟

جول : وزير الداخلية السوفييتي اختفى.

بيريجو : نيكراسوف؟ هل هو في السجن؟

جول : أبشع من هذا، يبدو أنه اختار الحرية.

بيريجور : وماذا يعلمون عن ذلك؟

جول : لا شيء تقريبا، وهذا هو ما يضايقني. لم يذهب إلى الأوبرا يوم الثلاثاء الماضي، منذ ذلك التاريخ لم يره مخلوق.

تافرنييه : من أين جاء الخبر؟

جول : من وكالة رويتر، ومن وكالة الأنباء الفرنسية.

تافرنييه : ووكالة تاس؟

جول : ولا كلمة.

تافرنييه : آه!

جول : نعم، آه!

تافرنييه : وبعد؟ ماذا نفعل؟ نيكراسوف أم فاليرا؟

جول : نيكراسوف. لنضع «اختفاء نيكراسوف»، وفي عنوان صغير: «يبدو أن وزير الداخلية السوفييتي قد اختار الحرية!». هل عندكم صورة له؟

بيريجور : أنــت تعرفها ياجول: كأنها صورة قرصان، فهو يضع شريطا أسود اللون على عينه اليمنى.

جول : ضعوها بجوار صورتي لكي نحافظ على التباين بين الخير والشر.

بيريجور : وصورة فاليرا؟ جول في الصفحة الرابعة. (تليفون) لو كان هذا عنوانا كبيرا آخر فأنا سيئ الحظ.

السكرتيرة : آلو؟ نعم. نعم يا ســيدي الرئيس. (لجول) إنه رئيس مجلس الإدارة.

جول : دعي البخيل يصعد.

السكرتيرة : (في التليفون) نعم يا سيدي الرئيس. حالا يا سيدي الرئيس. (تضع السماعة)

جول : (لتافرنييه وبيريجور) اختفيا يا أبنائي... نراكما بعد قليل.

(بيريجور وتافرنييه يخرجان. جول يتأمل جاكتته في حيرة وارتباك ثم يرتديها بعد لحظة تردد)



المشهد السابع

جول وموتون والسكرتيرة.

جول : صباح الخير يا عزيزي الرئيس.

موتون : صباح الخير يا عزيزي بالوتان. (يجلس) اجلس إذن!

جول : إني أفضل البقاء واقفا، إن لم تر لذلك مانعا.

موتون : أرى لذلك موانع كثيرة. كيف تريدني أن أحدثك إن وجب علي أن أبحث عنك من دون توقف في أرجاء هذا المكتب؟

جول : كما تريد. (يجلس)

موتون : لقد حضرت لأبلغك خبرا رائعا: اتصل بي وزير الداخلية تليفونيا أمس، وقد تفضل فأفهمني أنه ينوي منحنا وحدنا الحق في إعلانات العمل.

جول : إعلانات العمل؟ هذا.. هذا.. لم نكن نحلم به.

موتون : أليس كذلك؟ وعلى أثر هذا الحديث التليفوني بادرت بدعوة مجلس الإدارة إلى الانعقاد. وقد اتفق جميع أصدقائنا على تأكيد أهمية هذا القرار العظيم: نستطيع أن نحسن مستوى الجريدة مع تخفيض النفقات.

جول : نخرج الجريدة في عشرين صفحة، ونضرب «باري - برس» و «فرانس سوار».

موتون : وسنكون أول جريدة يومية تنشر صورا ملونة.

جول : وماذا يريد الوزير مقابل ذلك؟



موتون : أوه ياصديقي العزيز! لا شـــيء، لا شيء مطلقا، نحن نقبل المعروف حينما يشـــهد بجدارتنا واســـتحقاقنا له، ونأباه إن كان فيه شراء للضمائر. الوزير الشاب مرح رياضي، وهـــو يريد أن يبعث الحيوية في قلوب زملائـــه، ويكون حكومة «مـــودرن» حديثة. وحيث إن «سوار آباري» جريدة الحكومة، فهو يعطيها الوسائل لكي تجدد نفســـها، ولتصبح أهـــلا للعصر. حتى أن الوزير تفـــوه بهذه الكلمة اللذيذة، «فلتصبح الجريدة الرديئة جريدة المواجهة».

جول : (ينفجر ضاحكا، ثم يتوقف فجأة ويقول في جد) هل قال عن جريدتنا إنها جريدة رديئة؟

موتون : كانـــت فرحة. ولكن علي أن أقـــول لك حقا إن بعض زملائـــي قد نبهوني إلى أن «ســـوار آبـــاري» تراخت قليلا هذه الأيام. إن إدارة الجريدة على أحســـن ما يرام، ولكن لم يعد المرء يجد فيها ذلك الطابع اللاذع الذي يبهر الجمهور.

جول : لا بـــد أن نضع في اعتبارنا زوال حدة التوتر العالمي. وقـــد كان بيريجور يقول لي منـــذ لحظة، ويحق، إن شيئا لا يحدث الآن.

موتون : بالطبـــع! بالطبع! أنت تعلم أني أدافـــع عنك دائما. ولكني أفهـــم ما يعنيه الوزير بقوله: النظرة الجديدة للسياسة الفرنســـية ســـتأخذ طابع الحدة، وسوف يســـاندنا أكثر من زملائنا حينما نقدم ما يشهد لنا. وعليه، فتلك فرصة ســـانحة لكي نبـــين أن لدينا ما يطلبونـــه من «حدة في الطبـــع» وباختصار، هاك ما تفضل عليَّ الوزير بمعرفته: ستجرى انتخابات جزئية



في مدينة سين مارن. إنها الدائرة التي اختارها الشيوعيون ليختبروا فيها قوتهم. والحكومة تتقبل هذه التجربة، وسوف تجرى الانتخابات مع أو ضد تسليح ألمانيا. أنت تعرف مدام بونومي، إنها مرشحة الحكومة، وهذه الزوجة المسيحية، وهي أم لاثني عشر طفلا كلهم أحياء، تشعر بدقات قلب الجماهير الفرنسية. ودعايتها الانتخابية بسيطة ومؤثرة، يجب أن تكون مثلا يحتذى لرجالنا السياسيين ولمديري جرائدنا الكبرى. انظر إلى هذا الملصق. (يخرج ملصقا من حقيبته وينشره، وقد كتب على «الأفيش» يتحقق الإخاء بإعادة التسليح، وفي أسفله قليلا: «لكي نحمي السلام كل الوسائل ممكنة، ولتكن حتى الحرب». كم هو مباشر هذا الأفيش! حبذا لو رأيته معلقا على حائطك.

جول : (للسكرتيرة) فيفي! دبابيس! (السكرتيرة تعلق الملصق على الحائط)

موتون : لو أن الكفاءة هي التي تريح دائما، فستريح مدام بونومي المعركة من دون مشقة. ولكن الموقف للأسف ليس شديد الإشراق، فلسنا نستطيع الاعتماد في البداية إلا على ثلاثمائة ألف صوت، وللشيوعيين مثل هذا القدر، وربما أكثر قليلا. وسوف يتغيب نصف عدد الناخبين كما هي العادة، ويبقى نحو مائة ألف صوت لا بد أنها ستذهب إلى المرشح الراديكالي «بيردربير». وهذا يعني إعادة الانتخابات بسبب عدم كفاية الأصوات، ويعني أن المرشح الشيوعي قد يكسب في الدورة الثانية.

جول : (الذي لا يفهم) آه! آه!



موتون : ولكـــي يتجنب الوزير ما يســـميه – من دون خوف – مصيبة، لا يرى غير وســـيلة واحدة: أن يحصل على تنازل مـــن «بيردرير» لمصلحة مدام «بونومي»، ولكن بيردرير لا يريد أن يتنازل.

جول : بيردرير؟ إنني أعرفه. إنه العدو اللدود للسوفييت. لقد تناولنا العشاء على مائدة واحدة.

موتون : وأنا أعرفه أكثر من ذلك: إنه جاري في الريف.

جول : لقد صرح لي بآراء فطنة عاقلة.

موتون : تريد أن تقول إنه يدين سياسة الاتحاد السوفييتي؟

جول : هو ذاك.

موتون : وهـــذا هو الرجل: يكره الشـــيوعيين. ولا يريد إعادة تسليح ألمانيا.

جول : تناقض محير غريب!

موتون : وموقفه هذا موقف عاطفي محض. أو تعرف حقيقة الأمـــر؟ لقد اجتـــاح الألمان ضيعته فـــي ١٩٤٠ وفي ١٩٤٤ نفوه.

جول : وبعد؟

موتون : هذا كل ما في الأمر. وهو لا يريد أن يعرف شيئا، ولا ينسى شيئًا.

جول : أوه!

موتون : لاحظ أن نفيه كان بسيطا للغاية، إذ لم يستغرق سوى ثمانية شهور أو عشرة.

جول : الدليل على ذلك أنه عاد منه.



موتون : (يهــز كتفيه) المســألة أنه يعيش علــى ذكريات. إنه مصــاب بالجرمانوفوبيا.. مرض الخوف من الألمان. وهذا أمر سخيف نظرا إلى أن التاريخ لا يعيد نفسه، ففي الحرب العالمية المقبلة ســتكون الأرض الروسية هي التي يجتاحها الألمان، وسيكون الروس هم الذين سينفون منها.

جول : طبعا.

موتون : وأنت تدرك جيدا أنه يعلم ذلك!

جول : وهذا لا يزعزع معتقداته؟

موتون : علــى العكــس، فلــو أنهم وضعــوا له روســيين في بوشــاينفالد، لتظاهــر بأنه لا يحتملهم. (ابتســامة خفيفة) وحينما يحدثه أحــد عن الألمان تثور ثائرته فيرى كل شــيء باللون الأحمــر. (ضحكة مؤدبة من جــول) وعليه فأنــت تعلم الآن كل شــيء. بيردريير يخاف الألمان أكثر من الروس، وسيتناول عن ترشيح نفسه لو أنك جعلته يخاف الروس أكثر من الألمان.

جول : لو أنك جعلته... من تقصد بقولك «أنك»؟

موتون : أنت.

جول : أنا؟ وكيف تريدني أن أفعل؟ وليس لي تأثير عليه.

موتون : لا بد من التأثير عليه.

جول : بأي وسيلة؟

موتون : إن مائة الألف ناخب الذين ســيعطون أصواتهم من قراء «سوار آباري».

جول : وبعد؟



موتون : كن جادا وانشر الرعب.

جول : الرعب؟ ولكني لا أفعل غير ذلك. إن صفحتي الخامسة كلها مكرسة للخطر الأحمر.

موتون : بالضبط. (صمت خفيف) يا عزيزي بالوتان، لقد كلفني المجلس أن أخبرك أن صفحتكم الخامسة لم تعد تساوي شيئا على الإطلاق. (جول ينهض) أتوسل إليك يا صديقي أن تظل جالسا. (ملحّا) أرجوك أن تتفضل بالجلوس. (جول يجلس من جديد) قديما كنا نقرأ الصفحة الخامسة فنستفيد. إني أذكر تحقيقك الصحافي القيم عن «الحرب غدا!». كنا نتنفس القلق. وصورك الملفقة عن ستالين يدخل، على حصان، كاتدرائية نوتردام وهي تشتعل! إنها روائع خالصة. ولكن منذ أكثر من عام وأنا ألاحظ تهاونا يثير الشك وتغافلا يعد إجراما. كنت تتحدث عن المجاعة في الاتحاد السوفييتي فيما مضى، أما الآن فلم تعد تتكلم عن ذلك. لماذا؟ أو تدعي أن الروس يأكلون عندما يجوعون؟

جول : أنا؟ لا أدعي ذلك.

موتون : منذ أيام رأيت صورة نشرتها في الجريدة عن «ربات بيوت سوفييتيات يقفن صفا أمام محل بقالة». ويذهلني أن أقرر أن بعض أولئك السيدات كن يبتسمن، وأن جميعهن يلبسن أحذية. أحذية في موسكو؟ طبعا كانت صورة دعائية لموسكو تناولتها خطأ على أنها من وكالة الأنباء الفرنسية. أحذية! ولكن كان يجب عليك أن تقطع أقدامهن على الأقل. ابتسامات! في الاتحاد السوفييتي! ابتسامات!



جول : لم أكن أستطيع قطع رؤوسهن.

موتون : ولم لا؟ هل أعترف لك؟ لقد ساءلت نفسي إن كانت أفكارك لم تتغير!

جول : (في عزة نفس) أنا جريدة موضوعية، جريدة الحكومة وآرائي لا تتبدل مادامت الحكومة لا تبدل آراءها.

موتون : حسن، حسن جدا. وأنت ألست قلقا؟

جول : ولمَ أكون كذلك؟

موتون : لأن الناس قد بدأوا يطمئنون.

جول : يطمئنون؟ ألا تظن أنك تبالغ يا عزيزي الرئيس؟

موتون : أنا لا أبالغ أبدا. منذ عامين أقيم حفل ساهر في الهواء الطلق في مدينة روكامادور، وفجأة وقعت صاعقة على بعد مائة متر من المكان، فساد فزع رهيب وتوفي مائة شخص. وقد أعلن في التحقيقات كل من نجوا من الموت أنهم ظنوا أن طائرة سوفييتية كانت تمطرهم بالقنابل. وهذا ما يثبت أن الصحافة الموضوعية كانت تقوم بدورها خير قيام. حسن. وأمس نشر المعهد الفرنسي للرأي العام I. F. O. P نتائج استقصائه الأخير. هل علمت بذلك؟

جول : ليس بعد.

موتون : لقد سأل الخبراء عشرة آلاف شخص من كل الأوساط وكل الطبقات. وقد أجاب عشرة من المائة عن هذا السؤال: «أين ستموت؟» بأنهم لا يعرفون. والبقية، أي الأغلبية العظمى، أجابوا بأنهم سيموتون في الفراش.

جول : في فراشهم؟

موتون : على أسرتهم. وكانوا فرنسيين من الطبقة الوسطى، من قارئي جريدتنا.. كم هي بعيدة روكامادور، وأي انتكاسة في عامين.

جول : ولم يرد أحد ليقول إنه سيموت متفحما، متفتتا، متبخرا.

موتون : في فراشهم؟

جول : ماذا؟ ولا أحد ذكر القنبلة الهيدروجينية، والشعاع القاتل، والغبار الذري، ورماد الموت، والأمطار الكبريتية؟

موتون : على أسرتهم، في منتصف القرن العشرين، ومع التقدم المذهل في العلوم والتكنيك يظنون أنهم سيموتون في فراشهم، كما كانت الحال في العصور الوسطى! آه ياعزيزي بالوتان، دعني أقل لك بكل صراحة: أنت مذنب كبير.

جول : (ينهض) ولكن لا دخل لي بهذا مطلقا.

موتون : (ينهض هو الآخر) جريدتك لينة، فاترة، ماسخة، تثير الدموع! أمس أيضا تكلمت عن السلام. (يتقدم نحو جول)

جول : (يتراجع) كلا!

موتون : (يتقدم نحوه) بلى. وفي الصفحة الأولى.

جول : (الحركة نفسها) ليس أنا، إنه مولوتوف، لم أفعل سوى أنني نشرت خطابه.

موتون : (يتقدم نحوه) لقد نشرته كاملا، وكان يجب أن تنشر مقتطفات منه.

جول : إنها مقتضيات الإعلام..

موتون : وهـل هذا يهـم إن كان العالم في خطـر؟ لقد وحَّد الرعب بـين دول الغرب الكبرى، فـإذا أعدت إليهم الطمأنينة فمن أين تستقي هذه الدول القوة لتحضير الحرب؟

جول : (وقد التصق بالمكتب) الحرب؟ أي حرب؟

موتون : الحرب المقبلة.

جول : ولكني لا أريد حربا.

موتون : لا تريـد حربا؟ ولكن قل لي يا بالوتان: أين تظن أنك ستموت؟

جول : عندي...

موتون : عندك...؟

جول : في... ماذا! وماذا يدريني؟

موتون : إنـك محايد تجهل حقيقة نفسـك، مسـالم، تاجر أوهام!

جول : يقفز على مجلداته ويصرخ.. دعني في سـلام! في سلام! في سلام! في سلام!

موتون : في سـلام! أنت ترى جيدا أنك تريده. (فترة صمت. جـول يهبط إلى الأرض) هيـا اجلس على مقعدك، ولنهدئ أنفسنا. (جول يجلس) لا أحد يجهل قيمتك العظيمـة. ولقد كنت أقول بالأمـس مرة أخرى في المجلـس: إنك نابليون الأخبـار الموضوعية، ولكن أو تصبح نابليون الحدة؟



جول : سأصبح ذلك أيضا.

موتون : برهن عليه.

جول : كيف؟

موتون : هات لنا تنازل بيردريير عن ترشيح نفسه. قم بحملة مرعبة وضخمة. مزق أحلام قرائك المرضية. بين أن بقاء فرنسا حية يعتمد على الجيش الألماني والتفوق الأمريكـــي. اجعلنـــا نرهب الحياة أكثـــر مما نرهب الموت.

جول : ... سأفعل ذلك.

موتون : لـــو أن هـــذه المهمة تخيفـــك، فلايـــزال هناك وقت للتراجع.

جول : إنها لا تخيفني (إلى السكرتيرة) دعي سيبيلو يصعد بسرعة.

السكرتيرة : (في التليفون) أرسلوا سيبيلو.

جول : آه! يـــا لهم من أغبياء مســـاكين! يا لهـــم من أغبياء مساكين!

موتون : من؟

جول : القراء! إنهم يصطادون الســـمك في هدوء، ويلعبون الورق، ويمارســـون الحب كل مساء، وينتظرون الموت في الفراش. سأفسد عليهم لذتهم.

موتون : لا تلن يا صديقي. فكر في نفســـك، حيث إن مركزك مهدد جدا. وفكر فيَّ أنا الذي أدافع عنك دائما أبدا، وفكر على الخصوص فـــي الوطن. غدا صباحا في العاشرة، سينعقد مجلس الإدارة، وحبذا لو استطعت



أن تضع مشـــروعاتك الجديدة تحـــت أيدينا . لا، لا .
دعك فـــي مكانك جالســـا، ولا توصلني مرة أخرى.
(يخرج ويقفز جول على قدميه، ويذرع الحجرة جريا
تقريبا)

جول : يا إلهي، اللعنة! (يدخل سيبيلو)

المشهد الثامن

جول وسيبيلو والسكرتيرة.

جول : اقترب.

سيبيلو : سيدي، أنا أشكرك.

جول : لا تشكرني ياسيبيلو، لا تشكرني قبلا..

سيبيلو : آه! إني أصر على شكرك مقدما، ومهما يكن قرارك. لم
أكن أفكر ياسيدي في أنك ستتاديني بهذه السرعة.

جول : لقد أخطأت.

سيبيلو : لقــد أخطأت.. لقد أخطأت لأن الحب كان ينقصني
فمن فرط ما كنت أفضح الشــر وأشــهر به، انتهيت
إلـــى أن أراه في كل مـــكان، ولم أعـــد أومن بالكرم
الإنســـاني. وباختصار ياسيدي الإنســـان، الإنسان
نفسه قد أصبح في نظري مريبا.

جول : وهل اطمأن قلبك الآن؟

سيبيلو : تماما. ومن هذه اللحظة أحب الإنسان وأومن به.



جول : أنت محظوظ. (يقطع الحجرة في خطى سـريعة) يا صديقي، لقد فتحت مناقشاتنا عيني. ألم تقل لي ان مهنتك تتطلب الاختراع؟

سيبيلو : إن كان على ذلك، فنعم...

جول : وتتطلب الحساسية واللياقة إلى حد الشعر؟

سيبيلو : نعم، هذا حق.

جول : أي باختصـار، ومن دون أن نخشـى ضخـام الكلم، تتطلب نوعا من العبقرية.

سيبيلو : ما كان لي أن أتجرأ فأقول...

جول : أوه! ولمَ هذا الحرج إذن!

سيبيلو : حسن! بشكل ما!

جول : عظيم. (فترة صمت) هاك ما يثبت أنك لست الرجل الذي يلزمني على الإطلاق. (سيبيلو ينهض ويحتج) ابق جالسـا! أنـا الرئيـس، وأنا الذي أسـير هنا! وسأسير إلى الغد إن أردت!

سيبيلو : لقد قلت؟

جول : اجلس. (سيبيلو يجلس) قلت إنك غير كفء، ومشوش الفكر ومخرب. لباقة؟ مهارة؟ أنت؟ إنك تسمح بنشر صور لنسـاء سوفييتيات في معاطف من الفراء، في أقدامهن أحذيـة، وكأنهن ملـكات، ويضحكن حتى آذانهن! الحق يا سيبيلو أنك وجدت هنا ملاذا ومرتعا لأيامك الأخيرة! إنك تعتبر الصفحة الخامسـة من «سـوار آباري» ملجأ للعجزة! وعلاوة على ما تقبضه من أوراقك السبعين ألفا تحتقر زملاءك الذين يهلكون أنفسهم في العمل. (للسكرتيرة) إذ هو يكسب...



سيبيلو : (صرخة مبرحة) لا تقل ذلك يا سيدي!

جول : (من دون رحمة) سبعون ألف ورقة يكسبها في الشهر لكي ينشر في جريدتي دعاية لروسيا السوفييتية!

سيبيلو : هذا غير صحيح!

جول : إني أسائل نفسي أحيانا إن لم تكن من العملاء.

سيبيلو : أقسم لك...

جول : عميل! كاتب شفرة! وقفاز!

سيبيلو : كفى يا سيدي! اعتقد أني سأصاب بالجنون!

جول : ألم تعترف لي أنت نفسك، بأنك تقبض نقودا من موسكو!

سيبيلو : ولكنها ابنتي...

جول : نعم، إنها ابنتك! وبعد؟ لا بد طبعا أن يعطيها لك مخلوق. (سيبيلو يريد أن ينهض) مكانك لا تقف! واختر لنفسك: إما أنك قد بعت نفسك وإما أنك غير كفء.

سيبيلو : بشرفي أنا لا هذا ولا ذاك.

جول : برهن على ذلك.

سيبيلو : ولكن كيف؟

جول : غدا، سأشن حملة ضد الحزب الشيوعي، أريده أن يخر على قدميه في خمسة عشر يوما. يلزمني رجل هدام من الدرجة الأولى، رجل عراك وقتال. أو يكون هذا الرجل هو أنت؟

سيبيلو : نعم يا سيدي.

جول : سأصدقك إذا ما أعطيتني فكرة الآن.



سيبيلو : فكرة.. للحملة...

جول : عندك ثلاثون ثانية.

سيبيلو : ثلاثون ثانية للفكرة؟

جول : لم يبق لك غير خمس عشـرة ثانية. آه! وسـترى إن كان عندك موهبة!

سيبيلو : أنا... حياة ستالين في صور.

جول : حياة ستالين في صور؟ سيبيلو، لقد مضت الثلاثون ثانية. أنت مرفوت.

سيبيلو : يا سـيدي، أتوسـل إليك، أنت لا تستطيع... (فترة) إني أعول زوجة وابنة...

جول : ابنة! حقا حقا! إنها هي التي تعولك!

سيبيلو : أصغ جيدا لما أقوله لك يا سـيدي: إن استغنيت عني فسأعود إلى بيتي، وأفتح الغاز وأنتحر!

جول : يا للخسـارة الفادحة! (فترة) سأعطيك فرصة حتى الغد. ولكن إذا لم تدخل عليَّ في مكتبي غدا عند العاشرة صباحا ومعك فكرة هائلة مدوية، فتستطيع أن تجمع حقائبك.

سيبيلو : غدا صباحا؟

جول : أمامك الليل. تفضل!

سيبيلو : سيكون لك ما تريد يا سيدي، ولكني أفضل أن أقول لك إني لم أعد أومن بالإنسان.

جول : للمهمة التي ستنهض بها، من الخيـر ألا تؤمن به. (يخرج سيبيلو في إعياء)

(ستار)



المنظر الثالث

الديكور: صالون، ليلا.

المشهد الأول

جورج وفيرونيك.

يدخل جورج من الباب، ويكاد أن يقلب زهرية ورد لولا أنه يمسك بها في حينه. يسـمع صوت صفارات فيلتصق بالحائط. شرطي يمد رأسه من بين مصراعي الباب، ويضيء الحجـرة بالبطارية الكهربائية. ينتظر جورج وهو يحبس أنفاسـه حتى يختفي الشرطي فيتنفس. وبعد لحظة نراه يكاد يكافح ضد الرغبة في العطس فيضغط على فتحات أنفه ويفتح فمه، ولكنه يعطس في صوت مدو آخر الأمر.

فيرونيك : (من بعيد) ما هذا؟

(جـورج يعطس مرة أخـرى ويندفع إلى الباب ويهم بالخروج، لكنه يسـمع صوت صفـارات قريبة جدا فيعود مسـرعا إلى الداخل. وفي تلك اللحظة تعود فيرونيـك وتديـر مفتـاح الكهربـاء. يتراجع جورج ويلتصق بالحائط)

جورج : (وقد رفع يديه إلى أعلى) ضعنا!

فيرونيك : ما الذى ضاع؟ (تلمح جورج) يا إلهي! لص.

جورج : لص؟ أين إذن؟



فيرونيك : ألست لصا؟

جورج : كلا على الإطلاق. إني أزورك.

فيرونيك : في هذه الساعة من الليل؟

جورج : نعم.

فيرونيك : ولماذا ترفع يديك في الهواء؟

جورج : بالضبط لأن الوقت ليل. فالعادة أن يرفع الزائر الليلي يديه حين يباغت.

فيرونيك : حسن، لقد قمت بالواجب، فلتخفضها إذن.

جورج : لن يكون في ذلك فطنة ولا حذر.

فيرونيك : في هذه الحالة فلترفعها إلى أعلى جيدا، ولا تتحرج، فأنت في بيتك. (تجلس) تفضل بالجلوس ولتضع ذراعك على المسند لتستريح. (يجلس رافعا يديه وهي تراقبه) معك حق، ما كان يجب عليَّ أبدا أن أحسبك لصا.

جورج : شكرا.

فيرونيك : لا داعي للشكر.

جورج : بلى، بلى! فالظواهر ضدي ويسعدني أنك قبلت تصديقي.

فيرونيك : إني أصدق يديك. انظر كيف أن مظهرهما غبي : لم تفعل شيئا مطلقا بأصابعك العشرة.

جورج : (من بين أسنانه) إني أعمل بلساني.

فيرونيك : (في أثره) إن يد اللص على العكس من ذلك، رشيقة وعصبية وخفيفة.



جورج : (وقد تكدر) وماذا تعلمين عن ذلك؟

فيرونيك : كنت أعمل بالمحاكم.

جورج : كنت تعملين بالمحاكم؟ أنا أهنئك على ذلك.

فيرونيك : لقد عملت بها خلال عامين. وأشتغل الآن بالسياسة الخارجية.

جورج : صحافية؟

فيرونيك : هو ذا. وأنت؟

جورج : أنـــا؟ إن ما يمكن أن يجذبنـــي هو على الأحرى المهن الفنية.

فيرونيك : ماذا تفعل؟

جورج : في الحياة؟ أتكلم.

فيرونيك : وفي هذا الصالون؟

جورج : وفي هذا الصالون كذلك.

فيرونيك : حسن، وبعد؟ تكلم.

جورج : عن أي شيء؟

فيرونيك : لا بد أنك تعلم. قل ما عندك.

جورج : لك؟ أوه، كلا. ناد زوجك.

فيرونيك : أنا مطلقة.

جورج : (يشير إلى غليون على المنضدة) أهو أنت الذي يدخن الغليون؟

فيرونيك : إنه والدي.



جورج	:	تعيشين معه؟
فيرونيك	:	أعيش عنده.
جورج	:	ناده.
فيرونيك	:	إنه في جريدته.
جورج	:	آه! أنتما الاثنان صحافيان؟
فيرونيك	:	نعم. ولكن في جريدتين مختلفتين.
جورج	:	وعليه، فنحن وحيدان في هذا البيت.
فيرونيك	:	هل هذا يصدمك؟
جورج	:	إنه موقف مريب، يعرضك للفضيحة ولا يطيب لي.
فيرونيك	:	لست أراه فاضحا.
جورج	:	وهذا سبب آخر يجعلني لا أستطيبه.
فيرونيك	:	إذن، طاب مســاؤك! وسترجع حينما يعود والدي من الخارج.
جورج	:	طاب مساؤك! طاب مساؤك! (ينهض في تراخ، يسمع صوت صفارات في الخارج فيعود إلى الجلوس) إني أفضل انتظاره هنا، إن لم يكن في ذلك ما يزعجك.
فيرونيك	:	أنــت لا تزعجني، ولكنني كنت علــى أهبة الخروج. ليس لدي مانع أن أتركك بمفردك في الشقة، ولكني أحب مع ذلك أن أعرف ماذا أتيت تفعل هنا.
جورج	:	هذا حقك. (فترة) انتهينا. (فترة)
فيرونيك	:	وبعد؟ (جورج يعطس ويضرب الأرض بقدمه)
جورج	:	نزلة برد! نزلة برد! البقية الوحيدة السخيفة لفعل لم يتم، أردت أن أنعش نفسي فأصابني البرد.



فيرونيك	:	(تقدم له منديلا) تمخط.
جورج	:	(ولاتزال يداه مرفوعتين) مستحيل.
فيرونيك	:	لماذا؟
جورج	:	لأني لا أستطيع خفض يدي.
فيرونيك	:	انهض. (ينهض، فتتعلق بذراعيه من دون أن تستطيع إنزالهما) هل شلت ذراعاك؟
جورج	:	ذلك من تأثير الريبة.
فيرونيك	:	أنت ترتاب فيّ
جورج	:	أنا أرتاب في النساء.
فيرونيك	:	(بجفاء) حسن. (تتناول منه المنديل وتساعده على التمخط) تمخط! أقوى من ذلك. هكذا. (تطوى المنديل وتضعه في جيب جورج)
جورج	:	(حانقا) كم هذا مقرز! ياإلهي كم، هذا مقزز.
فيرونيك	:	استرخ.
جورج	:	هذا سهل قوله.
فيرونيك	:	اقلب رأسك إلى الوراء، وأغلق عينيك، وعد حتى الألف.
جورج	:	وماذا تفعلين أنت حينما تكون عيناي مقفلتين؟ ستدلفين إلى الخارج لتنادي البوليس، أو ستذهبين لإحضار مسدس من الدرج...
فيرونيك	:	أو تريدني أن أرفع يديَّ في الهواء؟ (ترفع يديها، فيخفض جورج يديه في بطء) أخيرا! هل تشعر بتحسن؟



جورج : نعم، إنها أكثر راحة.

فيرونيك : إذن، فسوف تستطيع أن تجيب؟

جورج : طبيعي. أجيب على ماذا؟

فيرونيك : ها قد مضت ساعة وأنا أسألك ماذا تفعل هنا؟

جورج : مـاذا أفعـل هنا؟ الأمـر غاية في البسـاطة. ولكن اخفضي يديك. هيا! هذا غير محتمل! لن أسـتطيع الكلام معـك مادمـت ترفعين يديك فوق رأسـك. (فيرونيك تخفض يديها) حسن!

فيرونيك : إني مصغية.

جورج : كم آسـف لغياب أبيك! إني أحب النسـاء، وأعشـق إغراقهـن بالمجوهـرات، والتدليـل، وأنـا على أتم استعداد لكي أمنحهن، بسرور، كل شيء، عدا الردود على أسئلتهن.

فيرونيك : كم هذا غريب.. ولماذا؟

جورج : لأنهن لا يفهمنها يا سـيدتي. خـذي مثلا، لنفرض ـ على سبيل المثال طبعا ـ أني قلت لك ما يلي : أنـا نصاب، وكان البوليس فـي أثري. وكان بابك مفتوحا فدخلت. هذا يبدو بسيطا وواضحا. حسن! ماذا فهمت؟

فيرونيك : ماذا فهمت؟ لست أدري...

جورج : أرأيت؟ أنت حتى لا تدرين...

فيرونيك : لقد فهمت أنك محتال...

جورج : وهذا كل ما في الأمر!

فيرونيك : أليــس هذا هو المهــم؟ (فترة صمــت قصيرة) هذه خسارة فيما أعتقد.

جورج : أتفضلين اللصوص؟

فيرونيك : نعم، لأنهم يشتغلون بأيديهم.

جورج : هل أنت مناصرة للحركــة العمالية؟ (فترة) على كل حال التجربة قاطعة، لقد فهمت كل شيء بالعكس.

فيرونيك : ألست محتالاً؟

جورج : كلا! ليس هذا هو المهم! المهم أن البوليس في أثري. مــا كان لرجــل أن يخطئ فهم ذلــك. (يصرخ بغتة) البوليس في أثري. أتفهمين؟

فيرونيك : حسناً! حسناً! لا تصرخ. (فترة)

جورج : وبعد؟ ما الذي ستفعلينه؟

فيرونيك : أســدل الســتائر. (تذهــب إلــى النافذة وتســدل الستائر)

جورج : وأنا؟

فيرونيك : أنت؟ ماذا أســتطيع أن أفعل بك؟ هل أنت جيتار أو ماندولــين حتى أعزف عليك؟ أو مســمار لأضربك على رأسك؟

جورج : إذن؟

فيرونيك : إذن لا شيء، لا أعرف ماذا أفعل معك.

جورج : لا شيء، هي أكثر الإجابات عدم دقة. لا شيء، تعني أي شيء. كل شــيء يمكن أن يحدث، تستطيعين أن تنفجري باكية، أو تفقئــي عيني بدبوس قبعتك. آه!



يا ليتني قابلت السيد والدك. أو تعلمين بماذا كان سيجيبني؟

فيرونيك : سأسلمك للبوليس.

جورج : (يقفز فزعا) سوف تسلمينني للبوليس؟

فيرونيك : كلا! أقول لك ماذا كان سيجيب والدي.

جورج : ويا لها من إجابة جميلة! هناك رجل.

فيرونيك : ممكن، ولكن لو أنه كان هناك لكانت القيود في يديك منذ حين.

جورج : كلا!

فيرونيك : كلا؟

جورج : نعم كلا، فأنا أعرف كيف أقنع الرجال. إنهم أناس منطقيون، وبفضل المنطق أوجه أنا تفكيرهم من بعيد، ولكن أنت يا سيدتي، أنت! أين هو منطقك؟ أين حسن إدراكك؟ ليس في نيتك تسليمي، إن كنت قد فهمتك؟

فيرونيك : لقد فهمتني.

جورج : وهذا هو بالضبط السبب الذي سيجعلك تسلمينني للبوليس. لا تحتجي: أنت مثل جميع النساء، عصبية ومندفعة وتسيطر عليك عواطفك. ستبتسمين في وجهي، وتلاطفينني في تملق، ثم ستخافين من أذني أو من شعرة تخرج من أنفي وتأخذين في الصراخ.

فيرونيك : وهل صرخت حينما اكتشفتك؟

جورج : بالضبط: أنت متأخرة بصرخة. أنا أعرف النساء. كل



ما لديهن من صرخـات يطلقنها من دون أن يتنازلن عن صرخة واحدة. إنك مازلت ممسـكة عن إطلاق صرختـك. ولكن يكفي أن يطرق البوليس بابك حتى تجدي السـعادة في إطلاقها. أي كارثة أنك لسـت رجلا، فقد كان من الممكن أن تصبحي حظي، ولأنك امرأة فأنت بالطبيعة قدري.

فيرونيك : أنا قدرك؟

جورج : وأي شـيء آخر تكونينه؟ المرأة بـاب يوصد، وعقدة يزداد قيدها.

فيرونيك : (مغتاظة) لقد أخطأت في الطابق: إذا كان الأمر يتعلق بالقدر، فلتتوجه إلى المرأة التي تقطن الطابق الثاني، وقد سـبق لها أن حطمت حياة رجلين متزوجين. أما أنا فسـأترك جميع الأبواب مفتوحة.. (تتوقف عن الكلام وتنطلق ضاحكة) لقد كدت حقا أن تنالني...

جورج : معذرة.

فيرونيك : لكل قوس وتران. الإدراك للرجال، والتحدي للنساء. ونتظاهـر بالتفكير، إننا جميعا متشـابهات. إن كل واحـدة منا تريد أن تكون فريدة. تقول: «إنك امرأة، إذن فسوف تسـلمينني للبوليس». لقد كنت تنوي أن توقعني في هذه اللعبة، وكنت سأتحمس لكي أبرهن لك على أني لا أشـبه أحدا. ياصديقي المسكين هذا جهد ضائع، فليس عنـدي أي رغبة في التفرد، إني أشبه كل النساء، ويرضيني أن أشبههن. (يدق جرس باب الدخول)

جورج : إنه...



فيرونيك : إني خائفة. (جورج يرفع يديه)

جورج : هل ستسلمينني للبوليس؟

فيرونيك : ما رأيك؟ (ترى يديه مرفوعتين) أخفض يديك، إنك تفقدني صوابي. (يضع يديه في جيبيه)

جورج : ماذا ستفعلين؟

فيرونيك : ما تفعلــه جميع النســاء في مكاني.. (فتــرة) ماذا يفعلن؟

جورج : لست أدري.

فيرونيك : أنت ترى أنهن يصرخن؟

جورج : قلت لك لست أدري.

فيرونيك : منــذ لحظة، كنت أكثر ثقة من ذلك. (صوت الحرس من جديد) تتفــوه بكلمة فأصبح أنا عصبية مندفعة تسيطر عليَّ عواطفي.

جورج : هل انحدرت إلى هذا الدرك الأسفل، ليصبح مصيري بين يدي امرأة؟

فيرونيك : إشــارة واحدة منــك وأنا أضع مصيــرك بين أيدي الرجال. (طرق على الباب. «بوليس»!)

جورج : (وقد قرر أمره) من الواضح أنه لن يكون لك عليَّ أي فضل.

فيرونيك : طبعا.

جورج : وأنك لا تسألينني عرفانا بالجميل.

فيرونيك : لست مجنونة إلى هذا الحد.



جورج : وأنني سأرد لك الخير بالشر.

فيرونيك : فعلا.

جورج : إذن فلتخبئينـــي! (فجأة وفي جنون) بســـرعة! ماذا تنتظرين؟

فيرونيك : (تشير إلى باب حجرتها) ادخل هنا. (يختفي جورج، وتذهب هي لتفتح الباب. المفتش جوبليه يمد رأســه من فتحة الباب)

المشهد الثاني

فيرونيك والمفتش جوبليه.

جوبليه : طبعا يا سيدتي لم تري رجلا أسود الشعر طوله متر وثمانية وسبعون؟

فيرونيك : (في حدة) طبعا لا!

جوبليه : كنت متأكدا من ذلك. (ينحني ويختفي، تغلق فيرونيك الباب)

المشهد الثالث

فيرونيك وجورج.

فيرونيك : تســتطيع أن تعود. (يدخــل جورج ملتحفــا بطانية حمراء اللون، فتنطلق ضاحكة)

جورج : (في وقار) ليس هنـــاك مدعاة للضحك. إني أحاول



تدفئة نفسي. (يجلس) لقد كذبت!

فيرونيك : أجل؟

جورج : هذا لا يليق!

فيرونيك : لقد كذبت من أجلك.

جورج : وحتى...

فيرونيك : إنك تغالي! لعلك لا تكذب؟

جورج : الأمر يختلف بالنسبة إليَّ، فأنا رجل لا شرف لي... ولكن إذا فعل كل الشرفاء مثلك...

فيرونيك : وبعد؟

جورج : ماذا عساه أن يصبح النظام الاجتماعي؟

فيرونيك : هاها..

جورج : هاها! ماذا تعني هذه الـ «هاها»؟

فيرونيك : ذلك النظام الذي تتحدث عنه..

جورج : أو تعرضين خيرا منه؟

فيرونيك : نعم.

جورج : أي نظام؟ أين هو؟

فيرونيك : هــذا أمر يطول شــرحه لك. لنقل في بســاطة إني كذبت على البوليس لأني لا أحبهم.

جورج : هل أنتِ محتالة؟ مصابة بداء النشل؟

فيرونيك : قلت لك إني صحافية وشريفة.

جورج : إذن فأنت تحبينهم، فالرجل الشريف يحب البوليس



بالضرورة.

فيرونيك : ولماذا أحبهم؟

جورج : لأنهم يحمونك.

فيرونيك : لأنهم يحمونني قليلا جدا، ولذلك ضربوني الأسبوع الماضي. (تشمر عن ذراعها) انظر هذه الكدمات الزرقاء.

جورج : أوه!

فيرونيك : هاك ما فعلوه.

جورج : (في دهشة) هل كانت غلطة؟

فيرونيك : كلا.

جورج : إذن أنت مذنبة؟

فيرونيك : كنا نتظاهر.

جورج : من؟ أنت!

فيرونيك : أنا وغيري من المتظاهرين.

جورج : ولماذا كنتم تتظاهرون؟

فيرونيك : لنعلن سخطنا.

جورج : غير معقول! انظري إلى نفسك وانظري إليَّ، ثم قولي لي من منا له الحق في أن يسخط! حسنا، أنا لست كذلك على الإطلاق. لم أشك أبدا، ولم أتظاهر في حياتي. إني أقبل العالم كما هو وأنا على عتبة السجن أو عتبة الموت... وأنت ترفضين، وأنت في العشرين من عمرك وحرة. (في تشكك) أنت حمراء باختصار.



فيرونيك : وردية اللون.

جورج : حسن حسن. ووالدك؟ ماذا يقول عن كل هذا؟

فيرونيك : إن المسكين يأسف له.

جورج : هل هو من الجانب الآخر؟

فيرونيك : إنه يكتب في «سوار آباري».

جورج : أنا سعيد بذلك! إنها جريدتي. والدك رجل عظيم شريف، وليس عنده غير نقطة ضعف واحدة هي أنت. (يرتجف، يعطس، فيلف نفسه جيدا في البطانية) يا لها من أمسية جميلة! أدين بالحياة لمتوسل يستطيب فعل الخير من دون مقابل، وأدين بالحرية لشابة ثورية تعشق الجنس البشري. لا بد أننا في الأسبوع الخيري! (فترة) يجب عليك أن تكوني راضية فقد بذرت سوء النظام، وخنت طبقتك، وكذبت على من يتولون حمايتك الطبيعيين وأهنت رجلا.

فيرونيك : أهنتك؟!

جورج : طبعا. لقد جعلت مني موضوعا ما.. موضوعا تعسا لحبك للبشر.

فيرونيك : أو كنت تصبح شيئا آخر في عربة السجن؟

جورج : كلا، ولكني كنت سأستطيع أن أكرهك وأنغلق على نفسي آه! لقد احتلتِ عليّ.

فيرونيك : أنا؟

جورج : (في عنف) احتلت عليَّ! إنك لا ترين أبعد من طرف أنفك، ولكني أنا أفكر وأتأمل. إني أتطلع إلى



المسـتقبل... إنه مظلم، هذا المسـتقبل، مظلم جدا. إنقاذ الناس ليس هو كل شـيء ياصغيرتي، بل يجب أن يعطيهم إمكان العيش. أو سـاءلت نفسـك ماذا عساي أن أصبح؟

فيرونيك : يخيل إليَّ أنك ستعود محتالا من جديد...

جورج : بل لن أعود!

فيرونيك : حقا؟

جورج : أنـا لا أقول ذلـك. أقول لم تعد لديَّ الوسـائل لكي أصبح إنسانا سافلا غير شـريف. الاحتيال يتطلب رأس مـال معينا، ورصيدا في البنك. يتطلب بدلتين كاملتين، وسـموكنج، وإن أمكـن رداء للصباح، واثني عشـر قميصا، وسـتة أزواج من الغيارات الداخلية، وسـتة أزواج من الجـوارب، وثلاثـة أزواج أحذية، ومجموعة ربطات عنق، ودبوسا من الذهب، وحقيبة من الجلد، ونظارة مـن الصدف. إني لا أمتلك غير هـذه الخرق البالية وليس معـي مليم واحد، فكيف تريدينني أن أفعـل؟ هـل أسـتطيع أن أتقدم إلى مدير بنك فرنسـا بهذا المظهر؟ لقـد ألقوا بي إلى الحضيض.. إلـى أعماق الحضيـض، فلم يعد في مقـدوري أن أعـاود الصعود.. وكل هـذا من جراء خطئك. إنك لم تنقذيني من السجن، إلا لكي تقذفي بـي إلى الهوان. كنت في السـجن احتفظ بكرامتي، ولكني أريق ماء وجهي كمتسـول. أنا متسـول؟ أنا؟ لست أشكرك يا سيدتي.

فيرونيك : وإذا وجدت لك عملا؟



جورج	:	وظيفة؟ ثلاثين ألف فرنك في الشهر، وعملا، وصاحب عمل؟ احتفظي بها، فأنا لا أبيع نفسي.
فيرونيك	:	كم يلزمك لكي تقتني ما يحتاج إليه دولاب ملابسك.
جورج	:	لا أدري.
فيرونيك	:	لدي بعض النقود...
جورج	:	ولا كلمة بعد ذلك. النقود شيء مقدس. لا أقبلها أبدا بل آخذها.
فيرونيك	:	خذها.
جورج	:	لا أستطيع أخذها منك مادمت أنت تعطينني إياها. (فجأة) إني أقترح عليك صفقة. طبعا هي صفقة شريفة، ولكن ليس من حقي أن أطلب الصعب. إني أعطيك وحدك حديثا صحافيا ينشر لأول مرة في العالم.
فيرونيك	:	أنت! لي أنا!؟
جورج	:	أنت صحافية؟ اسأليني.
فيرونيك	:	عن ماذا؟
جورج	:	عن مهنتي.
فيرونيك	:	ولكني قلت لك إني أشتغل بالسياسة الخارجية. ثم إن جريدتي لا تهتم بالمحتالين.
جورج	:	آه! جريدة تقدمية! لا بد أنها ثقيلة على القراء. (فترة) أنا جورج دي فاليرا.
فيرونيك	:	(مأخوذة على الرغم من كل شيء) فا...



جورج : فاليرا العظيم، نعم.

فيرونيك : (مترددة) طبعا..

جورج : بعكوكتك فقيرة فيما أظن..

فيرونيك : نعم، فقيرة.

جورج : أنا لا أطلب سوى بدلتين، ودستة قمصان، وثلاث ربطات عنق وحذاء، ومن الممكن دفع أجري عينيًا. (ينهض) في عام ١٩١٧ وفي موسكو ولد طفل أزرق العينين من حارس أسود وروسية بيضاء...

فيرونيك : كلا.

جورج : ألا يهمك هذا؟

فيرونيك : ليس لدي الوقت. قلت لك إني كنت على أهبة الخروج.

جورج : وفيما بعد؟

فيرونيك : بصراحة، كلا. أنت تعرف أن المحتالين سواء كانوا موهوبين أو غير موهوبين...

جورج : لتذهبي إلى الشيطان! (يسمع صوت فتح باب الدخول) ما هذا؟

فيرونيك : أو! إنه والدي...

جورج : سأذهب لـ...

فيرونيك : إذا رآك فسوف يسلمك للبوليس. ادخل هنا الآن وسوف أتحايل عليه. (يختفي جورج في اللحظة التي يفتح فيها الباب)



المشهد الرابع

فيرونيك وسيبيلو.

سيبيلو : أمازلت هنا؟

فيرونيك : كنت على أهبة الخروج. لم أكن أظن أنك ستعود مبكرا هكذا.

سيبيلو : (في مرارة) ولا أنا.

فيرونيك : اسمع يا والدي، لا بد أن أقول لك...

سيبيلو : السفلة!

فيرونيك : من؟

سيبيلو : كل الناس. يخجلني أن أكون إنسانا. أعطيني شيئا أشربه.

فيرونيك : (وهي تقدم له كأسا من الشراب) تصور أن...

سيبيلو : نحن ناكرون للجميل، كذابون، جبناء، أشرار. إن المبرر الوحيد لوجود الجنس البشري هو حمايته للحيوان.

فيرونيك : منذ قليل كنت...

سيبيلو : أريد أن أكون كلبا! هذا الحيوان يعطينا المثل في الحب والوفاء. ولكن، كلا. إن هذه الفصيلة مخدوعة في الإنسان، فهي من البلاهة بحيث تحبنا. أريد أن أكون قطا. قطا، كلا. إن الثدييات كلها متشابهة. لماذا لم أكن حوتا يقتفي أثر السفن ويأكل البحارة!

فيرونيك : ماذا فعلوا بك من جديد يا والدي المسكين؟

سيبيلو : لقد طردوني يا صغيرتي.



فيرونيك : إنهم يطردونك كل خمسة عشر يوما.

سيبيلو : هذه المرة هي الأخيرة! فيرونيك، أنت شاهدتي على أني ألتهم الشيوعيين منذ ما يقرب من عشر سنوات. إنه غذاء عسر الهضم لا يتغير. كم من مرة تمنيت أن أغير طريقة طعامي، لمجرد التغيير، فآكل قسيسا أو ماسونيا أو صاحب ملايين أو امرأة، ولكن عبثا حاولت. إن قائمة طعامي كما هي باستمرار. وهل أبيت يوما القيام بواجبي؟ لم أكن قد انتهيت من هضم مالنيكوف حتى كان علي أن التهم خروشتشيف. فهل تذمرت؟ كل يوم آتي بموضوع جديد. من الذي قام بالعمل التخريبي في ديكسمود؟ والمؤامرة المعادية للوطن من الذي دبرها؟ وضربة الحمام الزاجل؟ أنا. ودائما أنا. عشر سنوات دافعت فيها عن أوروبا من برلين إلى سايجون. لقد اعتديت على فيتنام، واعتديت على الصين، واعتديت على الجيش السوفييتي بطائراته وعرباته الحربية. ثم تصوري بعد ذلك يا صغيرتي الجحود الإنساني وكيف يكون: مع أول تقصير لي من الاعتداء يطردني رئيس التحرير.

فيرونيك : هل حقا فصلت؟

سيبيلو : كأي مخلوق. إلا إذا وجدت فكرة من الآن حتى الغد.

فيرونيك : (بلا تعاطف) ستجدها، لا تخف.

سيبيلو : لا، ليس هذه المرة! ماذا تريدين، أنا لست فذا: أنا رجل عادي جدا بدد عصارة فكره. من جل سبعين ألف فرنك في الشهر. عشر سنوات كنت خلالها



أومض كالبرق. كنت بيجاس pégase الحصان الطائر، وكانت لي أجنحة. لقد احترقت هذه الأجنحة. فماذا تبقى. هيكل لا يعطي سوى لحمه. (يقطع الحجرة مشيا) عشر سنوات خدمة وفية، تنتظر بعدها كلمة طيبة وعرفانا بالجميل. ولكن كلا... لا شيء سوى اللوم والتهديد. أوه! سوف ينتهي بي الأمر إلى الحقد على زملائك الشيوعيين. (في استحياء) يا ابنتي الصغيرة؟

فيرونيك : والدي؟

سيبيلو : ألا أجد عندك أنت ـ وأقول ذلك علانية ـ ألا أجد عندك فكرة؟ ألا تعرفين شيئا ضدهم؟

فيرونيك : أوه! والدي!

سيبيلو : أصغ إلي يا صغيرتي: أنا لم أقف قط ضد معارفك على الرغم من أن ذلك قد نال من سمعتي، ولعل ذلك أيضا هو أصل بلائي. لقد تركتك دائما حرة منذ مرض والدتك المسكينة، على أن تتعهدي فقط بأن تجنبيني السوء حينما يستولي أصدقاؤك على الحكم. ألن تكافئي رضائي هذا؟ أتتركين والدك العجوز في القذى؟ إني أسألك بعض الجهد يا طفلة، القليل جدا من الجهد. إنك ترينهم من قرب، هؤلاء الشيوعيين، ولا بد أن قلبك متحامل منهم.

فيرونيك : بل كلا يا والدي.

سيبيلو : دعك من هذا!

فيرونيك : إنهم أصدقائي.

سيبيلو : هذا سبب أدعى. عيوب من يمكن معرفتها إن لم تكن



عيوب أصدقائك؟ أنا مثلا، ليس لي غير أصدقاء في هيئة تحرير المجلة: حســنا! أقسم لك أني لو أردت الكلام... اســمعي: إني أقترح عليك صفقة، تقولين لي ما تعرفينه عن ديكلو duclos وأفضح لك جولو- لي - برتيل Julot - Les - Bretelles - سيكون لديك مادة لموضوع صحافي رهيب.. أتوافقين؟

فيرونيك : كلا يا والدي.

سيبيلو : إني مكلف بهذا.. وابنتي تهجرني غارقا في أوحالي. اذهبي عني!

فيرونيك : سأخرج، سأخرج. ولكن أريد أن أقول لك...

سيبيلو : فيرونيك! أو تعرفين من الذي يحتضر؟ إنه الإنسان.. العمــل، العائلة، الوطن، كل هــذا يتحلل ويتبدد. آه! هذا موضوع صحافي «غروب الإنسان» ما رأيك؟

فيرونيك : إنك تقرأ هذا كل شهر في مجلة «بروف» preuves

سيبيلو : معك حق. فليذهب إلى الشيطان!

فيرونيك : من؟

سيبيلو : الإنســان. أنــا طيب حقا لكي أفلق رأســي من أجل سبعين ألف فرنك في الشهر. ثم إن الشيوعيين بعد كل هذا لم يفعلوا شــيئا معي! وبمرتب قدره سبعون ألف فرنك في الشــهر يصبح من الطبيعي أن أكون في جانبهم!

فيرونيك : أنا لم أدفعك إلى قول هذا الكلام.

سيبيلو : لا يا ابنتي، لا، أنت لم تستميليني. أنا رجل ذو تقاليد قديمــة، وأحب الحرية جــدا جدا، وأحترم بشــدة



الكرامةَ الإنسانية. (يعتدل فجأة) ما أعظم احترام الكرامة الإنسانية وما أجمله! لقد طردت مثل إنسان منحرف! صحافي عجوز ورب أسرة، إلى عرض الطريق براتب شهر وبلا معاش! آه، لعل هذا يكون موضوعا «ليس للعمال العجائز معاش في الاتحاد السوفييتي» (ينظر إلى نفسه في المرآة). لا بد لهم من شيء عند المشيب.

فيرونيك : إن لهم معاشا ياوالدي.

سيبيلو : اخرسي اذن، دعيني أفكر. (بعد فترة) موضوع لا يصلح، سيكون للقارئ الحق في أن يقول لنا: «قد لا يكون للعامل الروسي معاش، ولكن ليس هذا على كل حال داعيا إلى تسليح ألمانيا!». (فترة) فيرونيك، لابد من تسليح ألمانيا. ولكن لماذا، هيه؟ لأي داع؟

فيرونيك : ليس لذلك داع.

سيبيلو : بلى ياطفلتي، هناك داع لذلك. فقد ظللت طوال حياتي أعاني من الحياة، وقد فاض كيلي، أريد للآخرين أن يعانوا بدورهم. وسيفعلون ذلك وأقسم لك إن هم سلحوا ألمانيا. سلحوها، سلحوها إذن! سلحوا ألمانيا واليابان وأشعلوا النيران في أركان الدنيا الأربعة! سبعون ألف فرنك للدفاع عن الإنسان! أو تعقلين ذلك! بهذا السعر يستطيع أن ينفق كل الرجال.

فيرونيك : وستموت أنت كذلك.

سيبيلو : حبذا! لم تكن حياتي سوى مسيرة نعش لم يتبعه أحد، ولكن موتي، معذرة، سيحدث ضجة. أي تعظيم سأناله! إني أحب عن طيب خاطر أن أرحل عن



هذا الوجـود لو رأيت الأب الصغيـر جيلو قد جعل من نفســه شمسا فوق رأسي. سبعون ألف ورقة في الشـهر، سـبعون ركلة قدم في العجز كل يوم! لنمت جميعا معا، ولتحيَ الحرب! (يختنق ويسعل)

فيرونيك : (تسقيه) اشرب

سيبيلو : أوف.

فيرونيك : يوجد متشرد في حجرتي.

سيبيلو : هل هو شيوعي؟

فيرونيك : كلا، على الإطلاق.

سيبيلو : إذن، ماذا يهمني من أمره؟

فيرونيك : البوليس يطارده.

سيبيلو : حسـن! اتصلي بقسـم البوليس بالتليفون، واطلبي إليهم أن يحضروا لأخذه.

فيرونيك : ولكني يا والدي أريد أن أبقي عليه.

سيبيلو : وماذا فعل رجلك هذا؟ إذا كان قد سـرق فلا بد من عقابه.

فيرونيك : لم يسـرق. كن لطيفا ولا تشـغل بالك به. ابحث عن فكرتك في هدوء تام، وفي الصباح سيرحل من دون أن يحدث ضجة، ولن نراه بعد ذلك أبدا.

سيبيلو : حسـن! إذا بقي هادئا تماما فسأغض الطرف عنه، ولكـن إذا حضر البوليس للبحـث عنه، فلا تعتمدي عليَّ في الكذب!

فيرونيك : (توارب باب حجرتها) أنا ذاهبة، تستطيع أنت البقاء



هنـــا طوال الليـــل، ولكن لا تخرج مـــن حجرتي. إلى اللقـــاء. (تغلق البـــاب) إلى الغد ياوالـــدي، ولا تقلق لفكرتك، إنها دائما الفكرة نفسها التي تضيق عليك الخناق، وأنت مضطر إلى أن تجدها.

المشهد الخامس

سيبيلو بمفرده.

سيبيلو : لتذهبـــي إلـــى الشـــيطان! (تخرج) الفكرة نفســـها! مؤكـــد هـــي الفكرة نفســـها! وبعد؟ لا تنـــال الرضا كل مرة إلا إذا جددت بها شـــيئا. (يدفن رأســـه بين راحتيه) حياة ستالين في صور. إنهم لا يريدون ذلك، البلهاء، ولســـت أدري لماذا؟ (جورج يعطس، ســـيبيلو ينصـــت ثم يعود إلى تأملاتـــه) تخريب... مؤامرة... خيانة... إرهاب... (ومع كل كلمة يتفكر ويهز رأسه) مجاعـــة... مجاعة؟ هيه! (فتـــرة) كلا، قديمة. إنها مستعملة منذ ١٩١٨. (يتناول بعض الجرائد ويقلبها) ماذا فعل؟ (يقلب الجرائد) لا شيء؟ هذا غير ممكن! من الذي يصدق أنه لا يرتكب كل يوم ظلما أو جريمة غادرة في بلد ســـكانه مائتا مليون؟ ها هو ذا الستار الحديـــدي. (يتفكر من جديد) تخريـــب... مؤامرة. (جورج يعطس فينزعج ســـيبيلو) لو كان في مقدوري فقط أن أعمل في هدوء! خيانة... مؤامرة... لنتناول الموضوع من الطرف الآخر: ثقافة غربية... رســـالة أوروبا... حقـــوق الفكر. (جورج يعطس) كفى! كفى! (يعود إلى الســـرحان) حياة ستالين في صور (صوت



صفارات في الطريق. يستمر سيبيلو في مكانه) أوه!
(يخفي رأسه من جديد بين راحتيه. تلتمع في رأسه
فكرة) حياة ستالين من غير صور... (جورج يعطس)
سأقتله هذا المخلوق!

جورج : (في الكواليس) اللعنة!

سيبيلو : خلصوني منـه.. خلصوني منه. (يذهب إلى التليفون ويدير القرص) آلو.. قسم البوليس؟ هنا رينيه سيبيلو، صحافـي، شـارع جولدون رقم ١٣ الـدور الأرضي، والباب إلى اليسار. لقد دخل بيتي مخلوق. ويبدو أن البوليس يبحث عنه. هو ذاك. ابعثوا إليَّ أحدا. (يفتح الباب على هذه الكلمات الأخيرة ويبدو جورج)

المشهد السادس

سيبيلو وجورج.

جورج : أخيرا، رد فعل سـليم! يا سـيدي أنت رجل طبيعي! اسـمح لي بأن أشـد على يديك. (يتقـدم منه مادا يده)

سيبيلو : (يتراجع إلى الوراء في فزع) النجدة!

جورج : (يلقي بنفسـه على سـيبيلو) صه! صه! (يسد فمه بيـده) هل لـي رأس قاتل؟ يا له من سـوء فهم! أنا أعجـب بك وأنت تظـن أني أريد ذبحـك! نعم، أنا أعجـب بك. حديثك في التليفـون كان عملا رائعا! ولا بد أن يُتخذ ذلك مثلا لجميع أولئك البلهاء الذين



أضلهم تحـــرر زائف، والذين تدهورت أحاسيســـهم بحقوقهم. لا تخـــش أن أهرب، أريد أن أكون صانعا لمجدك، ستنشـــر الجرائد غـــدا نبأ القبض علي في بيتك. أنت تصدقني، أليـــس كذلك؟ أنت تصدقني؟ (سيبيلو وهو مكمم يهز رأسه مؤمنا) حسنا.. (يترك ســـيبيلو ويتراجع إلى الخلف خطـــوة) دعني أتأمل الرجل الشـــريف في جلاله العالـــي الكامل! (فترة) لوقلت لك إنني حاولت الانتحار منذ قليل لكي أهرب ممن يطاردونني؟

سيبيلو : لا تحاول أن تستدر عطفي.

جورج : عظيـــم! ولو أنـــي أخرجت من ثيابي الممزقة كيســـا صغيرا من المســـحوق، فإذا ما ابتلعت ما فيه وقعت ميتا تحت قدميك؟

سيبيلو : وبعد؟

جورج : ماذا عساك تقول؟

سيبيلو : سأقول: «لقد حكم البائس على نفسه».

جورج : يقين هادئ لضمير حي لا غبار عليه! يبدو يا سيدي أنك لم تشك مطلقا في وجود الخير.

سيبيلو : طبعا.

جورج : ... وأنـــك لا تصغي إلى تلـــك المذاهب الهدامة التي تجعل من المجرم نتاجا للمجتمع.

سيبيلو : المجرم مجرم.

جورج : إننا نتقـــدم! المجرم مجرم: جميل قـــول هذا الكلام الجميـــل! آه... ليس أنت يا ســـيدي الـــذي أخاطر



باستعطافه، وأنا أسترجع أمامه طفولتي التعسة.

سيبيلو : لن يجدي هذا الكلام. لقد كنت أنا طفلا معذبا.

جورج : ولا يعنيك كثيرا ـ أليس كذلك ـ أن أكون من ضحايا الحـــرب العالمية الأولـــى والثورة الروســـية والنظام الرأسمالي؟

سيبيلو : هناك آخرون هم ضحايا أيضا لكل هذا ـ أنا، مثلا ـ ولا ينحطون إلى مستوى السرقة.

جورج : عندك جواب لكل شيء. ولا شيء يؤثر في معتقداتك. آه يا سيدي، لكي يكون لك هذه الصفاقة وهذا البريق في عيني، وهذا القلب المتحجر، لا بد أن تكون معاديا لليهود؟

سيبيلو : كان عليَّ أن أفكر في ذلك، هل أنت يهودي؟

جورج : لا يا ســـيدي، لا. ولكي أعترف لك بشـــيء أقول إني أشاركك في عدائك لليهود. (على إشارة من سيبيلو) لا تغضب، «أشـــاركك» فيها مبالغة. لنقل إني أجمع فتات هذا العداء. وحيث إنه ليس لي الحظ السعيد في أن أكون شريفا، فأنا لا أتمتع بيقينك. أنا أشك يا سيدي، أشك. وهذا من خصائص النفوس المضطرية، إنني إن أردت ذلك عن طيب خاطر ـ يحتمل أن أكون عدوا لليهود.. (يتقرب إليه): والبوليس؟ أنت تكرهه، أليس كذلك؟

سيبيلو : كفـــى مهاترة! ليـــس لدي الوقـــت ولا الرغبة في أن أصغـــي إلى ثرثرتك. أرجـــوك أن تعود أدراجك إلى هـــذه الغرفة فورا، وتنتظر فيهـــا، ومن دون ضجيج، وصول البوليس.



جورج : سأنسحب إلى أبهاء منزلك! قل لي فقط إنك تكره البوليس.

سيبيلو : أوه، طبعا!

جورج : قل ما هو أفضل، حتى تسعدني، أقسم لك أنه آخر سؤال لي.

سيبيلو : ليس عليهم إلا أن يبقوا في بيوتهم.

جورج : عظيم! تقبل مني يا سيدي أن أرفع لك قبعتي احتراما. إنك شريف إلى حد الوحشية. وبعد هذه اللغة الوجيزة يتبين لنا توافق وجهات النظر بيننا. ولن يدهشني ذلك. أي رجال شرفاء كنا سنصبح، نحن الأوغاد، لو أن بوليسك ترك لنا الوقت لذلك.

سيبيلو : ألا تغرب عن وجهي؟

جورج : كلمة أخرى يا سيدي، كلمة واحدة، وأغرب... ماذا! أنت أيها الفرنسي، ابن وحفيد فلاح فرنسي، وأنا الذي لا وطن له، ضيف فرنسا المؤقت... أنت الشرف بذاته، وأنا الجريمة، وعلى الرغم من التناقض بين الرذائل والفضائل نمد يدينا ونتصافح، ونحاكم معا اليهود والشيوعية والأفكار الهدامة؟ لا بد أن يكون لاتفاقنا معنى عميق. هذا المعنى أعرفه ياسيدي وسأقوله لك: نحن الاثنان نحترم الملكية الخاصة.

سيبيلو : أنت تحترم الملكية؟

جورج : أنا! أعيش عليها يا سيدي، فكيف لا أحترمها؟ لقد كانت ابنتك تريد إنقاذي، وأنت، أنت وشيت بي، ولكني مع ذلك أحس بأني أقرب إليك منها. والنتيجة العملية التي استخلصها من كل ذلك هي



أنه يجب علينا، أنت وأنا، أن نعمل معا.

سيبيلو : نعمل معا! من؟ نحن؟ أنت مجنون!

جورج : أستطيع أن أؤدي لك خدمة جليلة.

سيبيلو : أنت تدهشني.

جورج : منذ قليل كانت أذني ملتصقة بالباب، ولم أفقد سمع شيء من حديثك مع ابنتك. إنك تبحث عن فكرة فيما أظن، حسن، هذه الفكرة في مقدوري أن أقدمها لك.

سيبيلو : فكرة؟ عن الشيوعية؟

جورج : نعم...

سيبيلو : أنت... هل تعرف القضية.. ؟

جورج : المحتال يجب عليه أن يعرف كل شيء.

سيبيلو : إذن هات فكرتك، هاتها بسرعة، وسألتمس لأجلك رأفة المحكمة.

جورج : مستحيل!

سيبيلو : لماذا؟

جورج : لن أستطيع مساعدتك إلا إذا كانت يداي طليقتين.

سيبيلو : البوليس...

جورج : نعم، البوليس. سيحضر. إنه في الطريق وسيكون هنا بعد دقيقتين، وعليه فلدي الوقت لكي أقدم نفسي: يتيم الأب والأم، لم يكن أمامي منذ الطفولة مفر من

الاختيار بين النبوغ والمـوت، فاخترت النبوغ، وليس في ذلـك فضل لي.. إني نابغة يا سـيدي، كما أنك شريف، وبالغزارة القاسية نفسها التي لا ترحم. هل تخيلت في حياتك ما يمكن أن يفعله اتحاد النبوغ مع الشـرف، الإلهام مع المكابرة، النور مع العمى؟ سوف نصبح نحن الاثنان سـيدَي العالم.. إن لدي أفكارا، وأنتج منها بالعشـرات في كل لحظة. ولسوء طالعي لا تقنع أحدا، فأنا لا أتمسك بها بما يكفي. أما أنت فلا تملك أفـكارا، بل هي التي تملـكك، إنها تطبق عليك بمخالبها، تحرث رأسـك وتسد عينيك. ولهذا السـبب بالذات تقنـع الآخرين. إنها أحـلام قوية، تأخـذ بألباب أولئك الذين بهـم حنين إلى التحجر. والآن هـب أن فكرة جديدة هارية مني قد اسـتولت عليك، ستتخذ المسكينة هيئتك بسرعة وسيصبح لها مظهر غاية في الجمـود والتفاهة والصدق إلى حد أن تفرض نفسـها على العالـم. (جرس الباب يرن - ينتفض سيبيلو فزعا، وقد كان يصغي في انبهار)

سيبيلو : إنه...

جورج : نعم، عليك أن تقرر. لو سـلمتني فسـتمضي الليلة في سـلام وأنت مطرود غدا صباحا. (الجرس يرن مـن جديد) ولو أنقذتني فسـتجعلك عبقريتي غنيا وشهيرا.

سيبيلو : (في ميل) ومن يثبت لي أنك عبقري؟

جورج : (وهـو يعود إلى الحجـرة الخلفية) اسـأل المفتش. (يختفي في أثناء ذهاب سيبيلو لفتح الباب)



المشهد السابع

سيبيلو والمفتش جوبليه.

جوبليه : السيد سيبيلو؟

سيبيلو : إنه أنا.

جوبليه : أين هو؟

سيبيلو : من؟

جوبليه : جورج دي فاليرا.

سيبيلو : (وقد أُخذ) أنت تبحث عن جورج دي فاليرا؟

جوبليه : نعم. أوه! من دون أمل. إنه ثعبان مائي. أتسـمح لي بالجلوس؟ (يجلس) أرى أنه ليس عندك بيانو عتيق؟ إني أهنئك.

سيبيلو : ألا تحب البيانو العتيق؟

جوبليه : لقد رأيت منه كثيرا جدا.

سيبيلو : أين إذن.

جوبليه : عند الأغنياء. (يقدم نفسه) المفتش جوبليه.

سيبيلو : تشرفنا.

جوبليه : كم أحب بيتك. أحس أني لن أتركه من دون أسف.

سيبيلو : أنت في بيتك.

جوبليه : حقيقة أحسنت القول، فإن صالونك هذا هو طبق الأصل من صالوني، طراز ١٩٢٥.

سيبيلو : عفوا؟



جوبليه : (إشارة دائرية) الأثاث: ١٩٢٥؟

سيبيلو : آه ! ١٩٢٥ ؟ آه نعم.

جوبليه : معرض الفنون الزخرفية، شبابنا...

سيبيلو : عام زواجي.

جوبليه : وزواجي. لقد اختارت زوجتانا الأثاث مع أميهما، لم يكن لدينا شـيء نقوله، فقد كان أهاليهن هم الذين يدفعون. هل تحب هذا الطراز؟ إنها كراسـي موديل ١٩٢٥.

سيبيلو : أنـت تعرف أن المرء لم يعد يرى هـذا الطراز الآن. (يهز رأسه) كان هذا الأثاث في نظري مؤقتا...

جوبليه : طبعا! وهو الشـيء الباقي، منذ عشـرين عاما بعد ذلك...

سيبيلو : نعم.. بعد ذلك يتبين المرء أنه سيموت قريبا، وأن ما كان مؤقتا أصبح ثابتا ونهائيا.

جوبليه : سنموت كما عشنا في ١٩٢٥. (ينهض فجأة) ما الذي عندك هناك؟ لوحة مصور شهير!

سيبيلو : كلا، إنها صورة مطبوعة.

جوبليه : الحمد للـه. إني أكـره لوحات مشـاهير الفنانين، وكذلك سيارات العظام، لأن الأغنياء يقتنونها بكثرة، مما يضطرنا إلى معرفة مختلف الموديلات.

سيبيلو : من أنتم؟

جوبليه : نحن شرطة المخدرات.

سيبيلو : وماذا تفعلون بذلك؟



جوبليه : نلطف بها أحاديثنـا (يقترب من اللوحة) إنها صورة ضابط شـرطة إنجليزي. لم يكـن يخطر ببالي أنك تحب ضباط الشرطة الإنجليز.

سيبيلو : إني أفضلهم على العطس.

جوبليه : (يرفع اللوحة) آه! وما الذي تحت الصورة.

سيبيلو : ياإلهي.

جوبليه : الرطوبة، أليس كذلك؟

سيبيلو : نتيجة السكن بجوار نهر السين.

جوبليه : لا تحدثني عن ذلك. إني أسكن في جنفيليه. (جورج يعطس عدة مرات ثم يسب) ما هذا؟

سيبيلو : إنه الجار. لا يسـتطيع تحمـل الرطوبة، إنها تصيبه بحساسية.

جوبليه : عندك حظ، على كل حال، أن يكون المصاب هو الجار. فـي جنفيليه إنه أنا الذي أصاب بتلك الحساسـية. (يعاود الجلوس) يا سـيدي العزيـز، الرجل حيوان غريب، إني أهيم حبا ببيتك لأنه يذكرني ببيتي.

سيبيلو : لتشرح لي ذلك إذن!

جوبليه : حسـن، ذلك أن أعمالي تقتضي ذهابـي إلى أحياء جميلة. فيما مضى، كنت أعمل في شرطة المخدرات، فكلفت بالعمل في مكامن المحتالين والمجرمين، وهذا ينقلنا إلى باسـي Passy. إنـي أجري تحرياتي في أماكن فوق مستواي الاجتماعي يا سيدي العزيز، وهم يشـعرونني بذلك. لا بد أن أصعد من سـلم الخدم، وأنتظـر بين بيانو وزرع أخضر، وأبتسـم لسـيدات



يلبسن القفازات، ولسادة معطرين يعاملونني كأني واحد من الخدم. وفي أثناء ذلك، ولأنهم يضعون مرايا في كل مكان، أرى سحنتي المسكينة على كل الحوائط.

سيبيلو : ألا تستطيع أن تضعهم في مكانهم؟

جوبليه : في مكانهم؟ ولكنهم فيه! إنه أنا الذي لست في مكاني. ولكن لا بد أنك تعلم كل هذا في عملك.

سيبيلو : أنا! لو قلت لك إنه يجب عليَّ كل يوم أن أقبل «قدم» مديري!

جوبليه : هذا غير ممكن! أيضطرونك إلى ذلك؟

سيبيلو : إنه تعبير عن الموقف.

جوبليه : هيا، أنا أعلم معنى هذا الكلام، وأنا الذي أحدثك، قبلت أكثر من ألف مرة «قدم» مدير الأمن. إن الذي يعجبني في بيتك هو أنه يفوح بالفقر المدقع والمذلة الأبية. النهاية، إني أقوم بتحرياتي عند رجل مثلي: كأني عندي أنا نفسي بصورة ما. أنا حر، إذا طاب لي أن أقبض عليك أو أدق عنقك فلن يحتج أحد.

سيبيلو : أتفكر في ذلك؟

جوبليه : يا إله السماوات، كلا، إن لك تفكيرا طريفا للغاية. تفكيرك مثل تفكيري: بستين ألف فرنك في الشهر.

سيبيلو : سبعين.

جوبليه : ستين، سبعين، سيان. الشي نفسه. إنما يغير المرء تفكيره ابتداء من مائة ورقة. (منفعلا) يا صديقي المسكين سيبيلو!



سيبيلو : يا صديقي المسكين المفتش! (يتصافحان)

جوبليه : إننا وحدنا نستطيع تقدير بؤسنا وعظمتنا. اسقني شيئا على ذلك.

سيبيلو : عن طيب خاطر. (يملأ كأسين)

جوبليه : (يرفع كأسه) نخب حُماة الثقافة الغربية.

(يشرب)

سيبيلو : فليظل النصر لأولئك الذين يدافعون عن الأغنياء من دون أن يحبوهم. (يشرب) بالمناسبة، أليس عندك فكرة؟

جوبليه : ضد من؟

سيبيلو : ضد الشيوعيين.

جوبليه : آه! أنت تعمل في الدعاية! حسن! وتجد صعوبة في الوصول إلى هذه الفكرة. ولكن ليس أكثر مني أنا الذي لن أجد فاليرا الذي أبحث عنه.

سيبيلو : هل هو ماكر جدا؟

جوبليه : هو! لو لم أكن أخاف الألفاظ الضخمة لقلت لك إنه عبقري. على فكرة، ألم تقل لي إنه لجأ إلى بيتك؟

سيبيلو : قلت.. قلت إن مخلوقا...

جوبليه : إنه هو من دون أدنى شك. إذا كان هنا منذ قليل فلا بد أنه لايزال موجودا. كل نوافذ المنزل مراقبة، عندي رجال في الممر وعلى السلم. حسن، وبعد! إليك ما يثبت لك التقدير الذي أكنه له، لن أبحث في هذه الغرفة، ولن أدخل حتى في الحجرات الأخرى. أو تدري لماذا؟ لأني أعلم أنه قد دبر أمره لكي يتنكر



فـــلا يعرفه أحد، أو لكي يترك المكان. من يدري أين هو الآن؟ وفي أي زي تنكر؟ ربما كان أنت.

سيبيلو : أنا؟

جوبليه : هدئ من روعك، إن السـطحية مثل الذكاء لا تقلد، لِننته من هذا الأمر يا سـيدي العزيز. قل لي كلمتين أودعهما تقريري: لقد لمحته فأسـرعت إلى التليفون لكي تبلغنا، وانتهز هو فرصة هذه الدقائق من الغفلة لكي يهرب؟ أهو ذاك؟

سيبيلو : أنا...

جوبليه : عظيم! (فترة) لم يبق لي إلا أن أنسـحب، وأنا أحمل معي الذكرى العطرة لمشاركتك للحظات قصار. لا بد لنا أن نتقابل معا.

سيبيلو : كم يسعدني ذلك.

جوبليه : سأسـمح لنفسـي بأن أتلفن لك بين الحين والآخر. وكلما فرغنا من أعمالنا سوف نذهب معا إلى السينما، ونعيد أيام شبابنا. ألا ترافقني إلى الباب. (يخرج)

المشهد الثامن

سيبيلو وجورج

سيبيلو : (يذهب ليفتح باب الحجرة) هات فكرتك وأغرب عن وجهي.

جورج : كلا.



سيبيلو : لماذا؟

جورج : أفكاري تذوي بدوني، ولا فراق بيننا.

سيبيلو : في هذه الحالة سأستغني عنك، اخرج!

جورج : ألم تسمع ما قاله لك المفتش؟ أنا عبقري يا بابا!

سيبيلو : (مستسلما) وبعد؟ ماذا تريد؟

جورج : شـيئا قليلا، أن تسـتبقيني إلى جوارك، حتى يخلي البوليس المنزل.

سيبيلو : ثم.. لا نقود؟

جورج : كلا. ولكن تمنحني إحدى بدلاتك القديمة.

سيبيلو : حسن، فلتبق. (بعد فترة) والآن فكرتك.

جورج : (يذهب ليجلس. يصب لنفسه كأسا من الشراب، يملأ غليونا لسيبيلو على مهل ويشعله). حسنا! هذه هي...

(ستار)



المنظر الرابع

الديكور: مكتب جول بالوتان.

المشهد الأول

جول وتافرنييه وبيريجور والسكرتيرة.

جول : كم الساعة الآن؟

تافرنييه : العاشرة إلا دقيقتين.

جول : ولم يحضر سيبيلو؟

تافرنييه : كلا.

جول : كان يصل دائما قبل الموعد..

بيريجور : لم يتأخر بعد.

جول : كلا، ولكنه الآن لم يعد يحضر مبكرا. لا أحد يساعدني. (تليفون)

السكرتيرة : (في التليفون) آلو؟ نعم. نعم، يا سيدي الرئيس. (لجول) لقد انعقد مجلس الإدارة الآن، والرئيس يسأل: هل من جديد؟

جول : جديد! ليذهب إلى الجحيم، قولي إني خرجت.

السكرتيرة : (في التليفون) كلا يا سيدي الرئيس، لا بد أنه يطالع البروفات. (لجول) لا يبدو عليه الرضا.

جول : قولي له إني احتفظ له بمفاجأة سعيدة.



السكرتيرة	:	(في التليفون) لقد قال وهو يغادر المكتب إنه يحتفظ لك بمفاجأة سعيدة. حسن.
جول	:	بماذا أجاب؟
السكرتيرة	:	إن المجلس كان ينتظر مكالماتك التليفونية.
جول	:	أيها المخرف العجوز! سأخرب بيتك بالمفاجآت. (للسكرتيرة) اطلبي لي سيبيلو على الفور.
السكرتيرة	:	(في التليفون) سيبيلو يحضر عند رئيس التحرير. (لجول) لم يصل.
جول	:	كم الساعة الآن؟
السكرتيرة	:	العاشرة وخمس دقائق.
جول	:	(للآخرين) لقد قلت لكم ذلك: يبدأ المرء بألا يحضر مبكرا، وينتهي بأن يصل بعد الموعد. (فترة) حسنا! حسنا، حسنا، لننتظر! (يتخذ جلسة مريحة) لننتظر في هدوء. (يتخذ جلسة مريحة أخرى) في هدوء تام! (لتافرنييه وبيريجور) استرخيا. (تبدأ السكرتيرة في الكتابة على الآلة الكاتبة) يصرخ: قلت في هدوء! (يقفز على قدميه فجأة) لم أخلق للانتظار. (يسير) إنهم يقتلون شخصا ما!
تافرنييه	:	أين ذلك يا سيدي الرئيس؟
جول	:	وهل أعرف؟ في القاهرة، في هامبورج، في فالبارنيرو، في باريس. طائرة مقاتلة تنفجر فوق بوردو. فلاح يكتشف في حقله آثار رجل من كوكب مارس. إني أنا الأحداث الجارية يا أطفالي، والأحداث الجارية لا تنتظر. (رنين تليفون) إنه سيبيلو!

السكرتيرة : (في التليفون) ألو، نعم، نعم يا سيدي الوزير. (لجول) إنه وزير الداخلية، يسأل: هل من جديد؟

جول : لست هنا.

السكرتيرة : كلا يا سيدي الوزير، المدير غير موجود. (لجول) إنه يتميز غيظا.

جول : قولي له إني احتفظ له بمفاجأة.

السكرتيرة : لقد قال المدير منذ قليل إنه يحتفظ لك بمفاجأة. حسن يا سيدي الوزير. (تعيد سماعة التليفون) سيتصل تليفونيا بعد ساعة.

جول : ساعة! ساعة لكي نعثر على هذ المفاجأة.

بيريجور : ستجدها يا جول.

جول : أنا! سأكون أول من يفاجأ بها. (يتوقف عن المشي) لنعد إلى الهدوء. يا قدرة الله! لنجتهد في التفكير في شيء آخر. (فترة) وبعد؟

تافرنييه : (في دهشة) وبعد؟

جول : فكروا!

بيريجور : حسن يا سيدي الرئيس. في ما ذا؟

جول : قلت لكم ذلك في وقت آخر.

بيريجور : سنفكر في وقت آخر.

جول : فكروا بصوت مرتفع.

بيريجور : (مفكرا) إني أتساءل إن كان صاحب البيت سوف يصلح السقف. إن المحامي ينصحني بأن أقاضيه! يقول إني سأكسب القضية، ولكني غير متأكد من ذلك.



تافرنييه : (مفكـــرا) أين يمكن إذن أن أكـــون قد وضعت بطاقة المتـــرو هذه؟ لقد بحثت في جيوبـــي كلها عبثا. ومع ذلك فأنا أرى نفســـي مـــن جديد مـــرة أخرى هذا الصباح أمام شـــباك التذاكر، أتنـــاول نقودي باليد اليمنى واليسرى...

جول : اللصوص!

تافرنييه : (يستفيق فزعا) ما هذا؟

جول : أخيرا أرى قلوبكم، فماذا أجد فيها؟ أســـقفا، تذاكر مترو! إن أفكاركم ملكي، أدفع ثمنها وتسرقونها مني! (للسكرتيرة) أريد سيبيلو! اتصلي به في بيته.

السكرتيرة : حسن، ياجول. (تدير القرص، وتنتظر. يتوقف جول عن المشي وينتظر) لا أحد يرد.

جول : ســـألقي به إلى الخارج! لا، لا، لن أستمع إلى شيء! سألقي به إلى الخارج! وبمن نستبدله؟

تافرنييه : تييري مولنييه؟

جول : كلا.

تافرنييه : إن شخصيته مميزة، وترعبه الشيوعية.

جول : نعـــم، ولكـــن رعبه لا يصـــل إلى الغيـــر، وأنا أعرف اثنين قرآ مقالاته ثم ذهبا رأسا وانضما إلى الحزب الشيوعي. (بغتة) ونيكراسوف.. ما أخباره؟

بيريجور : يقولون إنه في روما.

جول : فـــي رومـــا! لقـــد قُضي الأمـــر. ســـوف تحتفظ به



الديموقراطية المسيحية.

تافرنييه : لقــد كذبت وكالة تاس الخبــر على كل حال، وادعت أنه في كريميه Crimee منذ خمسة عشر يوما.

جول : ولم لا؟ دعونا من الحديث طويلا عنه الآن، ولتنتظروا تأكيد الخبر، ولا تقولوا على الخصوص إنه في روما. فمع أزمة الفنادق عندنا لا يجمل بنا أن نقوم بدعاية للسياحة في إيطاليا. لنتدبر الأمر يا صغاري، لنواجه الصعوبات ونتناول الثور من قرنيه. هل أنتم معي؟

تافرنييه وبيريجور : جول: نحن معك.

جول : ماذا يلزم لكي نقوم بحملة؟

بيريجور : رؤوس أموال.

جول : لدينا. وبعد؟

تافرنييه : ضحية.

جول : لدينا أيضا. ولكن بعد ذلك؟

بيريجور : موضوع.

جول : موضوع.. نعم! موضوع.

تافرنييه : موضوع مدوٍّ.

بيريجور : يحدث فرقعة!

تافرنييه : رعب وإغراء جنسي.

بيريجور : بعض الأبدان وبعض «الإثارة».

جول : إني أتخيل هذا الموضوع، أتخيله!



تافرنييه : نحن أيضا، يا سيدي الرئيس، نراه.

جول : إني أعرفه.

بيريجور : نحن نعرفه كذلك.. نعم نعرفه.

جول : أنتما أيضا تعرفانه؟

تافرنييه : طبعا!

جول : إذن قولا لي ما هو؟

بيريجور : آه!.. ليست صورة تضم...

تافرنييه : صورة عامة يصعب معها...

بيريجور : أعتقد أنه يجب العثور على أحد لكي...

تافرنييه : النهاية، لكي...

جول : وها هي النتيجة! (يجلس متكدرا. وفجأة) أنتم تضحكون أيها الصغار؟

تافرنييه : (كأنما أهين) نحن يا جول! كيف تستطيع أن تتخيل ذلك؟

جول : سوف تخطئون إذا ضحكتم. لو أني طردت فستطردون معي. (تليفون)

السكرتيرة : صحيح؟ فليصعد حالا. (لجول) إنه سيبيلو.

جول : أخيرا!

(يتسمر الأربعة وأنظارهم مثبتة على الباب الزجاجي، وحينما يفتح يشير جول لتافرنييه وبيريجور بالخروج. يخرجان وتتبعهما السكرتيرة)



المشهد الثاني

جول وسيبيلو وجورج.

جول : يا عزيزي سيبيلو الشجاع. أتعرف أن صبري كاد ينفد.

سيبيلو : لا بد أن تلتمس لي العذر يا سيدي.

جول : هيا، هيا. لقد نسيت. من هذا السيد؟

سيبيلو : إنه سيد.

جول : أرى ذلك جيدا.

سيبيلو : سأحدثك عنه بعد قليل.

جول : صباح الخير يا سيدي. (جورج لا يجيب) هل هو أصم؟

سيبيلو : إنه لا يعرف اللغة الفرنسية.

جول : (لجورج مشيرا إلى مقعد) اجلس إذن. (يمثل حركة الجلوس. يظل جورج بلا تأثر) ألا يفهم الحركات كذلك؟

سيبيلو : لأنك أديتها بالفرنسية.

(يبتعد جورج ويتناول من فوق المكتب جريدة تحمل عنوانا ضخما: «اختفاء نيكراسوف»)

جول : هل يقرأ؟

سيبيلو : كلا، كلا، كلا. إنه يشاهد الصور.

جول : (يضع يديه على كتفي سيبيلو) وبعد يا صديقي؟

سيبيلو : وبعد؟ (من دون أن يفهم)



جول : فكرتك؟

سيبيلو : آه! فكرتي.. (فترة) إني غاية في الأسف يا سيدي.

جول : (منفعلا) أليس عندك فكرة؟

سيبيلو : أعني.. (جورج خلف جول يشير إليه بالكلام) أوه! بلى، ياسيدي، طبعا عندي.

جول : لا يبدو عليك أنك فخور بها.

سيبيلو : كلا. (إشارة من جورج) ولكني.. ولكني متواضع.

جول : هل هي فكرة طيبة، على الأقل؟ (إشارة من جورج).

سيبيلو : (مهمهما) آه! طيبة جدا!

جول : وتأسف لذلك؟ سيبيلو، إنك مخلوق غريب. (فترة) لنسمع فكرتك. (صمت من سيبيلو) لا تقل شيئا. (جورج يحضه على الكلام بالإشارة، وسيبيلو لا يتكلم) فهمت ماذا تعني: إنك تريد العلاوة. أصغ إليَّ يا صاحبي. سيكون لك ما تريد وأعدك بذلك. ستحصل على علاوة إن راقتني فكرتك.

سيبيلو : أوه! كلا! كلا، كلا.

جول : ما هذا؟

سيبيلو : لا أريد علاوة.

جول : حسن، لن أزيد مرتبك. هيه! هل أنت راض؟ (متضايقا) النهاية، هل ستتكلم؟ (سيبيلو يشير إلى جورج بإصبعه) ماذا؟

سيبيلو : إنها هي.

جول : من، هي؟



سيبيلو : هو.

جول : (من دون أن يفهم) هو تعني هي؟

سيبيلو : هو يعني الفكرة.

جول : فكرتك، هي هو؟

سيبيلو : ليست فكرتي، لا، لا، لا! ليست فكرتي.

جول : إذن فهي فكرته؟ (جورج يشير بأن لا)

سيبيلو : (مطيعا جورج) ولا هذا.

جول : (مشيرا إلى جورج) النهاية، من هو؟

سيبيلو : إنه أجنبي.

جول : من أي جنسية؟

سيبيلو : آه! (مغلقا عينيه) سوفييتية.

جول : (وقد خاب فأله) فهمت.

سيبيلو : (منطلقا) موظف سوفييتي عبر الستار الحديدي.

جول : موظف كبير؟ (جورج يشير إلى سيبيلو بأن يقول نعم).

سيبيلو : نعم. (وقد عاد إليه رعبه) أعني كلا. متوسط. متوسط جدا. موظف صغير جدا.

جول : باختصار رجل لا قيمة له.

سيبيلو : هو ذا! (حركة حانقة من جورج)

جول : وماذا تريدني أن أعمل بموظفك السوفييتي هذا؟

سيبيلو : لا شيء ياسيدي، لا شيء مطلقا.



جول : كيف لا شيء؟ ولماذا أصطحبه؟

سيبيلو : (وقـد تمالك نفسـه) كنت أظـن أنه يسـتطيع أن يمدنا..

جول : بماذا؟

سيبيلو : بالمعلومات.

جول : معلومات! عن ماذا؟ عن ماكينات كتابة سـوفييتية؟ عن مصابيح المكاتب أو المراوح! سـيبيلو، لقد كلفتك بشن حملة ضخمة، وتقترح عليَّ مضامين لا تستقيم مع الحرية والسـلام. منذ كرافشنكو kravchenko أو تـدري كم رأيت أنـا من طوابيـر لموظفين أثروا الحرية؟ مائة واثنين وعشـرين يا صديقي، حقيقيين أو مزيفين. لقد تلقينا سـائقي سـفارات، وخادمات أطفال، وسمكريا، وسبعة عشر حلاقا. وقد اعتدت أن أبعث بهم إلى زميلي روبنيه Robinet في جريدة الفيجـارو، وهـو لا يزدري أصغر خبـر. النتيجة: هبوط عام في أسعار كرافشـنكو وأمثاله. وآخرهم في التاريخ، ديميـدوف Demidoff وهو مدير كبير، واقتصادي مرموق، أمدنا بأربع موضوعات بصعوبة، وبعد ذلـك يبدو أن «بيدو» Bidoult نفسـه لم يعد يدعوه إلى الطعام. (يتقدم من جورج) آه! السـيد قد اجتاز السـتار الحديدي! آه! السيد قد آثر الحرية! حسن، دعهم يقدمون إليه بعض الحساء وأرسله من طرفي إلى جيش الخلاص.

سيبيلو : برافو يا سيدي الرئيس.

جول : ماذا!



سيبيلو	:	لا تستطيع أن تدرك مدى ارتياحي. (إلى جورج في تشفي) إلى جيش الخلاص... إلى جيش الخلاص!
جول	:	وهذا هو كل ما في الأمر! أليس عندك فكرة أخرى؟
سيبيلو	:	(يفرك يديه) ولا واحدة! ولا واحدة على الإطلاق.
جول	:	أيها الأبله، أنت مرفوت.
سيبيلو	:	نعم يا سيدي الرئيس! أشكرك يا سيدي الرئيس! إلى اللقاء يا سيدي الرئيس! (يهم بالخروج فيستوقفه جورج ويجره إلى وسط المسرح)
جورج	:	أتسمح؟
جول	:	أنت تتحدث الفرنسية إذن؟
جورج	:	كانت أمي فرنسية.
جول	:	(لسيبيلو) وفوق ذلك تكذب! أغرب عن وجهي!
جورج	:	(ممسكا بسيبيلو) لقد أخفيت عليه ذلك حرصا مني.
جول	:	سيدي، إني أهنئك على إتقانك لغتنا الجميلة إلى هذا الحد، ولكنك بالفرنسية كما بالروسية تضيع عليَّ وقتي، وسأكون لك من الشاكرين إن تركت مكتبي على الفور.
جورج	:	وهذا ما أنوي عمله. (لسيبيلو) هيا إلى جريدة فرانس ـ سوار بسرعة.
جول	:	إلى فرانس ـ سوار! لماذا؟
جورج	:	(وهو يهم بالخروج) إن وقتك ثمين جدا. ولن أثقل عليك أكثر من ذلك.



جول	:	(يقف في وجهه) إنـــي أعرف جيدا زميلي لازاريف، وأستطيع أن أؤكد لك أنه لن يفعل شيئا من أجلك.
جورج	:	إني مقتنع بذلك، أنا لا أنتظر شـــيئا من مخلوق، ولا يســتطيع مخلوق مســاعدتي. ولكن، أنا أستطيع أن أفعل الكثير لجريدته ولبلادك.
جول	:	أنت!
جورج	:	نعم أنا.
جول	:	وماذا ستفعل إذن؟
جورج	:	سوف تضيِّع وقتك.
سيبيلو	:	نعم يا ســيدي الرئيــس، نعم ســوف تضيِّع وقتك. (لجورج) لتخرج.
جول	:	ســيبيلو.. مكانك، (لجورج) عنــدي مع ذلك خمس دقائـــق فراغا. ولن يقال إني طـــردت رجلا من دون سماعه.
جورج	:	إنه أنت الذي ترجوني أن أبقى؟
جول	:	إنه أنا الذي أرجوك.
جورج	:	وهو كذلك. (ينحني تحت المنضدة ويحبو على أربع)
جول	:	ماذا تفعل؟
جورج	:	لا يوجد جهاز تســجيل مُخبأ؟ لا يوجد مكبر صوت؟ حسن. (ينهض) هل لديك شجاعة؟
جول	:	أظن ذلك.
جورج	:	إذا تكلمت فستتعرض لخطر الموت.



جول : الموت! لا تتكلم، بل تكلم، تكلم بسرعة.

جورج : انظر إليّ. خير من ذلك (فترة) إذن؟

جول : إذن ماذا؟

جورج : لقد نشرت صورتي في الصفحة الأولى من جريدتك.

جول : أنت تعرف الصور.. (يتأمله) لا أذكر ذلك.

جورج : (يضع عُصابة سوداء على عينه اليمنى) وهكذا؟

جول : نيكراسوف!

جورج : إذا صرخت فقد ضعت. هناك سبعة من الشيوعيين المسلحين في مكاتبك.

جول : أسماؤهم؟

جورج : فيما بعد، الخطر ليس مباشرا.

جول : نيكراسوف! (لسيبيلو) ولم تقل لي ذلك!

سيبيلو : أقسم لك أني لم أكن أعرف ذلك يا سيدي الرئيس. أقسم لك.

جول : نيكراسوف! يا صاحبي سيبيلو، إنك عبقري!

سيبيلو : يا سيدي الرئيس، أنا مخلوق دنيء! دنيء! دنيء!

جول : نيكراسوف! إني أحبك! (يقبله)

سيبيلو : (يسقط على المقعد) كل شيء مستهلك! (يغمى عليه)

جورج : (ينظر إليه في ازدراء) أخيرا أصبحنا بمفردنا! (لجول) لنتحدث معا.



جول : أنا لا أريد أن أجرح شعورك، ولكن...

جورج : أنت لن تستطيع ذلك، حتى لو أردت.

جول : ما الذي يثبت لي أنك نيكراسوف؟

جورج : (ضاحكا) لا شيء!

جول : لا شيء؟

جورج : لا شيء على الإطلاق.. فتشني.

جول : أنا لا..

جورج : (في عنف) قلت لك أن تفتشني.

جول : حسن! حسن! (يفتشه)

جورج : ماذا وجدت؟

جول : لا شيء.

جورج : وهــذا هو الدليل القاطع. ما الذي كان يفعله دجال؟ كان يريك جواز سـفره ومذكـرات العائلة، وتحقيق شـخصية سـوفييتيا. ولكنك أنت بالوتـان، لو كنت نيكراسـوف وسـولت لك نفسـك أن تجتاز الستار الحديدي، أكنت سـتصبح أبله إلى درجة الاحتفاظ بأوراقك معك؟

جول : طبعا لا.

جورج : هذا ما كان يجب إيضاحه.

جول : يا للبراعة! (عبوسـا) ولكن، على هذا يسـتطيع أي مخلوق...

جورج : أو يبدو عليّ أنني أي مخلوق؟



جول : لقد أذاعوا عنك أنك في إيطاليا...

جورج : تبا لهم! سوف يذيعون غدا أني في اليونان، في إسبانيا، في ألمانيا الغربية. ولكن دعهم يحضروا أولئك الدجالين، دعهم يحضروا جميعا وستعميك الحقيقة. نيكراسوف الحقيقي عاش خمسة وثلاثين عاما في الجحيم الأحمر، إن له عيون رجل آت من بعيد. انظر إلى عيني! نيكراسوف الحقيقي قتل مائة وثمانية عشر شخصا بيديه. انظر إلى يدي. نيكراسوف الحقيقي نشر الإرهاب عشر سنوات! استدع المزيفين الذين سرقوا اسمي، وسترى بالمقارنة من منا هو الأخطر. (يهجم على جول فجأة) أبك خوف؟

جول : أنا.. (يتراجع ويكاد يصطدم بالحقيبة)

جورج : أيها التعس! لا تلمس الحقيبة!

جول : (صارخا) آه! (ينظر إلى الحقيبة) ما الذي فيها؟

جورج : ستعرف ذلك فيما بعد. ابتعد. (جول ينزوي في ركن) أرأيت: إنك خائف. من الآن! آه! سأميتكم من الخوف جميعا، وسترى إن كنت نيكراسوف!

جول : إني خائف، ولكني لاأزال مترددا. لو كنت تخدعني...

جورج : إذن.. ؟

جول : فستنهار الجريدة. (جرس التليفون يرن. يتناول السماعة) آلو! صباح الخير ياعزيزي الوزير. نعم، نعم. طبعا! لم يعد يستحوذ عليّ شيء سوى هذه الحملة! نعم. نعم. كلا: ليس في الأمر أي تهاون!



إنـــي أســـألك أن تمهلني بضع ســـاعات فقط. نعم، شـــيء جديد. لا أســـتطيع شـــرح ذلك في التليفون. ولكن أرجوك ألا تغضب.. لقد وضع السماعة! (يضع السماعة)

جورج : (فـــي تهكم) أنـــت في حاجة ماســـة إلـــى أن أكون نيكراسوف.

جول : للأسف.

جورج : إذن فأنا هو.

جول : عفوا!

جورج : أنســـيت قواعد الديانة المسيحية؟ كانوا يثبتون وجود الله بحاجة الإنسان إليه.

جول : أنت تعرف قواعد الديانة المسيحية؟

جورج : نحن نعرف كل شيء. هيا يا جول، لقد سمعت ما قاله الوزيـــر: إذا لم أكن نيكراســـوف، فلن تكون أنت بعد اليوم بالوتان، نابليون الصحافة. هل أنت بالوتان؟

جول : نعم.

جورج : أتريد أن تظل كذلك؟

جول : نعم

جورج : إذن فأنا نيكراسوف.

سيبيلو : إنه يكذب ياســـيدي الرئيس، إنـــه يكذب! (يعود إلى رشده)

جول : (يلقي بنفســـه عليه) أيها الأبله، العاجز، المغفل، وما دخلك أنت؟ هذا الرجل نيكراســـوف، وقد أثبت لي

ذلك الآن.

سيبيلو : أثبت لك ذلك؟

جول : بما لا يقبل الشك!

سيبيلو : ولكني أقسم لك..

جول : اخرج من هنا! حالا!

جورج : اذهـــب يـــا عزيزي الطيـــب ســـيبيلو، وانتظرني في الخارج. (يدفعانه).

سيبيلو : (وهو في طريقه إلى الخارج) أنا لســـت مسؤولا عن شـــيء! إني أغسل يديَّ من كل الموضوع! (يغلق الباب من دونه)

المشهد الثالث

جورج وجول.

جورج : إلى العمل!

جول : أنت تعرف كل شيء، أليس كذلك؟

جورج : عن ماذا؟

جول : عن الاتحاد السوفييتي؟

جورج : بالتأكيد!

جول : وهو.. مرعب؟

جورج : (في فراسة) آه!



جول : أو تستطيع أن تقول لي..

جورج : لا شـــيء. اســـتدع مجلـــس إدارتـــك فلي شـــروط أفرضها.

جول : تستطيع باطمئنان أن تقول لي..

جورج : قلت لك لا شيء. ناد المجلس.

جول : (يتناول التليفون) ألو. يا عزيزي الرئيس، لقد وصلت المفاجأة. إني في انتظارك. نعم. نعم. نعم. طبعا نعم أنت ترى أني أفي دائما بوعودي. (يعيد الســماعة) إنه مهتاج، ذلك العجوز القذر!

جورج : لماذا؟

جول : كان أمله قويا أن ينال مني!

جورج : ما اسمه؟

جول : موتون.

جورج : سأحتفظ باسمه في ذاكرتي. (فترة)

جول : ومع ذلك فقد كان بودي، ونحن ننتظرهم، أن...

جورج : تريد عينة مما أعرف. حســـن. أنا أستطيع أن أزيح الســـتار عن تفصيلات الخطة «ج» الشهيرة لاحتلال فرنسا في حالة نشوب حرب عالمية.

جول : هناك خطة «ج» لاحتلال فرنسا؟

جورج : لقد تحدثت عنها في جريدتك في العام الماضي.

جول : أحق؟ آه! نعم. ولكني.. كنت أرجو تأكيدا..

جورج : ألم تكتب، في تلك الفترة، أن الخطة «ج» تحوي قائمة



بأسماء من سيلقون حتفهم رميا بالرصاص؟ حسن! كان معك حق.

جول : أسيعدمون فرنسيين؟

جورج : مائة ألف.

جول : مائة ألف!

جورج : ألم تكتب ذلك، نعم أم لا؟

جول : تعرف، المرء يكتب ذلك مـن دون أن يفكر فيه. وهل معك القائمة؟

جورج : لقد حفظت، عن ظهر قلب، العشرين ألف اسم الأولى.

جول : أعطني بعضها. من الذي سيعدم؟ هيريو؟ Herriot

جورج : طبعا.

جول : هو الذي كان دائما لطيفا معك – أقصد معهم! هذا يسليني كثيرا. ومن أيضا؟ كل الوزراء فيما أظن.

جورج : وكل الوزراء السابقين.

جول : أي نائب من كل أربعة.

جورج : معـذرة! نائب من كل أربعة سـيعدم رميا بالرصاص كوزير سـابق. ولكن الثلاثة الآخرين يمكن إعدامهم لأسباب أخرى.

جول : فهمـت: كل مجلس النواب سـيلقى حتفـه، ماعدا الشيوعيين.

جورج : ماعدا الشيوعيين؟ لماذا؟

جول : آه! لأن الشيوعيين أيضا...



جورج : صه!

جول : ولكن..

جورج : لم يصلب عودك بعد بما فيه الكفاية، لكي تتحمل الحقيقة! سأكشف عن أوراقي قليلا قليلا..

جول : أتعرف بيردريير؟

جورج : بيردريير.

جول : نود أن يكون اسمه في القائمة.

جورج : أحقا! لماذا؟

جول : هكذا! لكي نجعله يتفكر. وإن لم يكن اسمه في القائمة، فيا لها من خسارة!

جورج : ذلك أني أعرف اثنين بهذا الاسم. أحدهما يدعى رينيه..

جول : ليس هو..

جورج : أفضل: لأنه ليس في القائمة.

جول : صاحبنا اسمه هنري. وهو راديكالي اشتراكي.

جورج : هنري! هو ذا. أنا لا أعرف غيره. نائبا؟

جول : كلا. كان نائبا، ولكنه لم يعد كذلك. وهو مرشح في الانتخابات المحلية في دائرة «سين ـ مارن» – Seine - et - Marne

جورج : إنه هو. أنت تدرك جيدا أنهم لن يترفقوا به. بل إن اسمه من بين أوائل الأسماء الواردة في القائمة.

جول : إنك تسعدني بقولك هذا. وفي الصحافة! من؟

جورج : كثير من الناس.



جول : ولكن، مثلا، من؟

جورج : أنت!

جول : أنا؟ (يهرع إلى التليفون) بيريجور! مانشيت على ستة أعمدة: «نيكراسوف في باريس، مديرنا في القائمة السوداء»، هذا شيء مسل، هيه؟ نعم، مسل جدا! (يعيد السماعة فجأة) أنا؟ أنا أعدم رميا بالرصاص! هذا.. هذا غير مقبول.

جورج : أوه!

جول : ولكني جريدة حكومية، كما ترى! ستكون هناك بالطبع حكومة حينما يحتل السوفييت باريس!

جورج : من دون شك.

جول : وعليه إذن؟

جورج : سيحتفظون بـ «سوار آباري»، ولكنهم سيصفون الموظفين.

جول : رميا بالرصاص! والمضحك في الموضوع حقا أن ذلك لا يسيؤني تماما. هذا يعطيني قيمة ووزنا. إني أكبر. (يقف أمام المرآة) رميا بالرصاص! رميا بالرصاص! هذا الرجل. (يشير إلى نفسه في المرآة) سيعدم رميا بالرصاص. هيه! إني أرى نفسي بعيون أخرى. أو تعرف بماذا يذكرني هذا: اليوم الذي تسلمت فيه قلادة الشرف (ملتفتا إلى جورج) ومجلس الإدارة؟

جورج : لا عليك إلا أن تسمي لي الأعضاء وسأقول لك المصير الذي ينتظرهم.

جول : ها هم! (يدخل أعضاء مجلس الإدارة)



المشهد الرابع

جول وجورج وموتون ونيرسيا وليرمينييه وشاريفيه وبيرجيرا.

موتون : يا عزيزي بالوتان..

جول : أيها السادة، ها هي مفاجآتي!

الجميع : نيكراسوف!

جول : نيكراسوف، نعم، نيكراسوف الذي أمدني ببراهين لا تقبل الشك تثبت شخصيته، والذي يتكلم الفرنسية والذي يستعد لكي يذيع على العالم كله أسرارا وحقائق مذهلة. إنه يعلم عن ظهر قلب، فيما يعلم، أسماء عشرين ألف شخص تستعد القيادة السوفييتية لإعدامهم رميا بالرصاص حينما تحتل الفرق الروسية فرنسا.

المجلس : (همهمات) أسماء! أسماء! هل نحن من بينهم؟ هل أنا من بينهم؟

جورج : أحب أن أعرف أولئك السادة بأسمائهم.

جول : طبعا. (مشيرا إلى أقرب الأعضاء إليه) السيد ليرمينييه.

ليرمينييه: تشرفنا.

جورج : إعدام.

جول : السيد شاريفيه.

شاريفيه : تشرفنا.

جورج : إعدام.

جول : السيد نيرسيا.

نيرسيا : تشرفنا.

جورج : إعدام.

نيرسيا : سيدي هذا يشرفني.

جول : السيد بيرجيرا.

بيرجيرا : تشرفنا.

جورج : إعدام.

بيرجيرا : هاك ما يثبت ياسيدي أني فرنسي مخلص.

جول : وها هو رئيسنا، السيد موتون.

جورج : موتون؟

جول : موتون.

جورج : آه.

موتون : (مقتربا) تشرفنا.

جورج : تشرفنا.

موتون : ماذا؟

جورج : أقول. تشرفنا

موتون : (ضاحكا) هل هي هفوة؟

جورج : كلا.

موتون : تريد أن تقول: إعدام.

جورج : أريد أن أقول ما أقول.

موتون : موتون: يا إلهي! موتون.

جول : «م» مثل «ماري» و «إ» مثل إكتانيوس...

جورج : لا فائدة. السيد موتون ليس في القائمة.

موتون : لعلك نسيتني.

جورج : أنا لا أنسى شيئا.

موتون : ولماذا، من فضلك، لا يتكرمون بإعدامي؟

جورج : أجهل ذلك.

موتون : أوه! كلا ليس الأمر بهذه السهولة. أنا لا أعرفك وأنت تريد أن تلطخ سمعتي، وترفض تفسيرا لذلك؟ إني أحتم عليك أن...

جورج : القائمة السوداء الخاصة بالصحافة قدمت إلينا من وزير الاستعلامات من دون تعليقات.

نيرسيا : يا عزيزي موتون...

موتون : إنها مزحة أيها السادة، مزحة بسيطة.

جورج : الوزير السوفييتي لا يمزح أبدا.

موتون : هذا أمر غاية في السخف! أيها الأصدقاء، قولوا للسيد نيكراسوف إن أحوال خدمتي تجعل مني الضحية البينة للحكومة السوفييتية، فأنا جندي قديم في حرب ١٤، نلت نيشان الحرب، وأرأس أربعة مجالس إدارة، وأنا... (يتوقف عن الكلام) النهاية، قولوا شيئا! (صمت محرج) بالوتان، أتنوي نشر هذه القائمة؟

جول : سأفعل ما تقررونه أيها السادة.

بيرجيرا : طبعا لا بد من نشرها.

موتون : حسنا! رجائي أن تضعوا فيها اسمي. الجمهور لن



ينسي ذلك. ستتلقون احتياجات!

(جورج يتناول قبعته ويهم بالخروج)

جول : إلى أين أنت ذاهب؟

جورج : إلى فرانس - سوار.

نيرسيا : إلى فرانس - سوار؟ ولكن...

جورج : أنا لا أكذب أبدا، وهذا سر قوتي. تنشرون تصريحاتي من دون تحريف أو أتوجه إلى غيركم.

موتون : لتذهب إلى الشيطان! سنستغني عنك.

نيرسيا : أنت مجنون يا عزيزي!

شاريفيه : مجنون تماما!

بيرجيرا : (لجورج) أرجو أن تسامحنا ياسيدي العزيز.

ليرمينييه : إن رئيسنا عصبي المزاج جدا.

شاريفيه : وانفعاله له ما يبرره.

نيرسيا : ولكننا نروم الحقيقة.

بيرجيرا : كل الحقيقة.

ليرمينييه : ولا شيء غير الحقيقة.

جول : وسننشر كل ما يريد.

موتون : أقول لكم إن هذا الرجل دجال. (همهمة استهجان)

جورج : لوكنت في مكانك ياسيدي لما تحدثت عن الرجل، لأنه على كل حال ليس أنا بل أنت الذي أبعد عن القائمة السوداء.



موتون : (إلى أعضاء المجلس) أتتركون رئيسكم يهان؟ (صمت) إن قلب الرجل حفرة مملوءة بالقاذورات والأوساخ. إنكم تعرفونني منذ عشرين عاما، ولكن ماذا يهم؟ كانت تكفي كلمة ينطق بها مجهول وترتابون فيّ... فيّ أنا، صديقكم!

شاريفيه : ياعزيزي موتون...

موتون : إلى الوراء! لقد تأسدت أرواحكم بشهوة الريح! إنكم تقصدون أن تبهروا البوابين بكشف الستار عن حوادث مثيرة لا أساس لها من الصحة، وتأملون مضاعفة البيع، وتضحون بعشرين عاما من الصداقة من أجل عجل من الذهب. حسن! اكشفوا أيها السادة، اكشفوا عن الأسرار المثيرة! إني أترككم وسأذهب للبحث عن دليل يثبت أن هذا الرجل كذاب ومزور ومحتال. ولتدعوا الله أن أجد هذا الدليل قبل أن يضحك العالم بأسره من جنونكم.. إلى اللقاء، وحينما نلتقي من جديد سيلقي على رؤوسكم الرماد، وستضربون صدوركم طالبين مغفرتي. (يخرج)

المشهد الخامس

السابقون، ماعدا موتون والسكرتيرة.

نيرسيا : يا للعجب!

شاريفيه : أهذا ما كان ينقصنا!

ليرمينييه : إنه أمر عجاب، عجاب، عجاب.



بيرجيرا	:	ما هذا الذي ألمَّ بنا وأصابنا؟
جورج	:	سترون من ذلك الكثير.
نيرسيا	:	نحن لا نطلب إلا أن نرى.
بيرجير	:	تكلم، تكلم بسرعة!
جورج	:	لحظة أيها السادة! لدي تفسيرات أقدمها لكم وشروط أمليها عليكم.
ليرمينييه	:	نحن نصغي لك.
جورج	:	لكي نتجنب سوء الفهم، سيهمني أولا أن أبين بدقة أني أحتقركم.
نيرسيا	:	طبعا، هذا أمر مفهوم لا يحتاج إيضاحا.
بيرجيرا	:	ولو كان غير ذلك لأسأنا الفهم.
جورج	:	إنكم تمثلون في نظري خدم الرأسمالية الحُقراء.
شاريفيه	:	برافو..
جورج	:	لقد تركت وطني حينما أدركت أن سادة الكرملين يخونون مبدأ الثورة، ولكن لا تسيؤوا فهم ذلك. إني باق شيوعيا لا يتحول عن مبدئه.
ليرمينييه	:	وهذا يشرفك.
نيرسيا	:	ونحن راضون عن صراحتك.
جورج	:	أنا لا أجهل أني أطيل في عمر المجتمع البرجوازي قرنا من الزمان بإعطائي إياكم وسائل قلب نظام الحكم السوفييتي.
الجميع	:	برافو!! حسنا جدا! حسنا جدا!



جورج	:	وأنا مستسلم لذلك على مضض، لأن غايتي الرئيسية هي تنقية الحركة الثورية وتطهيرها. لتمت إذا وجب ذلــك، بعد مائة عام ســتبعث من رمادهـــا، وحينئذ ســنعاود ســيرنا إلى الأمام. وفي هذه المرة أحب أن أقول لكم إننا سنكسب المعركة.
نيرسيا	:	بعد مائة عام، هو ذاك!
شاريفيه	:	في مائه عام، الطوفان!
نيرسيا	:	أنا عن نفسي، قلت دائما إننا نسير نحو الاشتراكية. كل مــا في الأمر هــو أن نصل إلى ذلــك في هدوء وسكينة.
بيرجيرا	:	ومن الآن وحتى يحــدث ذلك ليكن همنا الوحيد هو تحطيم الاتحاد السوفييتي!
شاريفيه	:	لنحطم الاتحاد السوفييتي، برافو!
ليرمينييه	:	لنحطــم الاتحــاد الســوفييتي، لنحطــم الاتحــاد الســوفييتي، لنسحق الحزب الشــيوعي الفرنسي! (تحمل السكرتيرة أكواب الشراب على صينية)
نيرسيا	:	(يرفع كوبا) نخب عدونا العزيز!
جورج	:	نخبكم! (يشربون الأنخاب) هاك شروطي. لنفسي لا أريد شيئا.
ليرمينييه	:	لا شيء!؟
جورج	:	لا شـــيء، جناح في فندق جورج الخامس، اثنان من الحرس الأقوياء، ملابس محترمة، ونقود للصرف.
نيرسيا	:	موافقون.
جورج	:	سأملي ذكرياتي، وسأكشف عنه لصحافي ممارس.

جورج : أتريد كارتييه؟

جورج : أريد سيبيلو.

جول : عظيم.

جورج : إني أنتظر أن ترفعوا أجره. كم يأخذ؟

جول : إيه.. سبعين ألف ورقة في الشهر.

جورج : إنك تميته جوعا. سترفع أجره ثلاثة أضعاف.

جول : أعدك بذلك.

جورج : إلى العمل.

جول : والشيوعيون السبعة؟

جورج : أي شيوعيين؟

جول : أولئك المسلحين في مكاتبي.

جورج : آه!... آه! نعم.

نيرسيا : هناك شيوعيون في سوار آباري؟

جول : (لجورج) سبعة! أليس كذلك؟

جورج : نعم، نعم، نعم. إنه الرقم الذي أعطيتك إياه.

نيرسيا : غير معقول! وكيف تسربوا...

جورج : (ضاحكا) ها! ها! ها! إنك ساذج!

ليرمينييه : مسلحون! بأي سلاح؟

جورج : الترسانة العادية، قنابل يدوية ومسدسات. ولا بد أن هناك بضعة رشاشات في أماكن خفية.

نيرسيا : هذا خطير جدا.



جورج : كلا: ليس الآن. لنعد إلى موضوعنا.

بيرجيرا : ولكن هذا هو موضوعنا.

نيرسيا : ولتسمح بأن أقول لك إن مهمتك الأولى يجب أن تكون منع ذبح مجلس الإدارة.

جورج : إنهم لا يفكرون في ذبحكم.

نيرسيا : إذن فلماذا هذا السلاح؟

جورج : صه!

نيرسيا : (مندهشا) صه؟

جورج : ستعلمون كل شيء في حينه.

جول : على كل حال لا بد من تطهير الجريدة. ولسوف يعطينا السيد نيكراسوف هذه الأسماء السبعة.

ليرمينييه : (ضاحكا) أظن جيدا أنه سوف يعطينا إياها، بل وسيسعده ذلك.

بيرجيرا : الأوغاد، الأوغاد، الأوغاد...

ليرمينييه : سوف تطردهم خارج الدار، هذا الصباح نفسه.

جول : وإذا أطلقوا النيران؟

بيرجيرا : أبلغ الشرطة واطلب عربة من المفتشين.

نيرسيا : وعند أقل حركة، السجن.

شاريفيه : أنت تعلم جيدا أنهم لن يجرؤوا على عمل شيء.

ليرمينييه : على أي حال، أن نعطي وزارة الداخلية عناوينهم.. هذا أمر لا يجوز إغفاله.

نيرسيا : سأفكر في ذلك، بالوتان، ستتصل تليفونيا بكل الجرائد المسائية والصباحية لكي تبلغها القائمة،



أولئك الشطار لا بد أن يُشطبوا من المهنة.

ليرمينييه : فليختفوا!

شاريفيه : فليموتوا جوعا هؤلاء القراصنة!

بيرجيرا : للأسف أن حزبهم سوف يطعمهم.

شاريفيه : حِزبهم؟ سيسقطهم من حسابه حالما يعرف أنهم كشفوا.

نيرسيا : ألا تخشى أن يلقوا قنابل الانتقام؟

شاريفيه : سنجعل إدارة الأمن العام تحرس المبنى.

ليرمينييه : بالقوات المسلحة إذا لزم الأمر.

شاريفيه : خلال ستة شهور!

ليرمينييه : خلال سنة! خلال سنتين!

بيرجيرا : آه! أولئك السادة يريدون الغراك، حسنا! أتعهد لكم بأن نحقق لهم ما يريدون.

نيرسيا : (ملتفتا إلى جورج) نحن نصغي إليك يا سيدي العزيز.

جورج : إني.. إني أخشى ألا أهتدي إلى جميع الأسماء.

جول : (للسكرتيرة) فيفي! هات قائمة الموظفين. (فيفي تحضر القائمة. يتناولها. لجورج) هذا ما سوف يذكرك. ما عليك إلا أن تؤشر بقلمك.

(يضع القائمة على مكتبه، ويشير إلى جورج بالجلوس. يجلس جورج إلى المكتب. صمت طويل)

بيرجيرا : وبعد؟

جورج : (على الرغم منه) أنا لست مرشدا.



ليرمينييه : (في دهشة) ماذا؟

جورج : (وقد وقع في ورطة) أريد أن أقول...

بيرجيرا : (في تشكك) أترفض إعطاء الأسماء؟

جورج : (وقد تمالك نفسه) أنا!؟ ستأخذون أسماء بالآلاف. ولكنكم أطفال، لكي تكشفوا القناع عن بضعة أعداء، سوف تعطون إشارة الخطر لكل الآخرين. إن الموقف أشـد خطورة مما تتصورون. ولتعلموا أنهم خدعوا جريدة «لوموند»، وأنكم عشتم في الخطأ، وأنه لو لم يلق بي القدر في طريقكم لكنتم قدمتم وأنتم تجهلون كل شيء.

بيرجيرا : نجهل ماذا؟

جورج : آه! كيف أشـرح لكم ذلك؟ إن نفوسـكم ليست مهيأة لتقبل الحقيقة، ولا أسـتطيع أن أكشف لكم عن كل شـيء دفعة واحدة. (فجأة) الأحرى بكم أن تتأملوا هذه الحقيبـة. (يتناول الحقيبة ويضعها على مكتب جول) بماذا تمتاز هذه الحقيبة؟

جول : لا شيء.

جورج : معذرة.. إن لها هـذه الصفة الخاصة، ألا وهي أنها تشبه كل الحقائب الأخرى.

نيرسيا : يستطيع المرء أن يقسم أنها صنعت في فرنسا.

جورج : لم تصنع في فرنسـا. ولكنك تستطيع الحصول على شبهتها من نجار سـاحة المدينة بمبلغ ثلاثين فرنكا ونصف.

ليرمينييه : أوه (مأخوذا)



بيرجيرا	:	هذا كثير جدا.
جورج	:	هل هذا الشـيء البسيط البارد الذي لا يتصف بأي صفة معينـة رهيب إلى هذا الحد؟ يبـدو عليه أنه عادي جدا لدرجة تثير الشبهة، وعلى رغم أنه يفلت من التفتيش والبطاقات البيانيـة لتفاهته فإن مرآه يملأ القلب رعبا من فوزه، ولكن لا يلبث المرء أن ينسى شـكله وحتى لونه. (فترة) أو تعلمـون ماذا يضعون فيه؟؟ سبعة كيلوجرامات من مسحوق الإشعاع. وفي كل مدينـة من مدنكـم الكبرى يقيم شـيوعي ومعه حقيبة مشـابهة تماما لتلك الحقيبـة. أحيانا يكون مديـر إدارة أملاك، مفتش ضرائب، ومدرس رقص ورشاقة، وأحيانا أخرى تكون عانسا عجوزا تعيش مع القطط والطيـور. وتبقى الحقيبة في مخزن الغلال تحت حقائب أخرى ووسـط صناديق كبيرة ومدافئ قديمة وهياكل من الخيزران. من إذن يخطر بباله أن يذهـب للبحث عنها في ذلك المكان؟ ولكن، في اليوم الموعود، ستوزع الرسـالة الشفرية نفسها في جميع مدن فرنسا، وستفتح كل الحقائب دفعة واحدة. إنكم تخمنون النتيجة مائة ألف ميت يوما.
الجميع	:	(في رعب) ها!
جورج	:	الأحرى بكم أن تشـاهدوا بأنفسـكم. (يذهب ليفتح الحقيبة)
بيرجيرا	:	(صارخا) لا تفتحها!
جورج	:	لا تخـف: إنها فارغة! (يفتحها) اقتربوا، انظروا إلى البطاقة، لاحظـوا الأحزمة، وتحسسـوا المزلاقين. (أعضاء المجلس يقتربون الواحد إثر الآخر، ويلمسون



الحقيبة في تردد وخوف)

بيرجيرا : (يلمسها) هذا حق! مع ذلك فهذا حق!

ليرمينييه : (الحركة نفسها) يا له من كابوس!

شاريفيه : السفلة!

نيرسيا : السفلة، السفلة، السفلة!

بيرجيرا : آه! كم أحقد عليهم.

ليرمينييه : على أي حال نحن لا ندع أنفسنا نموت كالفئران، فما العمل؟

جورج : بناء أجهزة كاشفة، لايزال أمامنا بضعة شهور (فترة) هل فهمتموني؟ هل اقتنعتم بأن المهمة سوف تكون شاقة، وأننا نعرض كل شيء للخطر، إذ نحن عاقبنا مرؤوسين لا أهمية لهم؟

شاريفيه : أعطنا أسماءهم على رغم ذلك.

ليرمينييه : ونعدك بأننا لن نزعجهم.

بيرجيرا : لكننا نريد أن نعرف غريمنا.

نيرسيا : ونواجه الخطر وجها لوجه.

جورج : حسن! ليكن. ولكنكم ستتبعون تعليماتي تماما. لقد وجدت الآن الوسيلة لإبعاد خطرهم.

بيرجيرا : أي وسيلة؟

جورج : ارفعوا أجورهم. (همهمة) انشروا في كل مكان أنكم سعداء بخدمتهم وإنكم ستمنحونهم زيادة كبيرة.

بيرجيرا : أتعتقد أننا نستطيع إفسادهم؟



جورج : إن كان على ذلك فكلا. ولكنكم ستفقدونهم ثقة رؤسائهم. فهذه الخطوة الغامضة ستجعل الناس يعتقدون أنهم خانوا.

ليرمينييه : أنت متأكد من ذلك؟

جورج : هذا عين اليقين. وهكذا لن يكون عليكم أن تكترثوا لهم بعد ذلك، فإن يد موسكو هي التي ستتولى تصفيتهم. (يذهب إلى المكتب، ويجلس، ويؤشر على سبعة أسماء على القائمة)

نيرسيا : كلا! كلا، كلا، كلا ثم كلا! لا أريد أن ترفع أجور هؤلاء السفلة!

ليرمينييه : ليس هكذا يا نيرسيا!

بيرجيرا : طالما قيل لك إن ذلك بهدف التخلص منهم.

شاريفيه : نحن نقبلهم لكي نخنقهم.

نيرسيا : حسن! افعلوا ما شئتم! (ينهض جورج ويقدم القائمة)

جول : (يقرأ) ساميفيل؟ هذا غير ممكن!

بيرجيرا : مدام كستانييه، من كان يعتقد ذلك؟

جورج : (ويقاطعهم بإشارة منه) هذا لا شيء. سأرفع الحجب الواحد تلو الآخر، وسوف ترون العالم كما هو. وحينما ترتاب في ابنك، في زوجتك، في أبيك، حينما تذهب وتنظر إلى نفسك في المرآة وأنت تتساءل إن لم تكن شيوعيا على غير علم منك، ستبدأ في الاقتراب من رؤية الحقيقة. (يجلس على مكتب جول ويدعوهم إلى الجلوس) تفضلوا بالجلوس أيها السادة، ولنعمل: ليس لدينا متسع من الوقت إن أردنا إنقاذ فرنسا.

(ستار)



المنظر الخامس

الديكـور: جناح في فندق جـورج الخامس، في الصالـون. النوافذ مغلقة، والسـتائر مسدلة. ثلاثة أبواب: واحد إلى اليسـار يفتح على حجرة النوم، والثاني في المؤخـرة يفتح على الحمام، والثالث إلى اليمين يفتح على غرفة الانتظـار. باقات ضخمة من الزهور، وعلى الخصوص ورد أحمر، مكدسـة إلى جوار الحائط.

المشهد الأول

يدخل خادم صغير يحمل باقة ورد، ويتبعه حارسـان شـديدان يصوبان مسدسـاتهما إلى ظهره. يضع الصبي باقة الـورد ويخرج متقهقرا من باب اليمين رافعـا يديه إلى أعلى، يُفتح باب اليسـار ويظهر جورج مرتديا رداءً منزليا، وهو يتثاءب.

المشهد الثاني

جورج والحارسان.

جورج : ما هذا؟

الحارس الأول : زهور.

جورج : (يقترب من الزهور وهـو يتثاءب) مزيد من الزهور! افتحا النافذة.



الحارس الأول	:	كلا.
جورج	:	كلا!
الحارس الأول	:	خطر.
جورج	:	ألا تشم إذن أن لهذا الورد رائحة كريهة؟
الحارس الأول	:	مطلقا.
جورج	:	عندك حظ. (يتناول الظرف ويفتحه) «مع الإعجاب الشديد، مجموعة من السيدات الفرنسيات» إنهن معجبات بي، هيه؟
الحارس الأول	:	نعم.
جورج	:	ويحببنني؟
الحارس الأول	:	نعم.
جورج	:	قليلا، كثيرا. بشغف.
الحارس الأول	:	بشغف.
جورج	:	لكي يحب المرء في عنف إلى هذا الحد، لابد أن يحقد في شدة.
الحارس	:	يحقد على من؟
جورج	:	على الآخرين (ينحني على الزهور) لنستنشق عبير الحقد (يستنشق) إنه قوي ومبهم. (مشيرا إلى الزهور) هذا هو الخطر! (يخرج الحارسان مسدسيهما ويصوبان على الزهور) لا تطلقا: إنه الأفعوان ذو الألف رأس. ألف رأس صغير أحمر من الحنق، تصيح حتى يَبَحَّ صوتها وتطلق عبيرها كالصرخة قبل أن تموت. هذا الورد يفوح بالسم.



الحارث الثاني : سم؟

الحارس الأول : (لزميله) معمل السميات، تلفون جوتنبرج Gutenberg ٦٦ - ٢١. (يتوجه الآخر إلى التليفون)

جورج : فات الأوان : كل شيء هنا مسموم، مادمتُ أعمل في جو من الحقد.

الحارس الأول : الحقد؟

جورج : آه! إنه هواء كريه الرائحة! ولكن، إذا أردت أن تتخلص منها فلا بد أن تتناولها من مصدرها حيث هي، حتى لـو كانت في القذى. (فـي روث البهائم). واليوم هو يوم مجدي ويحيا الحقد، مادمت مدينا له بسطوتي. لا تنظر إليَّ بهذه العين. أنا شـاعر. هل أنت مكلف بفهمي أم بحمايتي؟

الحارس الأول : بحمايتك.

جورج : حسن! احمني، احمني. كم الساعة الآن؟

الحارس الأول : (نظرة خاطفة إلى ساعة يده) الخامسة والنصف.

جورج : وما حال الجو؟

الحارس الثاني : (يذهـب لرؤيـة بارومتر إلى جـوار الحائط) جميل معتدل.

جورج : درجة الحرارة؟

الحارس الأول : (يذهب لرؤية ترمومتر معلق على الحائط) عشـرون درجة.

جورج : يا لعصاري الربيع الجميلة! سـماء صافية وشـمس تلهـب زجاج النوافذ، جمـوع هادئة في ثياب فاتحة تصعد وتهبـط الشـانزليزيه، وضـوء الليل يلطف الوجوه. حسـن! إني راض بمعرفة ذلـك. (يتثاءب)



جدول الأعمال.

الحارس الأول : (يراجع قائمة) الخامسة وأربعون دقيقة موعدك مع سيبيلو لذكرياتك.

جورج : وبعد؟

الحارس الأول : السادسة والنصف صحافية من جريدة الفيجارو.

جورج : سوف تفتشها في دقة. المرء لا يدري. وبعد؟

الحارس الأول : سهرة راقصة.

جورج : عند من؟

الحارس الأول : عند مدام بونومي.

جورج : أو تقيم سهرةً هذه المرأة؟

الحارس الأول : لكي تحتفل بانسحاب منافسها بيردريير من الانتخابات.

جورج : سأحتفل بذلك. إنه من صنعي. اختفيا (يخرجان، فيغلق الباب ويتثاءب).

المشهد الثالث

جورج منفردا.

جورج : (يقترب من المرآة، ينظر إلى نفسه، ويخرج لسانه) نوم مضطرب، لسان مثقل، نقص في الشهية. حفلات رسمية كثيرة جدا – ثم إني لم أعد أخرج إلا فيما ندر. (يتثاءب) سحابة من الضيق: هذا أمر



طبيعـي، فالمرء دائمـا بمفرده في أوجه السـطوة. ياصغار الرجال المكشوفين. إني أرى قلوبكم وأنتم لا ترون قلبي. (تليفون) ألو؟ هو نفسـه. سافل! آه! إنه أنت ياسيدي العزيز الذي تعتبرني سافلا. إنها المرة السـابعة والثلاثون التي تتصل فيها لإخباري بذلك. أرجو أن تعتقد من الآن أني على علم تام بعواطفك. ولا داعي بعد ذلك لأن تتعب نفسـك، و... لقد وضع السـماعة. (يسـير) سـافل، خائن للحزب، هذا ما يقال بسـرعة. من هو السافل؟ لست أنا؟، جورج دي فاليرا الذي لم يكن شـيوعيا قـط، ولم يخن أحدا. ولا نيكراسـوف الذي عالج في كريميه Crimée من دون أن يفكـر في شـر. إذن فمحدث المجهول يتكلم ولا يقول شـيئا. (يذهب إلى المرآة) فلأسـتعدّ صور الطفولة إذن! أوه! مركبة الجليد الخشـبية، الجميلة الملونة. كان أبي يجلسني عليها، في المقدمة، الأجراس الصغيرة، فرقعة السوط، والجليد...

(سيبيلو دخل الحجرة منذ لحظات)

المشهد الرابع

سيبيلو وجورج.

سيبيلو : ماذا تفعل هنا؟

جورج : أستعرض مسلسلاتي؟

سيبيلو : مسلسلاتك؟



جورج : إني أكذب على نفسي.

سيبيلو : على نفسك أيضا.

جورج : على نفسي أولا. إني لدي ميل كبير للقحة والصلافة، وليس هناك مفر من أن أصبح أنا أول من أغرر به. سيبيلو إني أموت. إنك تفاجئني وأنا في عز سكرة الموت.

سيبيلو : ماذا؟

جورج : إني أقتل فاليرا لكي يولد نيكراسوف.

سيبيلو : لست نيكراسوف.

جورج : إني نيكراسوف من الرأس حتى القدمين، من الرشد إلى الطفولة.

سيبيلو : إنك محتال بائس من الرأس حتى القدمين، يجري إلى حتفه وسيجرني إلى الهلاك إذا أنا لم أحسن التصرف.

جورج : لا فائدة! (ينظر إليه) إنك تعد لنا، على مهل، خطة شريفة حمقاء ستضيعنا. حسن، تكلم! ماذا تريد أن تفعل؟

سيبيلو : نبلغ عن أنفسنا!

جورج : أيها الأبله، كل شيء كان يسير على خير ما يرام.

سيبيلو : لقد اتخذت قراري منذ قليل، وأتيت لإبلاغك الأمر قبل وقوعه: غدا صباحا في الحادية عشرة سألقي بنفسي عند قدمي جول، وأعترف بكل شيء. لديك سبع عشرة ساعة لكي تدبر قرارك.



جورج : أنت مجنــون! بيردريير ينســحب مــن الانتخابات، و«سوار آباري» ضاعفت طبعتها، وأنت تكسب مائتين وعشــرة آلاف فرنك في الشــهر، وتريد أن تبلغ عن نفسك.

سيبيلو : نعم.

جورج : فكر فيّ أيها التعس! إن لي السلطة العليا، وأنا الموجه الخفي في حلف الأطلنطي، وأمسك بالحرب والسلم في قبضتي، واكتب التاريخ. سيبيلو، أنا أكتب التاريخ وتختــار أنت تلك اللحظة لتلقي تحت قدمي بقشــر المــوز، أتعرف أني كنــت أحلم بتلــك اللحظة طوال حياتي، لتستفيد إذن من سطوتي، ستكون لي بمنزلة فاوست، أتريد المال؟ الجمال؟ الشباب؟

سيبيلو : (يهز كتفيه) الشباب...

جورج : ولمَ لا؟ إنها مســألة نقــود. (ســيبيلو يتحرك نحو الخارج) إلى أين أنت ذاهب؟

سيبيلو : أبلغ عن نفسي.

جورج : ستبلغ عن نفسك، لا تخف، ستبلغ عن نفسك. ولكن لا شــيء يدعو إلى العجلة. لدينا وقت للكلام. (يعيد ســيبيلو إلى وســط الحجرة) إنك ميت من الخوف ياصديقي. ماذا حدث؟

سيبيلو : إن موتــون ســوف يقبض عليك، وبالتالــي عليَّ أنا. لقد ضم إليه ديميدوف Demidoff، وهو كرافشنكو حقيقــي هذا المخلوق، اعترفت بــه وكالة تاس، وهو يبحث عنك. وإذا وجدوك – وســوف يجدونك حتما – سيفضح ديميدوف احتيالك، وسنضيع.



جورج	:	لا شـــيء غير هذا؟ ليأتوا إليَّ بديميدوف، وسأتولى أنا أمره. إني ممسـك بهم جميعـا، رجال الصناعة، وأصحـاب البنـوك. قضـاة ووزراء، مسـتعمرين أمريـكان، ولاجئين سـوفييت، وأجعلهـم يرقصون. أهذا كل شيء؟
سيبيلو	:	أوه! كلا. ما هو أشد نكرا.
جورج	:	مرحى. سألهو.
سيبيلو	:	هناك أن «نيكراسوف» أذاع تصريحا في الراديو.
جورج	:	أنا؟ أقسم لك أنني لم أصرح بشيء.
سيبيلو	:	المسألة لا تتعلق بك: لقد قلت «نيكراسوف».
جورج	:	«نيكراسوف» هو أنا.
سيبيلو	:	إني أتحدث عن «نيكراسوف» كريميه.
جورج	:	وما دخلك أنت في ذلك؟ إنك فرنسي ياسيبيلو، تكلم عما يدور أمام بابك، ولا تشـغل نفسك بما يدور في كريميه.
سيبيلو	:	إنه يدعي أنه قد شفي وأنه سيعود إلى موسكو قرب نهاية هذا الأسبوع.
جورج	:	وبعد؟
سيبيلو	:	وبعد! لقد ضعنا!
جورج	:	ضعنا؟ لأن بلشفيا أذاع مهاترات في الميكروفون! أنت ياسـيبيلو، أنت بطل الدعاية المعادية للشيوعية. تثق بأولئك الناس؟ إنك تخيِّب ظني فيك.
سيبيلو	:	سـيخيب ظنك أقل من ذلك يوم الجمعة حينما يرى



كل السفراء والصحافيين الأجانب المدعوين إلى أوبرا موسكو «نيكراسوف» شخصيا في «لوج» الحكومة.

جورج : آه! لأن يوم الجمعة...

سيبيلو : نعم!

جورج : هل أعلن ذلك؟

سيبيلو : نعم!

جورج : حسن! سيرون شبيهي. لأن لي شبيها هناك، كبقية الوزراء. نحن نخاف الاغتيالات بشدة، لذلك يمثلنا آخرون يشبهوننا في الحفلات الرسمية. إليك هذه الفكرة، لتكتب هذا إذن لينشر غدا. انتظر: لا بد من إضافة مسحة الحقيقة المسلية، إن مخترع الأقصوصة التي لا يخترعها الناس. ها هي ذي: كان بديلي يشبهني إلى حد كان يصعب معه على المرء أن يفرق بيننا على بعد عشر خطوات. وللأسف الشديد حينما أتوا به إليَّ تبينت أن إحدى عينيه كانت من الزجاج. تصور حيرتي وارتباكي! وقد تحتم عليَّ أن أذيع على الملأ أن مرضا لا شفاء منه قد أتى على عيني اليمنى. ذلك هو أصل هذه العُصابة. ستجعل العنوان «نيكراسوف يضع عُصابة على عينيه لأن شبيهه كان أعور». هل أخذت مذكرة بذلك؟

سيبيلو : وما الفائدة؟

جورج : (بسطوة) اكتب. (سيبيلو يهز كتفيه، يخرج قلمه ويكتب بعض الملحوظات) وستختتم مقالك بهذا التحدي: حينما يدخل المدعي «نيكراسوف» في الحكومة، فليرفع العصابة إلى عينه إذا تجرأ.



وســأرفع عصابتي أنا الآخر في الساعة نفسها أمام أطباء عيون، وســيرون جميعا أن لي عينين في حالة طيبــة. أما الآخر، فإذا لــم يكن له غير عين واحدة، فســيكون عندنا الدليل القاطع على أن هذا الرجل ليس أنا. هل تكتب؟

سيبيلو : أكتب، ولكن هذا لن يجدي.

جورج : لماذا؟

سيبيلو : لأنني أريد أن أبلغ عن نفســي! إني شــريف، أتفهم، شريف، شريف! شريف!

جورج : ومن قال لك عكس ذلك؟

سيبيلو : أنا.. أنا.. أنا..

جورج : أنت؟

سيبيلو : أنا الذي أردد على مســامعي كل يــوم مائة مرة أني رجل غير شريف! إني أكذب يا جورج، إني أكذب كما أتنفس. أكذب على قرائي، على ابنتي، على رئيسي!

جورج : ألم تكن تكذب إذن قبل أن تعرفني؟

سيبيلو : حتى لو كنت أكذب فقد كنت أحظى بموافقة رؤسائي. كنــت أصنع أكاذيب منظمــة، مدفوعة، أكاذيب ذات قيمة إخبارية عظيمة، أكاذيب للمصلحة العامة.

جورج : وأكاذيبــك الحاضرة، ألم تعد للمصلحة العامة؟ إنها الأكاذيب نفسها كما ترى؟

سيبيلو : أي نعــم، الأكاذيب، ولكني أصنعهــا من دون ضمان مــن الحكومة. ليس هناك غيــري على الأرض يعلم من أنت، وهذا ما يخيفني. ليســت جريمتي هي أني



أكذب، ولكن أن أكذب بمفردي...

جورج : حســن، تفضل! ماذا تنتظر؟ أسرع وأبلغ عن نفسك! (ســيبيلو يتحرك خطوة) سؤال بسيط، سؤال واحد وأطلق سراحك. ماذا ستقول لجول؟

سيبيلو : كل شيء!

جورج : أي شيء؟

سيبيلو : أنت تعلم ذلك جيدا.

جورج : بشرفي لا أعلم.

سيبيلو : حســن! ســأقول له إني كذبــت، وإنك لســت حقا «نيكراسوف».

جورج : لا أفهم.

سيبيلو : مع ذلك الأمر واضح.

جورج : ماذا تعني «حقا»؟ (سيبيلو يرفع كتفيه) هل أنت حقا سيبيلو؟

سيبيلو : نعم، أنا ســيبيلو، نعم أنــا رب العائلة التعس الحظ الذي أفســدته، أيها البائس، والذي على رغم شعره الأبيض، سيدنس سمعته.

جورج : أثبت ذلك.

سيبيلو : لدي أوراق.

جورج : وأنا أيضا.

سيبيلو : أوراقي حقيقية.

جورج : وأوراقي أيضــا. أتريد رؤية تصريــح الإقامة الذي أعطاني إياه قسم الشرطة؟



سيبيلو : لا قيمة له.

جورج : لماذا من فضلك؟

سيبيلو : لأنك لست نيكراسوف.

جورج : وأوراقك أنت صحيحة؟

سيبيلو : نعم.

جورج : لماذا؟

سيبيلو : لأني «سيبيلو».

جورج : أرأيت: ليست الأوراق هي التي تثبت الشخصية.

سيبيلو : نعم، ليست الأوراق هي التي تثبت ذلك.

جورج : إذن؟ أثبت لي أنك سيبيلو.

سيبيلو : كل الناس ستقول ذلك.

جورج : كل الناس. تعني كم شخصا؟

سيبيلو : مائة، مائتين، لست أدري، ألفا ...

جورج : ألف شخص يعتبرونك سيبيلو، تريدني أن أصدقهم على الفور، وأنت ترفض شهادة مليونين من القراء يعتبرونني «نيكراسوف»؟

سيبيلو : لا يقاس هذا بذاك.

جورج : أتريد إسكات هذا الصوت المدوي الذي يجعل مني بطل الحرية، بطل الغرب؟ هل تفضل اعتقادك الفردي على التأييد الجماعي الذي يحمي المواطنين الطيبين؟ إنه أنت الذي لم تقم حتى دليلا قاطعا على صدق شخصيتك، إنه أنت الذي سوف تدفع بمليونين من الرجال إلى اليأس. تشجع: ولتحطم رئيسك! بل



افعل خيرا من ذلك، ولتحرض على إسقاط الوزارة. إني أعرف من الذي سيضحك مرتاحا لذلك.

سيبيلو : من إذن؟

جورج : الشيوعيون طبعا أيها الأبله! هل تعمل من أجلهم؟

سيبيلو : (قلق) أوه! جورج!

جورج : آه! لن تكون أول من يدفعون له لكي يوهنوا من عزيمة الرأي العام!

سيبيلو : أقسم لك...

جورج : كيف تريدني أن أصدقك، وأنت الذي اعترفت لي منذ قليل بدناءتك العميقة؟

سيبيلو : (في جنون) لا بد أن تصدقني، إني رجل شريف غير صادق مع نفسي، ولكني لست رجلا بلا شرف!

جورج : ليكن.. ولكن، ولكن.. هو! هو! ماذا جرى لك؟ ياصديقي التعس، هل أستطيع إخراجك من هذه الورطة؟

سيبيلو : ماذا هناك أيضا؟

جورج : كيف أفهمك؟ آه: لتضع جانبا أربعين مليونا من الفرنسيين، المعاصرين لنا، على ثقة من الحياة في منتصف القرن العشرين، وفي الجانب الآخر، مخلوق واحد يعلن مكابرا وفي عناد أنه الإمبراطور شارل - كان - Charles - Quini. بماذا تسميه هذا الرجل؟

سيبيلو : مجنون.

جورج : وهذه بالضبط حالك، أنت الذي تدعي إنكار حقائق متفق عليها من الجميع.



سيبيلو : جورج!

جورج : أو تدري ماذا سيفعل بك جول حينما يرى أقدم موظفيه يركع على ركبتيه أمامه، ويتوسل إليه أن يئد جريدته بيديه؟

سيبيلو : سيطردني!

جورج : كلا على الإطلاق، سوف يأمر بحبسك.

سيبيلو : (مذعورا) أوه!

جورج : خذ، اقرأ هذا التلغراف، إنه من ماكراثي يعرض عليَّ العمل «شاهدَ إثبات» دائما. وهذه تهاني فرانكو، وتهاني شركة الفواكه، وكلمة ود من ايدنهاور، وخطاب بخط اليد من الشيخ الأمريكي بورجود Borgaud. لقد رفع ما أفشيته من أسرار أسعار بورصة نيويورك، وفي كل مكان ارتفاع هائل في سوق الصناعات الحربية، إن مصالح ضخمة في خطر، و«ونيكراسوف» لم يعد أنا فقط: لقد أصبح اسما «نوعيا» للفوائد التي يحصل عليها المساهمون في مصانع الأسلحة. وهذه هي الموضوعية، ياصديقي العجوز، هذا هو الواقع! ما الذي تستطيعه ضد ذلك؟ لقد دفعت الآلة إلى التحرك: هذا حق. ولكنك سوف تُسحق إذا ما حاولت إيقافها. إلى اللقاء ياصديقي المسكين. كنت أحبك. (سيبيلو لا يتحرك) ماذا تنتظر؟

سيبيلو : (في صوت مختنق) أو يمكن شفائي؟

جورج : من جنونك؟

سيبيلو : نعم.

جورج	:	أخشى أن يكون الجو متأخرا.
سيبيلو	:	ولكــن لو أنك تعالجني يا جــورج، لو كنت حقا تريد معالجتي.
جورج	:	إيه! لســت طبيبا نفســيا (فترة) الحق أن مثل هذا الأمر يتطلب على الأحــرى تربية جديدة. هل تحب أن أربيك من جديد؟
سيبيلو	:	إذا سمحت!
جورج	:	لنبدأ، اتخذ هيئة الشرف.
سيبيلو	:	لا أعرف كيف اتخذها.
جورج	:	اســترح جيدا على هذا المقعد، وضــع قدميك على الحشية. ثم ضع هذه الوردة في عروتك، وتناول هذا السيجار. (يقدم له مرآة)
سيبيلو	:	(ينظر إلى نفسه) إيه!
جورج	:	أو تشعر بنفسك أكثر شرفا الآن؟
سيبيلو	:	ربما أكثر قليلا.
جورج	:	حسن. دع معتقداتك الشخصية جانبا، وقل لنفسك دائمــا إنها كاذبة مادام أحد لا يشــاركك فيها. فهي تعزلــك عن الناس والآن لتتضم إلى القطيع. ولتذكر أنك فرنســي طيب. انظــر إليَّ بعيون الفرنســيين العديدة التي تقرأنا، من ترى؟
سيبيلو	:	«نيكراسوف»!
جورج	:	الآن ســأخرج ثم أعود. ضع نفسك في حالة صدق. إخلاصي جماعي طبعا. وحينما أدفع الباب ستقول



لي: «بونجور نيكيتا...» (يخرج. سـيبيلو يستريح في مقعده، يشرب ويدخن. يدخل جورج)

سيبيلو : بونجور، نيكيتا.

جورج : بونجور سيبيلو.

سيبيلو : هل أحسنت القول؟

جورج : ليس سيئا للغاية. (يلف حول مقعد سيبيلو، ثم ينحني عليه فجأة ويضع يديه على عينيه) كوكو!

سيبيلو : دعني في هدوء... نيكيتا!

جورج : إنك في تقدم مستمر. انهض. (ينهض سيبيلو وظهره إلى جورج الـذي يزغزغه) (يتلـوى ويضحك رغما عنه) كفى إذن... ! نيكيتا!

جورج : سوف تشفى! (فترة) هذا يكفي اليوم: لنعمل! الفصل الثامـن: لقاء مفجع مع سـتالين. (جـرس التليفون يدق)

جورج : (يرفع السماعة) آلو، نعم؟ مدام كاستانييه؟ انتظري. (لسيبيلو) إنه اسم يذكرني بشيء ما.

سيبيلو : إنها كاتبة على الآلة في «سوار آباري».

جورج : آه! واحدة من السـبعة الذين كانوا يريدون طردهم، ورفعت أنا أجورهم؟ ماذا تريد مني؟

سيبيلو : لعل جول هو الذي أرسلها!

جورج : (فـي السـماعة) لتصعد. (يضـع السماعة ويعـود إلـى سـيبيلو) لقاء مفجع مـع سـتالين.. وعـنوان فـرعي: «هربت من الكرملين في مقعد يحمله رجلان!

سيبيلو : نيكيتا! هل هذا ممكن؟



جورج : ويشكل طبيعي للغاية. طاردوني فالتجأت إلى صالة في متحف مكدسة بالعربات. وفي أحد الأركان رأيت مقعدا يحمل...

أحد الحراس : مدام كاستانييه.

جورج : دعهـا تدخـل. وعلـى الخصـوص لا تخيفوهـا بمسدساتكم.

المشهد الخامس

جورج وسيبيلو ومدام كاستانييه.

سيبيلو : (متجها نحوها) عمت صباحا مدام كاستانييه.

مدام كستانييه : صباح الخير يا سيد سيبيلو. لم أكن أظن أني ألقاك هنا. (مشيرة إلى جورج) إنه هو «نيكراسوف»؟

سيبيلو : نعم. صديقنا العزيز نيكيتا.

جورج : تحياتي يا سيدتي.

م. كاستانييه : أريد أن أعرف لماذا عملت على رفتي؟

جورج : ماذا؟

سيبيلو : رفتوك؟

م. كاستانييه : (لجورج) أنت تعرف ذلك جيدا ياسـيدي! لا تتظاهر بالدهشة.

جورج : أقسم لك على أن...



م. كستانييه : لقد استدعاني السيد بالوتان منذ قليل. وكان أولئك السـادة أعضاء مجلس الإدارة هناك، ولم يكن يبدو عليهم الرضا.

جورج : وبعد؟

م. كاستانييه : وبعد؟ لقد رفتوني.

جورج : ولكن لماذا؟ لأي سبب؟

م. كستانييه : حينمـا أردت أن أعـرف السـبب، خيل إلـي أنهم سينقضون عليّ. وصرخ جميعهم في وجهي: «اسألي نيكراسوف! نيكراسوف سيقول لك السبب!».

جورج : السفلة! السفلة!

م. كاستانييه : أنا لا أريد تكديرك، ولكن إذا كنت قدمت لهم تقارير سيئة عني فأنت أكثر منهم سفالة.

جورج : ولكنـي لم أقل شـيئا! لم أفعل شـيئا! أنـا حتى لا أعرفك.

م. كاستانييه : لقـد قالوا لي أن أتقدم إليـك، ومعنى هذا إذن أنك تعرف شيئا.

جورج : النهاية ياسـيدتي، هل سـبق لك مرة أن رأيتني في حياتك قبل اليوم؟

م. كاستانييه : قط.

جورج : أرأيت!

م. كاستانييه : وماذا يثبت ذلك؟ لعلك كنت تريد وظيفتي.

جورج : وماذا أفعل بها؟ هذا مزاح ياسيدتي، مزاح سخيف.

م. كاستانييه : أنـا أرملـة ولي ابنة مريضـة: إذا فقـدت وظيفتي



فســنكون في الشــارع. ليس هناك إذن مايدعو إلى المزاح.

جورج : معك حق. (لسيبيلو) السفلة.

م. كاستانييه : ماذا عندك ضدي؟

جورج : لا شيء! على العكس، ويشهد سيبيلو على أنني أردت رفع أجرك.

م. كاستانييه : ترفع أجري؟

جورج : نعم.

م. كاستانييه : أيهــا الــكاذب! لقد كنــت تقول منذ لحظــة إنك لا تعرفني.

جورج : كنت أعرفك قليلا. كنت أعرف أن لك خدمات وفية كنت تقومين بها منذ أكثر من عشرين عاما...

م. كاستانييه : أنا أعمل في الجريدة منذ خمس سنوات.

جورج : سأعترف لك بكل شيء. لأسباب سياسية مهمة...

م. كاستانييه : السياسة، لم أتدخل فيها مطلقا. وكان زوجي المسكين لا يريد أن يسمع كلاما في السياسة. أنا لم أتعلم يا سيدي، ولكني لست بلهاء تماما، ولا يخدعني كلامك المنمق هذا.

جورج : (يرفع ســماعة التليفــون) أعطني «ســوار آباري». (لمدام كاستانييه) إنه خطأ بسيط غير مقصود! (في الســماعة) آلو، ســوار آباري؟ أريد أن أتحدث إلى المدير. نعم. المتكلم نيكراســوف. (لمدام كاســتانييه) ســيعيدون إليك عملك، وأنا كفيل بتحقيق ذلك، مع الاعتذارات الكافية.



م. كاستانييه : لست في حاجة إلى اعتذار. أريد أن تعاد إليّ وظيفتي.

جورج : آلو؟ ليس في مكتبه؟ ولكنه في الدار؟ أين؟ حسن. قل له أن يطلبني بسرعة حالما يعود. (يضع السماعة) كل شيء سيسوى. وفي انتظار ذلك أتسمحين لي... (يده في حافظة نقوده).

م. كاستانييه : لا أريد أن يتصدق عليّ أحد.

جورج : فيم تفكرين؟ لا صدقة طبعا، بل منحة من صديق...

م. كاستانييه : لستَ صديقي..

جورج : اليوم كلا، ولكنني سأكون صديقك حينما تعودين إلى عملك من جديد. سترين! (متذكرا فجأة) أوه! (فترة) والآخرون؟

م. كاستانييه : الآخرون؟

جورج : أتعرفين إن كانوا قد طردوا الآخرين؟

م. كاستانييه : قيل ذلك.

جورج : من؟ كم عددهم؟

م. كاستانييه : لا أعرف. لقد أخلوا طرفي، فحملت أشيائي وخرجت.

جورج : (لسيبيلو) سترى أنهم طردوهم! أولئك المستبدون النكديون الحشرات، كنت أظن أني قد أخفتهم، لتستفد إذن ياعزيزي سيبيلو، استفد من هذا الدرس: الخوف أقل قوة من الحقد. (يتناول قبعة) لا بد أن نتوقف هذه المهزلة. تعالي معنا ياسيدتي.



أنا أتعدى على الفقراء؟ لو حدث ذلك لكان أول مرة في حياتي. سـأقبض على زمارة رقبـة جول. (كان جورج قد فتح الباب. يبدو أحد الحراس).

الحارس : كلا.

جورج : كيف كلا؟ أريد الخروج!

الحارس : مستحيل. خطر!

جورج : حسن! سترافقنا.

الحارس : ممنوع.

جورج : وإذا أردت الخروج مع ذلك؟

الحارس : (ضحكة ساخرة قصيرة) ها!

جورج : اذهـب عني! لـن أخرج (لسـيبيلو) اذهب إلى جول مع السـيدة، وقل له إني لم أعـد أهزل. إذا لم يعد الموظفون المفصولون إلى أعمالهم خلال أربع وعشرين سـاعة فسأعطي تكملة مذكراتي لجريدة الفيجارو. تفضل. سـيدتي، قد أكون أسـأت إليكِ، ولكن ذلك كان ضد إرادتي، وأقسـم لك أنهم سيعوضونك عن ذلك. (سيبيلو ومدام كاسـتانييه يخرجان) ألا تقول إلى اللقاء يا سيبيلو؟

سيبيلو : إلى اللقاء.

جورج : إلى اللقاء يا...؟

سيبيلو : إلى اللقاء يانيكيتا.

جورج : مادمـت ترى جـول، تلفن لي. (بمفـرده) طردوا... (يبدأ في المسـير) آه! ليس هذا خطئي! الحقد ليس من طبيعتي، إني مضطر إلى استعمال قوى مرعبة لا



أعرفها جيدا. ســأكيِّف نفسي تبعا لذلك.. سوف...
طردوا.. لم يكن لديهم غير أجورهم ليعيشوا - وربما
عشـــرون ألف فرنك كانوا قد اقتصدوها.. ســوف
أغرقهــم ذهبا، وســينتظرهم مجلــس الإدارة على
الباب حاملا أكداسا من الورد.

المشهد السادس

جورج والحارس.

الحارس : (يدخل) صحافية من الفيجارو.

جورج : فلتدخل. انتظر: هل هي جميلة؟

الحارس : ليست دميمة. (يذهب جورج إلى المرآة، يضع العصابة السـوداء على عينه ويتأمل نفسه لحظة، ثم يرفعها ويضعها في جيبه)

جورج : أدخلها

(تدخل فيرونيك)

المشهد السابع

جورج وفيرونيك.

جورج : (يلمح فيرونيك) ها! (يرفع يديه في الهواء).

فيرونيك : أرى أنك قد عرفتني.



جورج : (يخفض يديه) نعم. تعملين في جريدة الفيجارو، والآن؟

فيرونيك : نعم.

جورج : كنت أحسبك شيوعية.

فيرونيك : المرء يتغير. أين «نيكراسوف»؟

جورج : لقد.. لقد خرج.

فيرونيك : سأنتظره. (تجلس) وأنت تنتظره أيضا؟

جورج : أنا؟ كلا.

فيرونيك : ماذا تفعل هنا؟

جورج : أوه! تعلمين أني لا أفعل شيئا ذا بال أبدا. (فترة. ينهض) بدأت أعتقد أن «نيكراسوف» لن يعود من سهرته. تفعلين خيرا لو عدتِ غدا.

فيرونيك : وهو كذلك. (يبدو على جورج الارتياح. تخرج فيرونيك دفترا من حقيبتها) لكن، في أثناء جلوسي معك، ستقول لي ما تعرفه عنه.

جورج : لا أعرف شيئا بالمرة.

فيرونيك : هيا إذن؟ لكي يتركك حارساه تحتل صالونه في غيبته، لا بد أن تكون من أصفيائه.

جورج : (مرتبكا) من أصفيائه؟ طبعا، هذا... هذا منطقي. (فترة) أنا ابن خالته.

فيرونيك : آه! آه!

جورج : لقد بقيت خالتي في روسيا و«نيكراسوف» هو ابنها. وفي صباح أحد الأيام وجدت جريدة على مقعد في



الطريق فالتقطتها، وعلمت منها أن ابن خالتي قد وصل منذ قليل...

فيرونيك : واستطعت الاتصال به، وتحدثت معه عن العائلة وفتح لك ذراعيه...

جورج : واتخذني سكرتيرا له.

فيرونيك : سكرتير؟ هاها!

جورج : مهلا! إنني سكرتيره هكذا: قبل مرور أسبوعين سوف أرحل بما أقتصده من مال.

فيرونيك : وفي انتظار ذلك تساعده في أعماله القذرة.

جورج : أعماله القذرة؟ يافتاتي الصغيرة، أنت لست في جريدة الفيجارو!

فيرونيك : أنا؟ طبعا لا!

جورج : أتكذبين مرة أخرى؟

فيرونيك : نعم.

جورج : أهي جريدتك التقدمية التي أرسلتك؟

فيرونيك : كلا. لقد أتيت من تلقاء نفسي. (صمت) إذن؟ حدثني عنه. ماذا يفعل حين تكونان معا؟

جورج : يشرب.

فيرونيك : وماذا يقول؟

جورج : يصمت.

فيرونيك : أهذا كل شيء؟

جورج : هذا كل شيء.



فيرونيك : ألا يتحدث مطلقا عن زوجته؟ عن أولاده الثلاثة الذين تركهم هناك؟

جورج : دعيني في سلام! (فترة) لقد أولاني ثقته ولا أريد خيانته.

فيرونيك : لا تريد خيانته وستحتال عليه.

جورج : سوف أحتال عليه، ولكن هذا لا يمنع العواطف. لقد كنت أحس دائما بعاطفة نحو ضحاياي، إنها المهنة التي تتطلب ذلك. كيف أحتال على أحد من دون أن أعجبه وكيف أعجبه؟ إن لم يكن هو يعجبني؟ كل أعمالي بدأت بإعجاب متبادل.

فيرونيك : وهل أعجبك «نيكراسوف» لأول وهلة؟

جورج : إلى حد ما. إنها شعرة إحساس.

فيرونيك : لهذه القمامة؟

جورج : إني أمنعك.

فيرونيك : أنت تدافع عنه.

جورج : أنا لا أدافع عنه، ولكن صدمتني بالكلمة التي تفوهت بها.

فيرونيك : ألا تعتبره قمامة؟

جورج : ربما كان كذلك حقا. ولكن ليس لك الحق في اتهام رجل لا تعرفينه.

فيرونيك : إني أعرفه جيدا.

جورج : تعرفينه؟

فيرونيك : (في هدوء) طبعا، لأنه أنت.

جورج : (مرددا من دون أن يفهم) طبعا، لأنه أنا. (يقفز على قدميـه) ليس أنا! ليـس أنا! ليس أنـا! (تنظر إليه مبتسمة) من أين علمت ذلك؟

فيرونيك : والدي..

جورج : أخبرك إذن.

فيرونيك : كلا.

جورج : إذن؟

فيرونيك : إنـه ككل المتخصصين في الكـذب العلني، لا يعرف كيف يكذب في بيته.

جورج : إن والدك معتوه! (يذرع الحجرة سيرا) هيا! أريد أن أرضيك وأفرض للحظة أني «نيكراسوف».

فيرونيك : شكرا.

جورج : ماذا عساك فاعلة لو كنت أنا «نيكراسوف»؟ تسلمينني للشرطة؟

فيرونيك : وهل سلمتك لهم في تلك الليلة الماضية؟

جورج : هل تنشرين اسمي الحقيقي في جريدتك؟

فيرونيك : لو أني فعلت ذلك الآن لعد عملا أخرق مني. تنقصنا براهين، ولن يصدقنا أحد.

جورج : (وقـد اطمـأن) أي أنـي باختصـار قـد أعجزت خصومي؟

فيرونيك : في الوقت الحاضر، نعم، نحن عاجزون.

جورج : (ضاحكا) يسار، يمين، وسط: إني أمسك بكم جميعا في قبضتـي. عليك أن تموتي مـن الغيظ ياطفلتي

الجميلة! ســـر بســـر: «نيكراســوف» هــو فعلا أنا. تذكري المتشرد البائس الذي استضفته في حجرتك؟ أي طريق قطعــه منذ ذلك الحــين! أي وثبة هائلة! (يتوقــف وينظر إليها) في النهاية، ماذا أتيت تفعلين هنا؟

فيرونيك : أتيت لأقول لك إنك قذر.

جورج : دعك مــن الجرح بالــكلام فإني مســلح: كل صباح تصفني جريدة الأومانيتيه بفأر لزج.

فيرونيك : هذا خطأ.

جورج : أحب أن أسمعك تقولين ذلك.

فيرونيك : أنت لست فأرا لزجا: أنت قذارة... قمامة!

جورج : آه إنك تزعجينني! (يبتعد بضع خطوات ثم يعود إليها) موظف ســوفييتي كبير يأتي إلــى باريس خصيصا لكي يعطي أســلحة لأعداء وطنه وحزبه، أتفق معك علــى كونه قمامة، وحتى - وأنا أذهب أبعد منك - إنه مقلب قاذورات. ولكن أنا لم أكن في يوم ما وزيرا ولا عضوا في الحزب الشيوعي. كان عمري ستة شهور حين تركت الاتحاد الســوفييتي، وكان والدي روسيا أبيض. أنا لا أدين بشيء لأحد. حينما عرفتني كنت محتالا نابغا ووحيدا، أين أعمالي؟ حسن! وأنا كذلك دائما: بالأمــس كنت أبيع عمارات زائفة وســندات زائفة، واليوم أبيع أسرارا زائفة عن روسيا.، أين هو الفــارق؟ (لا تجيب) النهايــة، أنت لا تحبين الأغنياء بنوع خاص: هل هي جريمة شنعاء أن نخدعهم؟

فيرونيك : أتظن حقا أنك تخدع الأغنياء؟

جورج : مــن الذي يدفع فواتير الخياط أو الفندق؟ من الذي دفع ثمن سيارتي الجكوار؟

فيرونيك : ولماذا يدفعون؟

جورج : لأني أبيع لهم أكاذيبي.

فيرونيك : ولمَ يشترون منك هذه المذكرات الكاذبة؟

جورج : لأنهم... ولكن هذا يعنيهم، ولا علم لي به.

فيرونيك : إنهم يشترونها منك لكي يبيعوها للفقراء.

جورج : الفقراء! من الذي يفكر في الفقراء؟

فيرونيك : قراء ســوار آبــاري، هل تعتبرهــم أصحاب ملايين؟ (تخرج جريدة من حقيبتها) «نيكراسوف يعلن: العامل الروسي أشقى أبناء الأرض»، هل قلت ذلك؟

جورج : نعم. أمس.

فيرونيك : لمن قلته؟ للفقراء أم الأغنياء؟

جورج : وهل أدري؟ لكل الناس. للأحد. هذا مزاح لا خطر منه.

فيرونيك : هنا، نعم. وسط الورد. على كل حال، ليس بين نزلاء جورج الخامس أحد رأى في حياته عمالا قط. ولكن أو تدري ماذا يعني هذا في بيلانكور؟

جورج : أنا...

فيرونيك : لا تجرح الرأســمالية وإلا وقعت في البربرية. العالم البرجوازي له مساوئه ولكنه أفضل عالم ممكن. بؤس ببؤس حــاول أن توقف حياتك معــه. ولتكن مقتنعا بأنك لن ترى نهايته أبدا، ولتشــكر الســماء أنك لم تولد في الاتحاد السوفييتي.



جورج : لا تقولـــي لي إنهم يعتقدون ذلك: ليســوا حمقى إلى هذا الحد.

فيرونيك : لحســن الحظ: وإلا لما كان أمامهم سوى أن يسرفوا في الشراب حتى الموت، أو ينتحروا بالغاز، ولكن، إذا لم يوجد غير واحد في الأرض يبتلع كلامك المنمق لصرت بذلك قاتلا. لقد أوقعوك يا عزيزي المسكين جورج!

جورج : أنا؟

فيرونيك : تبــا لك. كنت تظن أنك تســرق المال مــن الأغنياء، ولكنك تكســبه. بأي كبرياء رفضت فــي تلك الليلة الوظيفة التي عرضتها عليك: «أنا، أعمل!» حســن! إن لك رؤساء الآن، وهم يجعلونك تعمل في كد.

جورج : هذا غير صحيح!

فيرونيك : هيــا، هيا، تعلم جيدا أنهم يدفعون أجرا لكي تنشــر اليأس بين الفقراء.

جورج : اسمعي...

فيرونيك : (مسترســلة) لقد كنت محتالا بريئا من غير قسوة، نصف تاجر لا شرف له، نصف شاعر. أو تدري ماذا فعلوا بك؟ لقد لوثوك بالبراز. فإما أن تحترك نفسك وإما أن تتحول إلى شرير.

جورج : السفلة! (من بين أسنانه)

فيرونيك : من الذي يسيطر على الموقف هذه المرة؟

جورج : الموقف؟

فيرونيك : نعم.



جورج : إيه (يتمالك نفسه) إنه أنا. دائما أنا.

فيرونيك : إذن فقد نويت أن تنشر اليأس بين الفقراء، ولن تتراجع.

جورج : كلا.

فيرونيك : إذن فهم الذين يوجهونك؟

جورج : لا يستطيع أحد أن يوجهني: لا أحد في العالم.

فيرونيك : لا بد على أي حال من الاختيار: أنت مخدوع أو مجرم.

جورج : سيتم الاختيار سريعا: تحيا الجريمة.

فيرونيك : جورج!

جورج : أنا أنشر اليأس بين الفقراء؟ وبعد؟ كل إنسان لنفسه. لا عليهم سوى أن يدافعوا عن أنفسهم! أنا أفتري على الاتحاد السوفييتي؟ هذا عن عمد: أريد تحطيم الشيوعية في الغرب. أما عن عملك، سواء كانو من بيلانكور أو من موسكو، فأنا ...

فيرونيك : أرأيت ياجورج، أرأيت كيف بدأت تصبح شريرا.

جورج : طيب أو شرير، ماذا يعنيني! الخير أو الشر، أتحمله كله على عاتقي: أنا مسؤول عن كل شيء.

فيرونيك : (تريه مقالا في جريدة سوار آباري) حتى عن هذا المقال؟

جورج : طبعا. وما موضوع هذا المقال؟ (يقرأ) «مسيو نيكراسوف يصرح بأنه يعرف روبير ديفال وشارل مايستر حق المعرفة»، لم أقل قط شيئا من هذا



القبيل.

فيرونيك : شككت في الأمر، ولهذا السبب نفسه أتيت لمقابلتك.

جورج : روبير ديفال؟ شارل ماستر؟ لم أسمع بهذه الأسماء قط.

فيرونيك : إنهما صحافيان من عندنا، كتبا ضد تسليح ألمانيا.

جورج : وبعد؟

فيرونيك : يريدونك أن تقول إن الاتحاد السوفييتي دفع لهما مالا.

جورج : وإذا قلت ذلك؟

فيرونيك : يقدمان أمام المحكمة العسكرية بتهمة الخيانة العظمى.

جورج : اطمئني. لن ينتزعوا مني كلمة واحدة، هل تصدقينني؟

فيرونيك : أصدقك، ولكن احترس: لم يعودوا يرضون بأكاذيبك. لقد بدأوا ينسبون إليك أكاذيب لم تقلها قط.

جورج : أتتحدثين عن هذه الفقرة في الجريدة؟ إنه موظف صغير أصابه بعض الحماس. سآمر بغسل رأسه. سأرى جول بعد قليل وسآمره بنشر تكذيب.

فيرونيك : (من دون اقتناع) افعل ما تستطيع.

جورج : أهذا كل ما لديك من قول؟

فيرونيك : كل ما لدي.

جورج : عمت مساءً.



فيرونيك : عمت مساءً. (ويدها على مقبض الباب) أرجو لك ألا تصبح شريرا بإفراط. (تخرج)

المشهد الثامن

جورج بمفرده.

جورج : هـذه الصغيـرة لا تفهم شـيئا في السياسـة. إنها مبتدئة. (مخاطبا الباب) أو كنت تظنين سـوف أقع في حبائلك؟ أنا أفعل دائما نقيض ما ينتظره الناس مني. (يقطع الحجرة ويذهب لإحضار رداء السهرة) لنشـر اليأس في بيلانكور! سـوف أجد شـعارات رهيبة! (يأتي بقميص وياقة. يدندن) لننشـر اليأس فـي بيلانكور! لننشـر اليأس فـي بيلانكور! جرس التليفون يرن. يتناول السـماعة) أهو أنت ياسيبيلو؟ إذن؟ هيـه؟.. أوه؟.. هـذا غير ممكـن... هل رأيت جول شـخصيا؟ ألم تقل لـه أن يلح في طلبي.. أيها الأبلـه! لا بد أنك لم تعرف التحدث معه! إنك ترتعد أمامـه، وكان لا بد من إحراجه! سـيذهب إلى الأم بونومي هذا المساء؟ حسن، سأتحدث إليه أنا. (يعيد السماعة) يرفضون لي طلبا، أنا؟ (يتهاوى على مقعد في إعياء قصير) إني غارق في السياسـة! غارق في السياسـة! (ينهض فجـأة) يبحثون عنـي! يبحثون عني! حسـن! إني أحس أنهم سيجدونني! إني أقبل اختيـار قوتي، بل إني شـديد الرضـا، إنها فرصة لتأكيد سطوتي. (ضاحكا) سأجعلهم يختبئون تحت



الأرض. (تليفون. يتناول السماعة) آلو! أهو أنت من جديـــد.. معذرة، ولكن من أنت؟ آه! عظيم! لقد كنت أفكر فيك الآن. ســـافل؟ نعم ياســـيدي العزيز؟ آخر السفلة. وأقول خيرا من ذلك: قمامة. أنا آمر بطرد موظفين صغار، وأســـلم صحافيين للبوليس، وأنشر اليأس بين الفقراء، وليســـت تلك ســـوى البداية. إن ما سأكشـــف عنه في مذكراتي المقبلة سيدفع الناس إلى الانتحار تباعا. أنت طبعا رجل شريف. وأنا أرى ذلـــك من هنا. ثيابك بليت، تركـــب المترو أربع مرات يوميا، وتستشـــعر الفقر. ذلك أن الكفاءة لا تجازى! أما أنا فلدي المال والمجد والنســـاء. إذا التقيتني وأنا في ســـيارتي/ الجكوار، فاحترس: إني أتعمد السير إلى جـــوار الأرصفة لألوث الناس الشـــرفاء. (يعيد سماعة التليفون) هذه المرة أنا الذي أعدت السماعة أولا. (يضحك) معها حق الفتاة الصغيرة، وسأصبح شريرا. (يقذف سلال الورد بقدمه، ويقلبها الواحدة تلو الأخرى) شريرا! شريرا! شريرا جدا!

(ستار)



المنظر السادس

الديكور: صالون صغير ملحق بصالون كبير، ويستعمل كبوفيه. على اليسار نافذة نصف مفتوحة تطل على الليل. في المؤخرة باب بمصراعين يفتح على الصالون الكبير. بين الباب والنافذة وُضعت مناضد كبيرة مغطاة بمفارش بيضاء، عليها أطباق من «البتي فور»، و«الساندوتشات». ومن خلال باب المؤخرة نرى المدعوين، وفي الصالون الكبير جمع كبير. بعضهم يمر أمام باب الصالون الصغير من دون أن يدخلوه، والبعض الآخر يدخلون ويتناولون بعض المأكولات والمشروبات من البوفيه. إلى اليمين باب مغلق. وهناك بعض قطع الموبيليا، فوتيهات ومناضد، ولكن قليلة جدا، فقد أفسحوا المكان حتى يستطيع المدعوون التحرك في يسر.

المشهد الأول

مدام بونوم وبودوان وشابوي ومجموعات من المدعوين.

بودوان : (يستوقف مدام بونومي ويقدم لها شابوي) شابوي.

شابوي : (يقدم بودوان) بودوان.

(يخرج بودوان وشابوي بطاقتيهما ويقدمانها في الوقت نفسه)

بودوان وشابوي : مفتشا الدفاع الوطني.

بودوان : مكلفان خصيصا من الرئاسة...



شابوي : لحراسة نيكراسوف.

بودوان : هل وصل؟

م. بونومي : لم يصل بعد.

بودوان : مكلفان بشكل خاص من الرئاسة.

شابوي : ليحرسا نيكراسوف.

بودوان : وهل وصل؟

م. بونومي : ليس بعد.

شابوي : ليس من الحكمة أن يدخلوه من الباب الكبير.

بودوان : وإذا سمحت فسوف نعطي الأوامر...

شابوي : لكي يدخل من باب الخدم...

بودوان : (مشـيرا إلى باب اليمين) الذي يؤدي مباشـرة إلى هنا.

م. بونومي : ولماذا هذه الاحتياطات؟

شابوي : (يسر إليها) احتمال وقوع اغتيال ليس مستبعدا.

م. بونومي : (مأخوذة) آه!

بودوان : لا تخافي سيدتي.

شابوي : نحن هنا.

بودوان : نحن هنا.

(يختفيان. يدخل بعض المدعوين من بينهم بيردريير، وجول ونيرسيا)



المشهد الثاني

مدام بونومي وبيردريير وجول بالوتان ونيرسيا ومدعوون ومصورون وبيريجور.

نيرسيا	:	(يحيط بيردريير بذراعه) هاك هو الطفل المعجزة. إني أشرب نخب بيردريير!
الجميع	:	نخب بيردريير!
بيردريير	:	سيداتي سادتي، لقد كنت أبله، والآن أشرب نخب رجل العناية الإلهية الذي أزال الغشاوة من عيني.
جول	:	(مبتسما) شكرا.
بيردريير	:	(من دون أن يسمعه) نخب نيكراسوف.
الجميع	:	نخب نيكراسوف.
جول	:	(محرجا - إلى نيرسيا) نيكراسوف! (يرفع كتفيه) ماذا كان يصبح من غيري؟ (يبتعد)
نيرسيا	:	(لبيردريير) قل شيئا عن بالوتان.
بيردريير	:	إني أشرب نخب بالوتان الذي... الذي كانت لديه الشجاعة على نشر مذكرات نيكراسوف.
بعض المدعوين	:	نخب بالوتان.
جول	:	(مكررا) الناس لا يعرفون قوة الصحافة.
بيردريير	:	إني أنتهز الفرصة لكي أطلب إليكم جميعا العفو عن مكابرتي، وعن عدم رؤيتي السليمة البلهاء، وعن... (يأخذ في البكاء فيحيطون به)
م. بونومي	:	ياعزيزي الطيب بيردريير.
بيردريير	:	(يحاول التخلص) أريد أن أطلب العفو! أريد أن أطلب العفو...



م. بونومي : لننسَ الماضي. قبلني. (تقبله هي)

جول : (للمصورين) صورا! (يمر بيريجور وفي يده كأس. يمسكه جول من ذراعه فيسيل على الأرض ما كان بالكأس) أوه! أوه! أوه!

بيريجور : الفكرة يا سيدي الرئيس.

جول : نعم، الفكرة. خذ مذكرة بكل ما أقول. (للجميع) أصدقائي الأعزاء... (يسود الصمت) أنتم، وأنا، وبيردريير: نحن جميعا هنا من بين الذين سيقتلون بالرصاص، أو تريدون أن نحول هذه السهرة المشهودة إلى لحظة حقيقية للضمير الإنساني؟ لننشئ نادي ق. م «قتلى المستقبل».

الجميع : برافو! ليحيَ «ق. م».

جول : ومن خلال السهرة سوف ننتخب لجنة مؤقتة لكي تضع اللائحة الداخلية وأنا أرشح نفسي للرئاسة. (تصفيق. لبيريجور) تنشر في الصفحة الأولى غدا مع صورتي. (يدخل موتون) ما هذا؟ موتون؟ (ينضم إلى نيرسيا ومدام. بونومي) هل رأيت؟

المشهد الثالث

السابقون وموتون وديميدوف.

م. بونومي : أوه!

نيرسيا : من الذي دعاه؟

م. بونومي : ومعه ديميدوف!



نيرسيا : هذا الروسي؟ يا لها من وقاحة!

م. بونومي : يا إلهي! الاغتيال!

نيرسيا : عفوا.

م. بونومي : احتمال وقوع اغتيال ليس مستبعدا.

نيرسيا : أيكونان قد حضرا لكي...

م. بونومي : آه! لست أدري، ولكن عندي اثنين من المفتشين هنا وسأخطرهما.

(أثناء هذا الحوار كان موتون قد قدم وسط المدعوين، يوجه لكل واحد منهم ابتسامة أو يقدم له يده، ولكن الجميع يديرون ظهورهم إليه. ينحني أمام م. بونومي)

موتون : مدام...

م. بونومي : لا يا سيدي، لا! نحن سوف نموت، ونتمنى لك حياة طويلة، وليس لك منا سلام!

المدعوون : (وهم في طريقهم إلى الخارج) يحيا قتلى المستقبل! (يقصدون موتون) وليسقط قتلة المستقبل! (يخرجون)

المشهد الرابع

موتون وديميدوف.

(ديميدوف يذهب إلى البوفيه ويتناول ما يشاء)

موتون : لقد كان الاستقبال باردا.

ديميدوف : (وهو يأكل) لم ألحظ.

موتون : أنت لا تلاحظ شيئا أبدا!!

ديميدوف : أبدا أنا هنا لكي أفضح النظام السوفييتي، لا لكي أمعن النظر في عادات الغرب. (يشرب ويأكل)

موتون : إنهم يعتبرونني شيوعيا.

ديميدوف : عجيب!

موتون : كلا، ليس عجيبا، إنه مفجع ولكن ليس عجيبا: يجب أن تضع نفسك مكانهم. (فجأة) فيودور بتروفتش!

ديميدوف : هيه؟

موتون : تلك القائمة مزيفة، أليس كذلك؟

ديميدوف : أي قائمة؟

موتون : قائمة قتلى المستقبل.

ديميدوف : لا أعرفها.

موتون : (يقفز فزعا) كيف؟

ديميدوف : سوف أعرفها حينما أرى نيكراسوف.

موتون : من الممكن إذن أن تكون صحيحة؟

ديميدوف : نعم، لو أن نيكراسوف هو حقا نيكراسوف.

موتون : إذا كان هو كذلك فقد ضعت. (ديميدوف يهز كتفيه) وللأسف! إذا كان الروس يعفون عني، فمعنى هذا أن أخدمهم.

ديميدوف : هذا حق.



موتون : ولكنه سخف! فيودور بتروفتش، أنت لا تستطيع مع ذلك أن تعتقد...

ديميدوف : أنا لا أعتقد شيئا.

موتون : حياتي تشهد لي. لم أفعل سوى محاربتهم.

ديميدوف : وماذا تعرف عن ذلك؟

موتون : (في إعياء) تفضل! ماذا أعرف عن ذلك؟ لكي أكون صريحا تماما أقول إنني يداخلني أحيانا شعور بأن هناك من يسيرني. إني أتذكر وقائع مزعجة... (فترة) كان سكرتيري شيوعيا، وحينما تبينت ذلك طردته.

ديميدوف : هل حدثت فضيحة؟

موتون : نعم.

ديميدوف : لقد فعلت لعبتهم.

موتون : أتظن ذلك، أنت أيضا؟ لم أكن أجرؤ على مصارحة نفسي بذلك (فترة) في أثناء الإضرابات الأخيرة، كنت الوحيد في مهنتي الذي لم يمنح المضربين شيئا. والنتيجة: بعد ثلاثة أشهر من ذلك، في الانتخابات النقابية...

ديميدوف : كل الموظفين أعطوا أصواتهم للاتحاد العام للعمال C. G.T.

موتون : كيف عرفت ذلك؟

ديميدوف : هذا أمر معروف.



موتون : باختصار، لقد زودتهم بجنود جدد. (ديميدوف يؤمّن على كلامه) وا أسفاه! (فترة) فيودور بتروفتش، انظر إلي: أليس لي رأس رجل شريف؟

ديميدوف : شريف غربي.

موتون : أهو رأس جميل لرجل عجوز؟

ديميدوف : عجوز غربي.

موتون : وبهذا الرأس، أيمكن أن أكون شيوعيا؟

ديميدوف : ولمَ لا؟

موتون : لقد تربيت بقوة الذراع، بفضل عملي.

ديميدوف : وبفضل الحظ أيضا.

موتون : (ابتسامة مختصرة وهو يتذكر) نعم، لقد ساعدني الحظ.

ديميدوف : وكانوا هم الحظ هذا.

موتون : (يقفز فزعا) هم؟

ديميدوف : من الممكن أن يكونوا قد كونوا لك ثروتك لأنك كنت رجلهم من دون أن تدري. لعلهم قد دبروا كل شيء بطريقة معينة تجعل كل عمل تقوم به ينجم عنه، على غير علم منك، الأثر الذي ترجوه موسكو.

موتون : أو تكون حياتي مدبرة من أولها إلى آخرها؟ (ديميدوف يؤمّن على كلامه. فجأة) أجبني بصراحة: إذا اعتبرني الجميع ثوريا، وإذا كنت أتصرف في كل الظروف كما يحتم الحزب، فما الذي يميز بيني وبين



العضو العامل؟

ديميدوف : أنت؟ لا شيء. إنك شيوعي موضوعي.

موتون : موضوعـــي! موضوعـــي! (يخرج منديله ويمســح به جبهته) آه! لقد تقمصني الشيطان! (ينظر فجأة إلى المنديل) ما هذا؟ كنا نتحدث نحن الاثنان، ثم إذا بي أجدني بسبيل تحريك منديل. كيف جاء إلى يدي؟

ديميدوف : لقد أخرجته من جيبك.

موتون : (تائها) لقد كان معي! آه! هذا أســوأ مما كنت أظن. لقد اتخذوا تدابيرهم لكي أعطي أنا نفسي الإشارة. أي إشـــارة؟ ولمن؟ لك، ربما! ومن يقول لي إنك لست عميلهم؟ (ديميدوف يهز كتفيه) أترى: لقد أصبحت مجنونا: فيودور بتروفتش، أتوسل إليك أن تخلصني من الشيوعية!

ديميدوف : كيف؟

موتون : أفضح هذا البائس!

ديميدوف : سأفضحه إذا كان محتالا.

موتون : (يساوره القلق) وإذا كان حقا نيكراسوف؟

ديميدوف : سأدق عنقه من جديد أمام الجميع.

موتون : (يهز رأسه) تدق عنقه...

ديميدوف : إنـــي أعتبـــر كل من ترك الاتحاد الســـوفييتي بعدي متواطئا مع النظام.

(يبدو جوبليه في المؤخرة)



المشهد الخامس

موتون وديميدوف وجوبليه.

موتون : على أي حال سـيكون أشـد فاعلية بكثير أن تعامله كمحتال.

ديميدوف : كلا. (حركة من موتون) لا تلح، أنا لا أحيد عن عزمي (موتون يتنهد) حسن! ماذا تنتظر؟ لنبحث عنه.

موتون : لقد اسـتدعيت مفتشـا من الأمـن. إذا كان المدعو نيكراسـوف محتالا فلا بد أنه مـن طبقة اللصوص العالميـين. سـأودعه السـجن مدى الحيـاة. (يلمح جوبليه) جوبليه! ادخل إذن. (يقترب جوبليه) سـوف تنظر في إمعان إلى الرجل الذي سـوف أشـير لك إليه. إذا كان من أرباب السوابق فلتقبض عليه فورا.

جوبليه : أمام كل الناس؟

موتون : طبعا.

جوبليه : أهو جميل؟

موتون : إلى حد ما.

جوبليه : (آسفا) سيعقدون المقارنة مرة أخرى.

موتون : أي مقارنة؟

جوبليه : بين رأسه ورأسي.

موتون : أترفض أن...؟

جوبليه : أنا لا أرفض شيئا. كل ما في الأمر أني أفضل القبض عليهم حينما يكون المرء منهم دميما.



المشهد السادس

موتون وديميدوف وجوبليه وبودوان وشابوي، وقد دخل الأخيران منذ لحظة.

بودوان : (يطلع موتون على بطاقته) الدفاع الوطني. أوراقك؟

موتون : أنا شارل موتون...

شابوي : بالضبط! أنت مشبوه.

(يهز موتون كتفيه، ويبرز أوراق تحقيق الشخصية).

بودوان : طيب. (لديميدوف) وأنت. نحن نعرفك. تفضل، ولا تنس أنك ضيف فرنسا.

شابوي : ابتعد! نريد أن نقول كلمة للمفتش جوبليه.

موتون : (لجوبليه) سنجوب الصالونات لنرى ما إذا كان رجلنا قد وصل. ولتنتظرنا أنت هنا. (يخرج ديميدوف وموتون)

المشهد السابع

بودوان وشابوي وجوبليه.

بودوان : (يقف في وجه جوبليه) ماذا أتيت تفعل هنا أيها الزميل؟

جوبليه : أنا مدعو.

شابوي : مدعو؟ بسحنتك هذه؟



جوبليه : إذا كنتما مدعوين بسحنتكما، فلماذا لا أكون أنا كذلك بسحنتي؟

شابوي : لسنا مدعوين، نحن مكلفان بالعمل.

جوبليه : حسن، وأنا كذلك!

بودوان : لعلك تبحث عن أحد؟

جوبليه : هيا، هيا أيها الزميل!

بودوان : دعه، إنه كتوم. (لجوبليه) ابحث عما تشاء ولكن لا تحاول مزاحمتنا.

جوبليه : (في مزيج من الدهشة والخوف) أزاحمكما؟

شابوي : لا تعاكس نيكراسوف.

جوبليه : (في مزيج من الدهشة والخوف) ماذا؟

بودوان : لا تعاكسه يا صاحبي العجوز، إذا كنت متمسكا بلقمة عيشك.

جوبليه : (لا يزال يحاول الفهم) نيكراسوف؟

شابوي : نعم، نيكراسوف. لا تتعرض له!

جوبليه : أنا لا أتلقى منكما الأوامر أيها الزميلان. أنا من البوليس القضائي وأطيع رؤسائي.

شابوي : جائز، ولكن رؤساءك يطيعون رؤساءنا. إلى اللقاء أيها الزميل.

بودوان : (مبتسما) إلى اللقاء! إلى اللقاء!



المشهد الثامن

جويليه بمفرده، ثم بعض المدعوين.

جويليه : (من بين أسـنانه) لتذهبا إلى الشـيطان! (متأملا) نيكراسوف: لقد رأيت هذا الاسم في الجريدة...

المشهد التاسع

جويليه وسيبيلو والحارسان وأحد المدعوين.

جورج : (للحارسين) اذهبا والعبا بعيدا. (يغلق الباب خلفهما. لسـيبيلو) انصب قامتك! بعض الخيلاء ياصاحبي! (يشعث له شـعره) وبعض الإهمال وعدم الاكتراث. هكذا!

سيبيلو : لندخل (يستوقفه جورج) ماذا بك؟

جورج : أصابني إحساس الكبار. سأدخل وسيلقون بأنفسهم تحت قدمي وسـيقبلون يدي: وهذا يسبب لي دوارا. أمـن الممكـن أن رجلا واحدا يكـون موضع كل هذا الحب، وكل هذا الحقد؟ طمئني ياسـيبيلو. لست أن الذي يحبون، لسـت أنا الذي يكرهون، لسـت سوى صورة؟ (يمر موتون وديميدوف في الخلفية)

سيبيلو : أنا ... (يلمح موتون) أدر ظهرك!

جورج : ماذا حدث؟



سيبيلو	:	أقول لــك أدر ظهرك، وإلا ضعنا! (يســتدير جورج ويصبــح في مواجهة المشــهد) لقد مــر موتون منذ لحظة ومعه ديميدوف. إنهما يبحثان عنك.
جورج	:	ديميــدوف! لا يهمني. جول ونيرســيا هما المهمان. أولئك البلهاء يظنون أنهم يحركونني.
سيبيلو	:	اسمع يانيكيتا...
جورج	:	صــه! ســأريهم من هــو الســيد. ستســتعيد مدام كاستانييه وظيفتها غدا وإلا.. (يضرب الأرض بقدمه في غيظ) وسأتحول معهم إلى شيطان!
سيبيلو	:	ماذا جرى من جديد؟
جورج	:	عليّ أن ألعب هذا المساء لعبة حاسمة، ولا أشعر بأن مزاجي يتيح لي ربحها. ما هذا؟
		(أحــد المدعوين كان قد دخل منذ لحظة وهو يترنح. يســتند إلى منضدة البوفيه ويتناول كأسا يشربها ثم يرفعها في الهواء كأنما يحمل شطيرة خبز)
المدعو	:	صوب! أطلق النار! تحيا فرنسا! (يتهاوى)
جوبليه	:	(يسرع إليه) يا للرجل المسكين! (يركع إلى جواره)
المدعو	:	(يفتح عينا) يا لها من ســحنة! أجهز عليّ! (يستغرق فــي النوم. يدفعــه جوبليه في غضب شــديد تحت البوفيه ويسدل عليه المفرش. يلمحه جورج)
جورج	:	(لسيبيلو) جوبليه! (يديد ظهره لجوبليه على الفور)
سيبيلو	:	أين؟
جورج	:	خلفك. إنها بداية سيئة.



سيبيلو : (واثقا من نفسه) سأتولى أمره.

جورج : أنت؟

سيبيلو : إنه يحبني (يذهب إلـى المفتش فاتحا ذراعيه) تعالَ بين ذراعي!

جوبليه : (مرتعبا) أنا لا أعرفك.

سيبيلو : إنك تؤلمني! أنا سيبيلو، ماذا! ألا تذكر؟

جوبليه : (لا يزال مستريبا) بلى.

سيبيلو : إذن! فليقبل كلانا الآخر !

جوبليه : كلا.

سيبيلو : (في عتاب أليم) جوبليه!

جوبليه : لم تعد الشخص نفسه.

سيبيلو : هيا إذن!

جوبليه : لقد غيرت ثيابك.

سيبيلو : أهذا هـو ما في الأمر؟ أنا هنا بناءً على أمر المدير، وقد أعاروني هذه الثياب لكي أبدو بمظهر طيب.

جوبليه : لم يعيروك رأسك.

سيبيلو : ماذا به؟

جوبليه : إنه رأس ثمنه مائتا ألف ورقة.

سيبيلو : أنت مجنون؟ إنـه رأس هذه السـترة. (يتأبط ذراع جوبليه) لن أتركك بعد الآن. أبك ظمأ؟

جوبليه : نعم، ولكن لا شيء يمر.

سيبيلو : الحلق، هيه؟ مغلق؟ أنا أعرف ذلك.. آه! نحن لسـنا

في مكاننــا . أتدري ماذا يجب علينــا عمله؟ «غرفة الخدمة» مضــاءة، وبهــا الهواء، وواســعة، وزاخرة بخادمات فاتنات، هيا بنا نشرب كأسا هناك.

جوبليه : ولكني انتظر...

سيبيلو : كأس أيهــا المفتش، كأس واحدة. ســنكون كأننا في بيتنا . (يجره)

المشهد العاشر

جورج بمفرده، ثم بودوان وشابوي.

جورج : (بمفرده) أوف!

شابوي : (يظهر عند أحد الأبواب) بست!

بودوان : (عند الباب الآخر) بست!

جورج : هيه؟

بودوان : نحن مفتشا الدفاع الوطني...

شابوي : ونرحب بقدومك...

بودوان : في الوطن الذي ندافع عنه.

جورج : شكرا .

شابوي : وخصوصا، لا تقلق.

بودوان : ولتعتمد كليا علينا .



شابوي	:	في ساعة الخطر، نحن هنا.
جورج	:	في ساعة الخطر؟ هناك خطر؟
بودوان	:	احتمال وقوع اغتيال ليس مستبعدا
جورج	:	اغتيال من؟
بودوان	:	(مبتسما) أنت.
شابوي	:	(ضاحكا بلا مواربة) أنت!
جورج	:	ما هذا؟! ولكن قولا لي إذن...
بودوان	:	صه! صه! نحن نراقب كل شيء!
شابوي	:	نحن نراقب كل شيء!

(يختفيان في اللحظة نفسها التي تدخل فيها مدام بونومي مع المدعوين)

المشهد الحادي عشر

جورج ومدام بونومي ونيرسيا وجول وبيردربير ومدعوون ومصورون وبيريجور.

م. بونومي	:	هاك منقذنا!
الجميع	:	يحيا نيكراسوف!
مدعو	:	سيدي، أنت رجل!
جورج	:	سيدي، وأنت رجل آخر.



مدعوة	:	إنك جميل!
جورج	:	هذا لكي أعجبك.
مدعوة أخرى	:	سيدي، كم أكون فخورة لو كان لي طفل منك.
جورج	:	سيدتي، سنفكر في الأمر.
م. بونومي	:	أيها الصديق العزيز، أتقول لنا كلمة؟
جورج	:	عن طيب خاطر. (يرفع صوته) سيداتي سادتي، الحضارات فانية، ولم تعد أوروبا تفكر بمنطق الحرية، ولكن بمنطق القدرية، إن الإعجاب بالإغريق في خطر! فلننقذه.
الجميع	:	نموت فداءً للتراث الإغريقي! (تصفيق. مدام بونومي تدفع بيردريير نحو جورج)
م. بونومي	:	(لجورج) هذا أحد المعجبين بك.
جورج	:	أنت معجب بي يا سيدي؟ هذا يكفي لكي أحبك. من أنت؟
بيردريير	:	أنا أسير معروفك ياسيدي، وسأظل كذلك طوال حياتي.
جورج	:	(مندهشا) أنا، أسديت معروفا لأحد؟
بيردريير	:	لقد كنت سببا في انسحابي من الانتخابات.
جورج	:	بيردريير ! (بيردريير يريد تقبيل يده، فيمنعه جورج من ذلك) فليقبل كلانا الآخر. (يتبادلان القبل)
م. بونومي	:	صور! (أضواء الماغنسيوم. تتأبط ذراع جورج، ويتأبط بيردريير ذراعه الأخرى) الآن، نحن الثلاثة. خذوا صورا للمجموعة.



جورج : لا يا صغيري جول لا، فيما بعد.

جول : لماذا ترفض دائما وفي إصرار أن تصور معي؟

جورج : لأنك مصاب بداء الحركة: في ذلك ضياع للفيلم الخام.

جول : تسمح...

جورج : كلا يـا صديقي، إن لـي جمهوري: أناس يشـترون «جريدتك» لكي يقصوا منها صورتي، ولهم كل الحق في...

جول : مـن الممكـن أن يكون لـك جمهورك. ولكـن أنا لي مصوريّ وأرى من غير المقبول أن تمنعهم من التقاط صور لي.

جورج : بسـرعة إذن! (أضواء الماغنسيوم) هناك.. هناك.. كفى. تعالَ تحدث معي (يجره إلى مقدمة المسرح)

جول : ماذا تريد مني؟

جورج : أريدك أن تعيد إلى مساعديك السبعة الذين طردتهم أعمالهم.

جورج : مرة ثانية! ولكن ليس هذا من اختصاصك ياصديقي! إنها مسألة داخلية بحتة.

جورج : كل مسائل الجريدة تخصني.

جول : من هو المدير؟ أنت أم أنا؟

جورج : أنت: ولكنـك لن تبقى في منصبك هـذا طويلا إذا لعبت هذه اللعبة. سـوف أطلب رأسـك من مجلس الإدارة.

جول : حسن! هاك نيرسيا الذي انتخبوه رئيسا يوم الخميس، بدلا من موتون: لا عليك إلا أن تقصده.

جورج : (يمسك نيرسيا من ذراعه ويأتي به إلى جوار جول) يا عزيزي نيرسيا..

نيرسيا : ياعزيزي نيكراسوف...

جورج : هل أستطيع أن أطلب منك معروفا؟

نيرسيا : طلبك مجاب مقدما.

جورج : أتذكر تلك السيدة المسكينة مدام كاستانييه؟

نيرسيا : كلا، لا أذكرها.

جورج : السكرتيرة التي طردتموها.

نيرسيا : آه! بالضبط. لقد كانت شيوعية.

جورج : إنها أرملة ياعزيزي نيرسيا.

نيرسيا : نعم. أرملة شيوعي.

جورج : ولها ابنة مقعدة.

نيرسيا : مقعدة؟ إنها شخصية جادة، من نسل شيوعي.

جورج : لم يكن لها سوى راتبها لكي تعيش، أو يجب عليها أن تنتحر؟

نيرسيا : لو حدث لها سوء، لقل عدد الشيوعيين اثنين. (فترة) ماذا تريد؟

جورج : أن تعيد إليها وظيفتها.

نيرسيا : ولكن ياعزيزي نيكراسوف أنا لا أستطيع شيئا بنفسي. (فترة) تأكد أني سأنقل التماسك إلى



مجلس الإدارة. (جورج في شـدة الغضب لكنه يكظم غيظه) أهذا كل شيء؟

جورج : كلا. (يخرج سوار آباري من جيبه) ما هذا؟

نيرسيا : (يقـرأ) نيكراسـوف يصـرح: أنا أعرف شـخصيا الصحافيين (ديفال ومايسـتر) حسـن؟ إنه تصريح قلته.

جورج : بل لم أقله.

نيرسيا : لم تقله؟

جورج : مطلقا.

نيرسيا : أوه! أوه! (لجـول في قسـوة) ياعزيـزي جول. إنك تدهشني. مع ذلك أنت تعلم شعار الجريدة. الحقيقة عارية تماما.

جول : (مستوقفا بيريجور) بيريجور! (بيريجور يقترب) إني غاية في الدهشة: هاك كلام نسبوه لنيكراسوف ولم يقله مطلقا!

بيريجور : آه! آه! (وهـو يتناول الجريـدة ويقرأها) لا بد أنها الصغيرة تابينوا.

جول : الصغيرة تابينوا!

بيريجور : لعلها ظنت خيرا ما فعلت.

جول : لا نريـد مثل هذا عندنا يا بيريجور. الحقيقة عارية تماما. أطرد تابينوا إلى الشارع.

جورج : أنا لا أطلب ذلك.

جول : إلى الشارع! إلى الشارع!



جورج	:	لا يا جول، أؤكد لك أني لا أطلب ذلك. وكفى طردا!
جول	:	إذن فلتزجرهـا فـي عنـف، وقـل لها إنهـا مدينة باحتفاظها بوظيفتها لتدخل نيكراسوف الشخصي.
جورج	:	هو ذا. (فترة) فيما يختص بي سأكتفي بتكذيب...
جول	:	(مبهوتا) ماذا؟
جورج	:	تكذيب تنشره غدا.
جول	:	تكذيب؟
نيرسا	:	تكذيب؟
بيريجور	:	تكذيب؟
		(ينظرون بعضهم إلى بعض)
جول	:	ولكن يانيكيتا سيكون ذلك أسوأ عمل أخرق.
بيريجور	:	سوف يتساءل الناس عما أصابنا.
نيرسيا	:	أرأيت في حياتك جريدة تكذب أخبارها الخاصة، إلا إذا اضطرتها المحاكم إلى ذلك؟
جول	:	سـوف نثير فورا انتبـاه الجمهور إلى هـذه الفقرة المشؤومة.
بيريجور	:	التي لم يقرأها أحد، وأنا على يقين من ذلك.
جول	:	(لنيرسيا) هل لاحظت هذه الفقرة ياعزيزي الرئيس؟
نيرسيا	:	أنا؟ أبدا. ومع ذلك فأنا أقرأ الجريدة من أول سطر إلى آخر سطر.
جول	:	وإذا بدأنا هـذه اللعبة الصغيرة، فأين سـنتوقف؟ أو يجب علينا أن نكرس كل عدد لتكذيب العدد السابق؟



جورج	:	حسن جدا. ماذا تعتزمون عمله إذن؟
نيرسيا	:	بخصوص أي موضوع؟
جورج	:	بخصوص هذه التصريحات.
جول	:	أن نكف عن الحديث عنها بعد ذلك، بكل بساطة، ندفن الخبر تحت أخبار اليوم التالي. على أن هذا هو خير منهج. أتظن أن قراءنا يتذكرون من يوم إلى آخر ما قرأوه؟ ولكن يا صاحبي لو كانت عندهم ذاكرة لما استطعنا حتى نشر حالة الجو اليومية!
نيرسيا	:	(يفرك يديه) وها أنا ذا أنظم كل شيء.
جورج	:	كلا.
نيرسيا	:	كلا؟
جورج	:	كلا! إني مصر على أن تنشروا تكذيبا.
نيرسيا	:	أنت مصر؟
جورج	:	نعم. باسم الخدمات التي أديتها لكم..
نيرسيا	:	لقد دفعنا لك الثمن.
جورج	:	باسم المجد الذي أحرزته.
جول	:	إن مجدك يا صديقي المسكين نيكيتا، ولم أكن أود أن أقول لك ذلك، في هبوط. يوم الخميس ارتفعنا إلى اثنين مليون نسخة مبيعة. ولكن منذ ذلك الحين هبطنا من جديد إلى مليون وسبعمائة ألف.
جورج	:	ولكن لايزال هذا الرقم فوق مستوى طبعاتكم العادية بكثير.
جول	:	لننتظر الأسبوع المقبل.



جورج : ماذا، الأسبوع المقبل؟

جول : سـنهبط مرة أخرى إلى تسـعمائة ألـف. وما الذي يكون قد فعلته؟ صعـود لمبيعاتنا كالصاروخ وتدهور كالصاروخ، ثم لا شيء بعد ذلك: الموت.

جورج : ليس بهذه السرعة: إني أحتفظ بمخزون من الأسرار المثيرة!

جول : فات الأوان: المهم هو تأثير الصدمة. لقد مل القارئ: إذا أخبرتنا غدا أن الروس يأكلون أطفالهم فلن يؤثر ذلك في القارئ مطلقا.

(يدخل موتون وديميدوف)

المشهد الثاني عشر

السابقون وموتون وديميدوف.

موتون : (في صوت جهوري) أيها السـادة! (يصمت الجميع ويلتفتون نحوه) لقد خدعتم.

(همهمات. المدعوون يتحركون في قلق)

نيرسيا : ماذا أتيت تفعل هنا ياموتون؟

موتون : أكشف القناع عن خائن. (مشيرا إلى ديميدوف) هذا هو ديميدوف الاقتصادي الروسـي الذي عمل عشر سـنوات في الكريملين. أصغوا إلى ماسـيقوله لكم. (لديميدوف مشـيرا إلى جورج) تأملـه جيدا، ذلك الرجل الذي يدعي نفسه نيكراسوف: هل تعرفه؟



ديميدوف : لا بد أن أغير نظارتي (يرفع نظارته ويضع الأخرى، وينظر حوله) أين هو؟

جورج : (يلقي بنفسه عليه ويقبله) أخيرا! لقد بحثت عنك طويلا! (موتون ينتزعه إلى الوراء)

موتون : (لديميدوف) أتعرفه؟

جورج : اخرجوا جميعا: إني أحمل له رسالة سرية.

موتون : لن نخرج قبل تصفية الموقف.

(مفتشا الدفاع الوطني قد دخلا)

بودوان : (يبرز أمام موتون) أوه! بلى ياسيدي، ستخرج.

موتون : ولكني..

بودوان : الدفاع الوطني. إنه أمر.

شابوي : (للآخرين) وأنتم أيضا أيها السادة، إذا سمحتم.

(يخرجان المدعوين، ويبقى ديميدوف وجورج وحدهما)

المشهد الثالث عشر

ديميدوف وجورج.

ديميدوف : (الذي لم يتوقف عن تأمل جورج، ولم يدرك شيئا مما حدث). هذا الرجل ليس نيكراسوف.

جورج : لا تتعب نفسك، نحن وحدنا.

ديميدوف : أنت لست نيكراسوف. نيكراسوف ضئيل الجسم، صلب العود، إنه يعرج قليلا.



جورج : يعرج؟ آسـف، إني لم أعرف ذلك مـن قبل. (فترة) ديميدوف، منذ زمن طويل وأنا أريد الكلام معك.

ديميدوف : أنا لا أعرفك.

جورج : أمـا أنا فأعرفك جيـدا. لقد تقصيـت عنك. أنت وصلت إلى فرنسـا عام ١٩٥٠: في ذلك الوقت كنت بلشـفيا ـ لينينيا وكنت تشعر بوحدة قاسية. وتقربت فترة من التروتسكيين، وأصبحت بلشفيا تروتسكيا، وبعد فرقعة مجموعتهم، اتجهت إلى تيتو وأسـميت نفسك بلشفيا تيتويا. وحينما تصالحت يوغوسلافيا مع الاتحاد السـوفييتي حملت آمالك إلى ماو ـ تسي ـ تونغ وأعلنت نفسـك بلشفيا ـ ماويا. ولما لم تقطع الصين علاقتها بالسـوفييت أعرضت بوجهك عنها ولقبت نفسك بولشفيك ـ بولشفيك ـ مضبوط؟

ديميدوف : مضبوط.

جورج : هذه التغيرات الكبرى حدثت في رأسـك، ولم تكف قط عن أن تكـون وحيدا. فيما مضى كانت سـوار ـ آبارى تنشـر مقالاتك، والآن لـم يعد أحد يريدها فـي أي مكان. أنت تعيش في حجرة في أعلى المنزل مع عصفور مغرد. وقريبا يموت عصفورك، ويطردك صاحب المنزل، وتذهب لتنام عند جيش الخلاص في قارب صغير.

ديميدوف : البؤس لا يخيفني، ليس لي سـوى هدف واحد. إبادة البيروقراطية السوفييتية.

جورج : ياصديقي المسـكين لقد قضي الأمر. التهمك الغرب ولم يعد لك وجود.



ديميدوف	:	(يمسك برقبته) أيها الأفعى المأفون.
جورج	:	دعني يا ديميدوف، دعني إذن! سـأقدم لك وسـيلة تخرج بها من ورطتك.
ديميدوف	:	(يتركه) لا فائدة.
جورج	:	لماذا؟
ديميدوف	:	أنت لست نيكراسوف، وأنا هنا لأقول ذلك.
جورج	:	لا تقـل ذلك أيهـا التعس وإلا خدمـت أعداءك. لا بد أن كراهيتك للسـوفييت ضعيفة واهنة، لأنها لم تسـكت فيك حبـك للحقيقة. فكر.. لقـد انتزعك موتون من النسـيان لكي يفسد عليّ حياتي، وبعد أن يحقق مآربه سـوف يسلمك إلى النسيان من جديد. وفي يوم من الأيام سوف يجدونك في حفرة ميتا من العجـز ومن الحقد الذي سـيكون قد ملأ صدرك، ومن الذي سيأسف لذلك؟ البيروقراطيون في أنحاء روسيا.
ديميدوف	:	أنت لست نيكراسوف. نيكراسوف يعرج...
جورج	:	نعـم، نعم، أعرف ذلك. (فتـرة) ديميدوف، أريد أن أدخل في الحزب البولشفيكي ـ البولشفيكي.
ديميدوف	:	أنت!
جورج	:	أنـا. أو تقدر عظم الخطوة الجبـارة التي قمت بها الآن؟ حينما لا يكون لحزب ما غير عضو واحد، فما أندر الفرص لكي يكون له في يوم من الأيام عضوان. ولكن إذا كان في الحـزب عضوان، فما الذي يمنعه في الغد من أن يُعد أعضاءه بالمليون، هل تقبل؟



ديميدوف : (وقد أذهله الخبر) أيكون لحزبي عضوان؟

جورج : نعم. عضوان.

ديميدوف : (في ريبة) أتعرف أن مبدأنا هو المركزية؟

جورج : أعرف ذلك.

ديميدوف : (متمما) وقانوننا هو الديموقراطية المستبدة.

جورج : أعرف ذلك.

ديميدوف : الرئيس هو أنا.

جورج : وسأكون أنا القاعدة.

ديميدوف : ولأقل نشاط انشقاقي، أطردك!

جورج : لا تخش. إني مخلص لك. ولكن الزمن يمر. اليوم أنا شهير، وغدا ربما ينساني الناس. فلتغتنم الفرصة بسرعة! مقالاتي تلف حول العالم: سأكتبها وفق ما تملي عليّ.

ديميدوف : ستفضح جيل الفنيين (التكنوقراط) الذي حل محل الثوار القدامى؟

جورج : في كل عمود.

ديميدوف : ستذكر كل السيئات التي أراها في أورلوف.

جورج : من هو أورلوف؟

ديميدوف : رئيس مكتبي السابق. نمرود.

جورج : سوف يصير غدا أضحوكة أوروبا.

جورج : عظيم! (يمد له يده) موافق يانيكراسوف.

(جورج يشد على يده. يظهر المدعوون في خشية عند عتبة الباب).



المشهد الرابع عشر

المدعوون وجورج وديميدوف وموتون وبودوان وشابوي.

موتون : حسن يا ديميدوف. من هو هذا الرجل؟

ديميدوف : هو؟ إنه نيكراسوف.

(هتافات)

موتون : أنت تكذب! ما الذي دبرتماه حينما كنتما على انفراد؟

جورج : كنت أخبره عن المقاومة السرية التي تنظم في الاتحاد السوفييتي.

موتون : أيها المحتال!

جورج : (للمدعوين) أنتم شهودي على أن هذا المخلوق يلعب لعبة الشيوعية!

المدعوون : (لموتون) إلى موسكو! إلى موسكو!

موتون : إنك تدفعني إلى الانتحار أيها البائس، ولكن سوف أجرك إلى الموت. (يخرج مسدسا ويصوبه إلى جورج) اشكروني أيها السادة: إني أخلص الأرض من وغد ومن شيوعي موضوعي!

م. بونومي : المؤامرة! المؤامرة!

(بودوان وشابوي يلقيان بأنفسهما على موتون وينتزعان سلاحه. يدخل الحارسان جريا من باب اليمين.

شابوي : (للحارسين مشيرا إلى موتون) أخرجا هذا السيد.



موتون : (محاولا التملص) اتركوني! اتركوني..

المدعوون : إلى موسكو! إلى موسكو!

(يدفعه الحارسان ويخرجان من باب اليمين)

بودوان : (للمدعوين) لقد كنا نتوقع هذه المؤامرة. سيداتي سادتي، زال الآن كل خطر، فلتتفضلوا بالعودة إلى الصالونات. وسنحرمكم بضع لحظات من السيد نيكراسوف لكي نعد معه وسائل تأمين سلامته. ولكن لا تخشوا شيئا. سوف نعيده إليكم بعد قليل. (يخرج المدعوون)

المشهد الخامس عشر

جورج وبودوان وشابوي.

بودوان : لتعترف يا سيدي بأننا ملائكتك الحارسة.

شابوي : وبأنه لولانا لقتلك هذا البائس على الفور؟

جورج : شكرا أيها السادة.

بودوان : العفو، لم نقم بغير واجبنا.

شابوي : ونحن سعداء جدا بأننا خلصناك من ورطتك. (ينحني جورج قليلا ويهم بالخروج فيمسكه بودوان من ذراعه)

جورج : ولكن...

شابوي : إن لدينا بعض المتاعب.

بودوان : وسوف نحتاج إلى معونة منك.

جورج : (يجلس) أي معونة أستطيع تقديمها لكما؟

(يجلس المفتشان)

شابوي : حســن، الأمر هو كما يلي: نحن وراء مؤامرة خطيرة تسعى إلى إشاعة روح الهزيمة في الوطن.

جورج : أو يستبد القنوط بفرنسا؟

شابوي : ليس بعد يا سيدي: نحن ساهرون!

بودوان : ولكن الواقع أن هناك من يحاول تخريب معنوياتها.

جورج : يا لفرنسا المسكينة! ومن الذي يجرؤ...

شابوي : اثنان من الصحافيين.

جورج : اثنان لأربعين مليونا من السكان؟ هذا البلد يستسلم بسهولة.

بودوان : هذا الرجلان ليسا سوى رمزين. وتريد الحكومة أن تنال في شخصيهما صحافة ممقوتة تخدع قراءها.

شابوي : لا بد من الضرب بسرعة وبقوة.

بودوان : نحــن ننوي القبــض عليهما غــدا. أو بعد غد على الأكثر.

شابوي : ولكننــا مطالبون بتقــديم الدليل علــى أن المتهمين قد اشــتركا عمــدا فــي إشــاعة روح الهزيمة بين المواطنين...

بودوان : وهذا في رأينا لا فائدة منه مطلقا...



شابوي : ولكن المشرع رأى من واجبه التشدد في طلب ذلك.

بودوان : وعليه، ولمرة واحدة، يخدمنا الحظ...

شابوي : وأنت هنا!

جورج : أنا هنا؟

بودوان : ألست هنا؟

جورج : طبعا أنا هنا. أنا هنا بقدر ما أستطيع أن أكون هنا.

شابوي : حسن! سيكون شاهدنا.

بودوان : من المؤكد أنك استخدمت هذين الصحافيين بصفتك وزيرا سوفييتيا.

شابوي : وسنكون لك من الشاكرين إذا أكدت ذلك.

جورج : ما اسماهما؟

شابوي : روبير ديفال وشارل مايستر.

جورج : مايستر وديفال... ديفال ومايستر... حسن! أنا لا أعرفها.

بودوان : مستحيل!

جورج : لمَ إذن؟

شابوي : لقد صرحت أمس في سوار آبارى بأنك تعرفهما حق المعرفة.

جورج : لقد نسبوا إليّ كلاما لم أقله قط.

بودوان : ممكن. ولكن المقالة موجودة. ثم إنهما على كل حال من الشيوعيين. ديفال عضو له نفوذ في الحزب الشيوعي.



شابوي : ديفال، هيا! لا بد أنك كنت تعرفه!

جورج : في الاتحاد السوفييتي لكل وزير عملاؤه الخصوصيون الذين لا يعرفهم الآخرون. ابحث عن وزارة الدعاية، في وزارة الاستعلامات، أو ربما في وزارة الخارجية، أنا، كما تعلمون، كنت في الداخلية.

بودوان : نحن ندرك جيدا وساوسك...

شابوي : ولو كنا في مكانك لأحسسنا بما تشعر به.

بودوان : ولكن مادام ديفال شيوعيا...

شابوي : فليـــس من الضروري أن تكون قد رأيت اســمه رأيَ العين.

بودوان : وأنت على ثقة تامة بأنه عميل سوفييتي.

شابوي : وعليه، تستطيع أن تشــهد وأنت مرتاح البال تماما، أنه قد قبض الثمن ليقوم بعمله.

جورج : آسف، ولن أشهد. (فترة صمت)

بودوان : حسن جدا.

شابوي : عظيم!

بودوان : فرنسا هي بلد الحرية. وعندنا كل الناس أحرار في أن يتكلموا أو يصمتوا.

شابوي : نحن نجلّ ذلك، نحن نجل ذلك.

بودوان : ونأمل أن يفعل ذلك رؤساؤنا بدورهم. (فترة.. ثم إلى شابوي) هل سيفعلون؟

شابوي : (لبودوان) من يدري؟ المزعج في الأمر هو أن للســيد نيكراسوف أعداء كثيرين.



بودوان : (لجورج) أناس يزعجهم مجدك...

شابوي : (لجورج) ويدعون أنك أرسلت إلينا من موسكو.

جورج : هذا سخف!

شابوي : طبعا. (ينهضان ويحيطان به).

بودوان : ولكن لا بد من إسكات الافتراءات.

شابوي : بعمل يثبت التزامك جديا.

بودوان : على كل حال، في الشـهر الماضي، كنت لاتزال عدوا لدودا لوطننا...

شابوي : ... ولا شيء يثبت أنك تحولت عن ذلك...

بودوان : ولطالما قيل لنا إننا نجهل واجباتنا...

شابوي : ... وإنه كان لا بد من أن نعيدك فورا إلى الحدود.

بودوان : تصور أننا نعيدك إلى البوليس السوفييتي!

شابوي : بعد تصريحاتك، ستعيش وقتا! عصيبا!

جورج : أتطاوعكـم قلوبكـم على طـردي، أنا الـذي وثقت بالضيافة الفرنسية.

شابوي : (ضاحكا) ها! ها!

بودوان : (ضاحكا) الضيافة!

شابوي : (لبودوان) ولمَ يكون حق اللجوء؟ إنه يظن نفسـه في العصور الوسطى.

بودوان : نحن مضيافون للوردات الإنجليز...

شابوي : للسائحين الألمان...

بودوان : ... للجنود الأمريكيين...

شابوي : ... وللبلجيكيين الممنوعين من الإقامة...

بودوان : ... ولكـن بصراحـة أنـت لا تريد أن نكـون كذلك للمواطنين السوفييتيين!

جورج : أهذا تهديد لي باختصار؟

شابوي : كلا يا سيدي، إنها ورطة.

بودوان : بل أستطيع القول بأنه خيار بين أمرين. (صمت)

جورج : لتقوداني إلى الحدود. (فترة)

بودوان : (يغير من لهجته) وبعد، ياصغيري جورج؟ أتلعب دور الشـرير؟

شابوي : أتتظاهر بالصرامة والتحدي؟

جورج : (ينهض فزعا) ماذا؟

بودوان : اجلس مكانك.

شابوي : أنت لا تخيفنا، أتعرف؟

بودوان : لقد رأينا نحن أناسا أشداء حقا. رجالا.

شابوي : ونعلم جيدا أن النصاب ليس سوى خرقة.

بودوان : امرأة.

شابوي : إذا كنا أحيانا قد دغدغناك قليلا...

بودوان : انتهى أمرك الآن.

جورج : لست أفهم قصدكما.

شابوي : أوه! بل أنت تفهمه!



بودوان	:	نريـد أن نقول إنك جـورج دي فاليرا، أحد الأوباش العالميين، وإننا نسـتطيع أن نسـلمك فورا للمفتش جوبليه الذي يبحث عنك!
جورج	:	(يجاهد في الضحك) جـورج دي فاليرا؟ في الأمر سوء تفاهم! سوء تفاهم مسل جدا. أنا...
شابوي	:	لا تتعب نفسـك. منذ ثمانية أيام وحارساك يلتقطان لك صورا خلسـة من جميع الزوايا، لقد أخذا حتى بصمات أصابعك. ولم يكن علينا سوى أن نقارن ذلك مع بطاقة أحوالك الشخصية. لقد سقطت.
جورج	:	اللعنة.
بودوان	:	لاحظ جيدا أننا لسنا أشرارا.
شابوي	:	ثم إن الاحتيال ليس من اختصاصنا.
بودوان	:	هذا يهم البوليس القضائي، والبوليس القضائي ليس على وفاق معنا.
شابوي	:	المفتش جوبليه، نضعه حيث تعلم.
بودوان	:	نريد رقبتي الصحافيين، وهذا هو كل ما في الأمر.
شابوي	:	وإذا أعطيتنا مطلبنا فسـوف تصبح نيكراسوف كما يطيب لك.
بودوان	:	وسوف تؤدي لنا خدمات صغيرة.
شابوي	:	سنريك أناسا بين الحين والآخر.
بودوان	:	وسوف تقول إنك تعرفهم، إرضاءً لنا.
شابوي	:	ونحن من جانبنا سنلتزم الصمت.
بودوان	:	ولا أحد غيرنا يعرف المسألة، أتفهم.



شابوي : لاحظ أننا قلنا ذلك لرئيس مجلس الإدارة.

بودوان : ولكن هذا لا يهم في شيء، إنه لا يعرفه.

شابوي : لقد قال: «لا أريد أن أعرف».

بودوان : وهذا الرجل يعرف ما يريد!

شابوي : هل فهمت الملعوب، ياقليل التفكير.

بودوان : يوم الخميس سوف نحضر لأخذك، وسنصحبك إلى قاضي التحقيق.

شابوي : سيسألك إن كنت تعرف ديفال...

بودوان : وستجيب: نعم، لأنك لن تستطيع غير ذلك.

شابوي : عمت مساءً ياصغيرتي، تشرفنا.

بودوان : إلى الخميس يا توتو. لا تنسي. (يخرجان)

المشهد السادس عشر

جورج بمفرده، ثم يدخل ديميدوف.

جورج : حسن! حسن، حسن، حســن!... (يذهب إلى المرآة) وداعا أيتها الســهول الروســية الشاســعة لطفولتي وداعا أيها المجد! نيكراسوف، وداعا! وداعا ياعزيزي الرجل العظيم المســكين! وداعا أيهــا الخائن، أيها القــذر، وداعا أيها الســافل! يحيا جورج دي فاليرا! (يفتش نفسه) ســبعة آلاف فرنك، لقد قلبت العالم



رأسا على عقب فربحت سبعة آلاف فرنك. يا لها من مهنـــة حقيرة. (في المرآة) جـــورج، ياصاحبي جورج، أنـــت لا تتخيـــل مبلغ ســـعادتي بلقياك مـــن جديد! (منتعشـــا) ســـيداتي ســـادتي، لمـــا كان نيكراسوف قـــد مات، فـــإن جوـــرج دي فـــاليرا ســـوف يهرب علـــى الطريقـــة الإنجليزية. (يتفكـــر) بـــاب الدخول الرئيسي: مستحيل. البوليس يراقبه. باب الخدم... (يفتـــح باب اليمين) اللعنة: قاتلاي يحرســـان الممر. (يقطع البهـــو) النافذة؟ (يطل منها) إنها على ارتفاع عشـــرة أمتار من الأرض. سوف يتهشم رأسي. ليس هناك مـــزراب؟ (يصعد على حافـــة النافذة) بعيدا جدا. يا إلهي! لو أني أجد وسيلة أشغل بها قاتليّ... (يدخل ديميدوف ويمســـك به مـــن ردفيه وينزله من النافذة)

ديميدوف : أنا لا أسمح بذلك أيها المناضل. إني أمنعك...

جورج : أنا...

ديميدوف : الانتحار، يفكر فيه المرء في الشـــهور الثلاثة الأولى. وبعد ذلك، ســـوف ترى، يتعود المرء الحياة الجديدة. لقـــد مررت بهذه التجربة. (يســـر إليـــه) لقد تركت البهـــو الكبير لأني ثملت قليلا. يجب ألا أســـكر أيها المكافح. خذ بالك. حينما أكون ثملا، أصبح فظيعا. (في اهتمام شديد) آه! آه!

ديميدوف : نعم.

جورج : فظيع جدا.

ديميدوف : أحطم كل شيء. وأحيانا أقتل.



جورج : إن ما تقوله لي ممتع ومهم جدا.

(يندفع المدعوون ومدام بونومي إلى الداخل)

المشهد السابع عشر

جورج وديميدوف وم. بونومي وبيردريير وجميع المدعوين.

م. بونومي : (لجورج) أخيرا نستطيع الاقتراب منك. لن تتركنا وترحل، فيما أرجو. سنبدأ الآن ألعاب التسلية.

جورج : ألعاب التسلية!

م. بونومي : نعم!

جورج : إنــي أعــرف صديقــا كان يضحك كل شــخصيات الكريملين حتى تطفر الدموع من عيونهم.

م. بونومي : إنك تحيرني كثيرا. من هو؟

جورج : حســن! في أيام الصفاء كان مــن عاداتنا أن نجعل ديميدوف يشــرب. إنك لا تتصورين الأفكار البديعة التي تحضره حينما يكون ثملا! إنه شاعر بحق.

م. بونومي : ولكن هذا ظريف! أيمكن؟

جورج : انشري هذا الأمر، وسأتولى أنا الباقي.

م. بونومي : (لأحد المدعوين) لا بد أن نشرب.

ديميدوف : يبدو أنه مسل جدا حينما يكون ثملا.

(يسري الخبر)



جورج : (لديميــدوف) أصدقاؤنا يريدون قرع كؤوســهم مع كأسك.

ديميدوف : وهو كذلك. (يرى أكوابا يحملها الخدم على صينية) ما هذا؟!

جورج : دراي مارتيني.

ديميدوف : لا أبقي مشروبات أمريكية. فودكا!

م. بونومي : (للخدم) فودكا!

(يحضر أحد الخدم كؤوسا من الفودكا على صينية).

ديميدوف : (يرفع كأسه) إني أشرب نخب تحطيم البيروقراطيين السوفييتيين.

بونومي والمدعوون : نخب إفناء البيروقراطيين!

جورج : (يتناول كأسا من الصينية ويقدمها لديميدوف). أنت تنسى التكنوقراطيين.

ديميدوف : نخب تحطيم التكنوقراطيين! (يشرب)

المدعوون : نخب تحطيم التكنوقراطيين!

جورج : (يقدم له كأســا جديدة) وأورلوف؟ (للمدعوين) إنه رئيس مكتبه.

ديميدوف : (يشرب) نخب شنق أورلوف!

المدعوون : نخب شنق أورلوف.

جورج : (يقدم له كأســا) إنها الفرصة لشــرب نخب الحزب البلشفيكي - البلشفيكي.

ديميدوف : تعتقد؟

جورج : بالطبع! ستجعله معروفا، ولا بد من التفكير في الدعاية.

ديميدوف : (يشرب) نخب الحزب البلشفيكي ـ البلشفيكي!

المدعوون : نخب الحزب البلشفيكي. البلشفيكي.

(أغلبية المدعوين ثملون في وضوح. تظهر قبعات من الورق وزمامير، وأشرطة ورق ملون. وفي أثناء المشهد التالي يتخلل كلام ديميدوف أصوات الزمامير)

ديميدوف : (لجورج) نخب مَن عليَّ أن أشرب الآن؟

جورج : (يقدم له كأسا) نخب عصفورك المغرد.

ديميدوف : نخب عصفوري المغرد!

المدعوون : نخب عصفوره المغرد! (جورج يقدم له كأسا جديدة)

ديميدوف : والآن؟

جورج : لست أدري... نخب فرنسا، ربما. من باب الأدب.

ديميدوف : كلا! (يرفع كأسه) نخب الشعب الروسي الطيب. الذي يكبله رعاته الأشرار.

المدعوون : نخب الشعب الروسي.

ديميدوف : سوف تحررونه، أليس كذلك؟ سوف تحررون شعبي الطيب المسكين؟

الجميع : سوف نحرره! سوف نحرره! (زمامير)

ديميدوف : شكرا! إني أشرب نخب طوفان الحديد والنار الذي سوف يجتاح شعبي!

الجميع : في صحة الطوفان! في صحة الطوفان!



ديميدوف	:	(لجورج) ما هذا الذي أشربه؟
جورج	:	فودكا.
ديميدوف	:	كلا.
جورج	:	انظر. (يتناول الزجاجة ويريه إياها)
ديميدوف	:	ليغفر لي الله! إنها فودكا فرنسية! إني خائن!
جورج	:	أوه، ديميدوف!
ديميدوف	:	اخرس أيها الرفيق! كل روسي يشرب فودكا فرنسية هو خائن لشعبه. لا بد من إعدامي. (للجميع) هيا! ماذا تنتظرون؟
م. بونومي	:	(محاولةً تهدئته) ياعزيزي ديميدوف، نحن أبعد ما نكون عن التفكير في ذلك!
ديميدوف	:	(يدفعها بعيدا عنه) إذن، فلتحررهم جميعا، جميعا.. جميع الروس! إذا بقي واحد على ظهر الأرض، واحد فقط، فسوف يأتي مشيرا إليَّ بإصبعه قائلا: فيودور بتروفتش، إنك تشرب الفودكا الفرنسية. (مجيبا على متكلم خيالي) هذا خطأ أورلوف يا أبي المسكين، ولم أكن أستطيع احتماله! (يشرب) إني أشرب نخب القنبلة المحررة! (صمت مرعب. لبيردريير مهددا) اشرب، أنت!
بيردريير	:	نخب القنبلة!
ديميدوف	:	(مهددا) أي قنبلة؟
بيردريير	:	لست أدري... نخب القنبلة هـ. «الهيدروجينية».
ديميدوف	:	أيها الكلب الحيوان. أو تأمل أن تجعلنا نعتقد أننا



سنوقف التاريخ بقنبلة؟

بيردريير : ولكني لا أريد أن أوقف التاريخ!

ديميدوف : وأنا أريد إيقافه على الفور. لأني أعرف من يكتبه! إنه شعبي الصغير برعاته الأشرار. أتفهم؟ أورلوف نفسه يكتب التاريخ، وأنا وقعت خارجه كما يقع العصفور من العش. (يتابع بعينيه شيئا غير مرئي يقطع البرق في سرعة هائلة) إنها تسير بسرعة! أوقفوها! أوقفوها! (يتناول كأسا) إني أشرب نخب القنبلة الفانية التي سوف تنسف الأرض. (لبيردريير) اشرب!

بيردريير : (في صوت نصف مختنق) كلا.

ديميدوف : ألا تريد أن تنسف الأرض؟

بيردريير : كلا.

ديميدوف : وكيف توقف تاريخ البشر إن لم تحطم الجنس البشري؟ (في النافذة) انظر! انظر إلى القمر. فيما مضى من الزمان كان القمر أرضا. ولكن الرأسماليين من سكان القمر كانوا أكثر شجاعة منكم، إذ حينما أدركوا أن به اشتعالا دمروا غلافه الجوي بقنابل من الكوبالت. وهذا ما يفسر لك صمت السماوات: ملايين الأقمار تدور في الفلك، وملايين الساعات توقفت عن الدوران في نفس لحظة التاريخ. ولم يعد هناك غير ساعة واحدة تدق ناحية الشمس. ولكن إن كانت لديكم الشجاعة فإن هذا الضجيج الفاضح سوف يتوقف. إني أشرب نخب القمر المقبل: الأرض! (جورج يحاول التسلل



إلى الخارج) إلى أين أنت ذاهب أيها الرفيق؟ اشرب نخب القمر.

جورج : نخب القمر.

ديميدوف : (يشرب ويبصق في نفور) أوه! (لجورج) تصور يارفيق أني فوق قمر المستقبل وأشرب فودكا فرنسية. سيداتي سادتي أنا خائن! سيكسب التاريخ، وسوف أموت ويقرأ الأطفال اسمي في الكتب: ديميدوف الخائن كان يشرب فودكا فرنسية عند مدام بونومي. إني مخطئ، سيداتي سادتي، مخطئ أمام القرون المقبلة. ارفعوا كؤوسكم، إني أحس بالوحدة. (لبيردريير) وأنت أيها الحيوان اللئيم، اصرخ معي: تحيا حركة التاريخ.

بيردريير : (مرتعبا) تحيا حركة التاريخ.

ديميدوف : تحيا حركة التاريخ الذي سوف يسحقني كعفن منفوش، والذي سوف يحطم المجتمعات القديمة كما أحطم هذه المنضدة. (يلقي بمنضدة البوفيه على الأرض. يسري رعب بين الحاضرين)

المشهد الثامن عشر

السابقون والحارسان وجوبليه وسيبيلو.

جورج (يفتح باب اليمين للحارسين) لقد جن! سيطروا عليه. (ينقض الحارسان على ديميدوف ويحاولان إخضاعه. جورج يهم بالهرب ولكنه يلقي نفسه وجها



لوجه أمام جوبليه الذي يدخل من باب اليمين حاملا سيبيلو في قمة الثمالة على ظهره)

جوبليه : (يضع سـيبيلو على مقعد) مدد جسدك يا صديقي. انتظر سوف أضع لك كمادة.

سيبيلو : ياعزيـزي الطيب جوبليه، أنت أمـي. (ينفجر باكيا) لقد خنت أمي. اجتذبتها إلى المطبخ لكي أمنعها من القبض على محتال!

جوبليه : (يعتدل) أي محتال؟

سيبيلو : جورج دي فاليرا!

(في أثناء ذلك، يدور جورج لكي يبلغ باب اليمين من دون أن يمر أمام سيبيلو وجوبليه)

جوبليه : جورج دي فاليرا؟ أين هو؟

(جورج قد وصل إلى باب اليمين)

سيبيلو : (مشيرا بإصبعه إليه) ها هو! ها هو!

جوبليه : اللعنـة! (يخرج مسدسـه ويندفع خلـف جورج وهو يطلق الرصاص)

المدعوون : (في رعب) القتلة! القتلة!

ديميدوف : (في ذهول) أخيرا! أخيرا! هذا هو التاريخ!

(بودوان وشابوي يسـرعان خلف جوبليه، ديميدوف يتخلـص من الحارسـين ويسـرع خلف المفتشـين. الحارسان يتمالكان أنفسهما ويسرعان خلفه)

(ستار)



المنظر السابع

الديكور: صالون سيبيلو موديل ١٩٢٥.

المشهد الأول

جـورج وفيرونيك، الوقت ليل، يدخل جورج من النافذة، وتدخل فيرونيك بدورهـا وتدير مفتاح النور. إنها ترتدي نفس ملابس المنظر الثالث وتتأهب للخروج. يقف جورج خلفها. ويداه إلى أعلى، وهو يبتسم.

جورج	:	مساء الخير.
فيرونيك	:	(ملتفتة إليه) ما هذا! نيكراسوف.
جورج	:	لقد مات. نادي جورج وأسدلي الستائر (يرخي يديه) لم تقولي لي اسمك قط يا صغيرتي.
فيرونيك	:	فيرونيك.
جورج	:	يا لفرنسا الوديعة! (يتراخى على مقعد) كنت جالسا على هذا المقعد نفسه، وكنت تتأهبين للخروج، وكان بعض رجال البوليس يحومون حول المنزل. كل شـيء يبـدأ مـن جديد. كم كنـت شـابا! (يصغي) صوت صفارة؟
فيرونيك	:	كلا. هل أنت مطارد؟
جورج	:	منذ كان عمري عشـرين عاما. (فترة) لقد تخلصت منهم منذ قليل. أوه! ليس لفترة طويلة.
فيرونيك	:	وإذا جاءوا هنا؟



جورج : سـوف يجيئون. جوبليه بحكم العـادة، وبوليس أمن الدولة بالفطنة. ولكن ليس قبل عشر دقائق.

فيرونيك : هل وقعت في يد بوليس أمن الدولة؟

جورج : المفتش بودوان والمفتش شابوي. تعرفينهما؟

فيرونيك : كلا. ولكنـي أعرف بوليـس أمن الدولـة. أنت في خطر.

جورج : (متهكما) قليلا!

فيرونيك : لا تبق هنا.

جورج : لا بد أن أكلمك.

فيرونيك : عن نفسك؟

جورج : عن أصدقائك.

فيرونيك : سأراك غدا، في المكان الذي تريد وفي الساعة التي تريد. ولكن هيا اهرب!

جورج : (يهز رأسـه) إذا تركتك فلن تريني بعد ذلك. سـوف يلقـون القبض عليّ (... عند حركـة من فيرونيك) لا تناقش: إنها أمور يحسبـها المـرء حينما يكون من أهل الصنعة. ثـم إلى أين تريدينني أن أهرب؟ ليس لـدي صديق يخفيني عنده. فـي منتصف الليل يمر الشـخص في رداء السهرة من دون أن يلحظه أحد، ولكـن غدا، في وضح النهـار... (وقد خطرت بباله فكرة) بدلات والدك القديمة، أين هي؟

فيرونيك : أعطاها للبواب.

جورج : والجديد؟



فيرونيك	:	ليست جاهزة، سوى تلك التي يرتديها.
جورج	:	أرأيت: لقد تخلى الحظ عني. فيرونيك، لقد أفل نجمي وذوت عبقريتي. قضي الأمر. (يسير) سوف يلقون القبض على شخص ما هذه الليلة، تأكدي من ذلك. ولكن من؟ أتستطيعين أن تخبريني من الذي سيقبضون عليه؟ جوبليه يجري خلف فاليرا، وبوليس أمن الدولة خلف نيكراسوف. والأول الذي سيضع يده عليَّ سأصبح ما يريد أن أكونه. على من تراهنين؟ البوليس القضائي أم بوليس أمن الدولة؟ جورج أم نيكيتا؟
فيرونيك	:	أراهن على بوليس أمن الدولة.
جورج	:	وأنا كذلك. (فترة) حذري مايستر وديفال.
فيرونيك	:	بماذا تريد أن تحذرهما؟
جورج	:	أصغي إلي يا طفلتي وحاولي أن تفهميني. (في أناة وصبر) ما الذي سيفعله فيَّ بوليس أمن الدولة؟ يضعني في السجن؟ إنه ليس مجنوناً إلى هذا الحد، فنيكراسوف ضيف فرنسا. سوف يستأجرون لي فيلا في ضواحي المدينة، منعزلة بعض الشيء، ولها حجرات قديمة مشمسة. وأقيم أنا في أجمل حجرة، وألزم الفراش ليل نهار. لأن نيكراسوف المسكين قد وهن منه العظم، فكم كانت معاناته. وهذا لن يمنع والدك من الاستمرار في نشر ما أذيعه من أسرار مثيرة.
		لقد عرف الطريقة ويستطيع أن يلفق ما يريد من دوني. (يقلد بائع الجرائد) «مايستر وديفال كانا قد



ذهبا إلى موسكو خفية. نيكراسوف كان يدفع لهما بالدولارات». وهذا ما يسمونه فيما أظن، خلق الجو النفسي. وحينما يكونون قد لطخوهما جيدا بالوحل، فسيجد الجمهور من الطبيعي اتهامهما بالخيانة.

فيرونيك : مقالات والدي لا تقيم لها المحكمة وزنا. لا بد لها من شهود.

جورج : أتعرفين أني لم أكن سأذهب للإدلاء بالشهادة؟

فيرونيك : أنت؟

جورج : نعم منقولا على محفة. أنا لا أحب الضرب يا صغيرتي. ولو أني ضربت كل يوم فسينتهي بي الأمر إلى السأم.

فيرونيك : أتظن أنهم سوف يضربون؟

جورج : سوف يخجلهم ذلك (فترة) أوه! لك أن تزدريني، ولكني فنان بطبعي ولا قبل لي بالقوة الجسمانية.

فيرونيك : أنا لا أزدريك. ومن الذي يحدثك عن قوة جسمانية؟ يكفي أن تعلم ما الذي تفضله؟

جورج : لو أني أعلم!

فيرونيك : أنت لا تريد أن تصبح مرشدا؟

جورج : كلا، ولكني أيضا لا أحب أن تشوه صورتي. فلتختاري إذن!

فيرونيك : إن لديك من الكبرياء الكثير الذي يمنعك من الكلام.

جورج : ألا تزال لدي كبرياء؟



فيرونيك : إنك تموت من الكبرياء!

جورج : لتسمع منك السماء! هذا لا يمنع أني سأكون مرتاح الضمير جدا إذا علمت أن ديفال ومايستر لن يصابا.

فيرونيك : وما سيغير ذلك؟

جورج : لو ضقت ذرعا بذلك، أستطيع إدانتهما. على كل حال، أنا أعلم أنهما لن يدخلا السجن.

فيرونيك : إذا أدنتهما فسيحكم عليهما.

جورج : الحكم لا يهم، مادامو لن يستطيعوا القبض عليهما.

فيرونيك : (لا حول لها) يا عزيزي المسكين جورج!

جورج : (دون أن يصغي إليها) أفهمت يا صغيرتي، سأختفي، وأنت اذهبي وقولي لهما أن ينجوا بأنفسهما.

فيرونيك : لن يهربا.

جورج : مع أن البوليس يجدُّ في البحث عنهما، وخمس سنوات من السجن في انتظارهما؟ أنت بلهاء.

فيرونيك : لن يهربا لأنهما بريئان.

جورج : وأنا، تحثينني على الهرب لأني مذنب؟ يا للمنطق الجميل! لو أن أحدا أصغى إليك لذهب جميع مذنبي فرنسا لصيد السمك، بينما الأبرياء يتعفنون في السجن.

فيرونيك : هذا هو ما يحدث تقريبا.

جورج : لا أريــد كلاما منمقا أيتها الفأرة: الحقيقة هي أنكم تتخلون عنهم.

فيرونيك : انتظر حتى يقبض عليهما، وسترى.

جورج : كل هذا مفهوم مقدما: سوف تصيحون في الشوارع، وتعلقون الملصقات وتعقــدون الاجتماعات وتنظمون المواكب: وهــذا هو الاحتفال الشــعبي الكبير حقا. ورفيقاكما، أين سيصبحان؟ في الزنزانة. ياللعجب: إن مصلحتكــم هــي أن تحتفظ بها السـلطات في الزنزانــة أطول وقت ممكن. (يضحــك) وأنا، الأبله المسكين، ألقي بنفسي في فك الذئب لكي أحذرهما قبل وقوع البلاء. أحذرهما؟ ولكنكم لا تقيمون لذلك أي وزن ولا تهتمون! يا للخطأ الشنيع! أنا لا ألومكما: كل يعمل لنفسه. فقط إن نفسي لتشمئز منكم قليلا علــى أي حــال، لأني ســوف أذهب أنا نفســي إلى السجن، وأحس بتضامن مع الشابين المسكينين اللذين تضحون بهما. (فيرونيك تدير قرص التليفون) ماذا تفعلين؟

فيرونيك : (في التليفون) أهو أنت ياروبير؟ ســأصلك بشخص يريد أن يكلمك. (لجورج) إنه ديفل.

جورج : ربما كان تليفونه مراقبا.

فيرونيك : لا أهمية لذلك مطلقا. (تعطيه السماعة)

جورج : (في التليفون) آلو، ديفال؟ اصغ إليَّ جيدا يا صاحبي: ســيلقون عليك القبض غدا، أو بعد غد على الأكثر، ومــن المحتمل جدا أن تدان. ليس لديك الوقت حتى لتجهز حقائبك. اهرب حالما تضع الســماعة. هيه؟



أوه! أوه! أوه! (يعيد السماعة) ولكنه يشتمني!

فيرونيك : (في التليفون) كلا يا روبير كلا: هدئ من روعك، إنه ليس محرضا يستفزك. كلا، لا شيء على الإطلاق. سأشرح لك الأمر فيما بعد. (لجورج) أتريد أن أطلب مايستر؟

جورج : لا تفعلي شيئا من ذلك بالمرة، لقد فهمت. (يستغرق في الضحك) لقد كانت هذه هي أول مرة في حياتي أريد أن أخدم فيها خدمة. ومن المؤكد أنها ستكون الأخيرة. (فترة) لم يعد أمامي سوى أن أذهب. طابت ليلتك مع كل اعتذاراتي.

فيرونيك : طابت ليلتك.

جورج : (ينفجر فجأة) إنهم حمقى، هذا هو كل ما في الأمر! أشخاص مساكين لا حول لهم ! إنهم لا يخمنون حتى ما هو السجن! أما أنا فأعلم ما هو.

فيرونيك : إنك لم تدخله.

جورج : كلا، ولكني شاعر. إن السجن يلتصق بي منذ هذا المساء وأحس به في عظامي. أيعلمان أن للمرء فرصتين من كل خمس فرص للخروج منه بمرض الصدر؟

فيرونيك : لقد دخله ديفال في ١٧ أكتوبر عام ١٩٣٩، وخرج منه في ٣٠ أغسطس ١٩٤٤ مريضا بالصدر.

جورج : إذن فلا عذر له.

فيرونيك : بل كلا يا صغيري جورج، إنه يفعل مثلك: إنه يتبع مصلحته.



جورج : مصلحته أم مصلحتكم؟

فيرونيك : مصلحتــه، مصلحتــي، مصلحتنا : ليــس هناك غير مصلحــة واحدة. أنت لا تســاوي أكثــر من جلدك وتريد أن تنقذه، وهذا أمر طبيعي. إن ديفال متمسك بحياتــه، ولكنـــه لا يفكر فيها كل يــوم. عنده حزبه، نشـــاطه، قراؤه: إذا أراد أن ينقذ كل ماهو كائن فيه، فلا بد أن يبقى. (فترة)

جورج : (في عنف) أنانيون قذرون!

فيرونيك : ماذا؟

جورج : ســوف يرضى الجميع عن أنفســـهم: سيكون له تاج الشوك، وستكون لكم أعيادكم. ولكن أنا، أيها السفلة، أنا، ماذا عساي أصبح وسط هذا كله؟ خائن، ذبابة، مرشد!

فيرونيك : ليس عليك سوى أن...

جورج : لا شـــيء علـــى الإطلاق! ســـوف أقيد إلـــى «فراش الميدان»، ويجلدني الســـجانون ثلاث مـــرات يوميا. وبين الحين والآخر، ولكي أســـترد أنفاســـي ســـوف يســـألونني: «هل تشهد؟» وأصبح أنا في مأزق حرج: ســـوف تدق الأجراس في رأســـي، ويصبح رأســـي أكبر من قرعة، وســـأفكر في هذين الشـــهيدين، في هذين المخلصين لمبادئهما اللذين يمارسان معي دورا قذرا فلا يهربان، وســـأقول لنفسي: «لو أنك أذعنت فسيلقى بهما في الســـجن خمس سنوات». لـو أنـي أذعنت؟ عجبا! ســـوف تصبحـون جميعـا غايـة في الرضـا. لا مســـيح من غير يهوذا، هيه؟ يا للمسكين



يهـــوذا، هاك مخلوق لا بد أنه مثقل القلب. إني أفهم هذا الرجل وأبجله. وإذا لم أذعن... حســـن! إنه من أجلكم أيضا أتلقى الضربات وماذا ســيكون جزائي؟ بصاق: ســوف يمـــلأ والـــدك جريدة ســوار آباري بتصريحاتي الزائفة، وسوف تحتفل جرائدكم الهزلية في الوقت ذاتـــه ببراءة ديفال وهزيمة نيكراســـوف الشـــائنة، المفتري الثلاب. سوف تحملون أصدقاءكم المنتصرين على الأعناق، وبالخطوة نفسها سوف تطأ شراذمكم السعيدة وجهي. ألعوبة! ألعوبة وكأني طفل يلهـــو بي جميع الناس! هنـــاك، كنت أداة حقد، وهنا أصبح أداة تاريخ! (فترة) فيرونيك! لو كنت شـــرحت حالي لرفيقيك فربما كان لديهما من طيبة القلب ما يدفعهما إلى الهرب؟

فيرونيك : أخشى ألا يحدث ذلك.

جورج : الســـفلة! كان لا بد لي أن أقتل نفســـي أمام عينيك، وألطـــخ أرض الحجـــرة بدمائي. من حظـــك أنه لم تعد لدي الشـــجاعة لعمل ذلك. (يعود إلى الجلوس) لم أعد أفهم شـــيئا من شـــيء. كانت عندي فلسفتي الصغيرة وكانـــت تعينني على الحياة: لقد فقدت كل شـــيء حتى مبادئـــى. آه! ما كان يجـــب عليّ قط أن أشتغل بالسياسة!

فيرونيك : اذهب يا جورج، اذهب. نحن لا نسألك شيئا، ولست مدينا بشيء لمخلوق. ولكن اذهب.

جورج : (إلـــى جـــوار النافذة، يزيح الســـتائر قليـــلا) الليل. الشـــوارع المهجورة. لا بد من السير بجوار الحوائط حتـــى الصباح) ويعـــد فترة أتريديـــن الحقيقة؟ لقد



أتيت ليأخذوني من هنـــا. حينما يدخل المرء مرحلة الجد، يصبح لرؤية آخر رأس إنســـاني أهمية، إذ هو يتذكـــره فترة طويلة. وقـــد أردت أن تكوني أنت آخر من ألتقيه. (فيرونيك تبتسم) يحسن بك أن تبتسمي كثيرا، فهذا يجملك.

فيرونيك : إني ابتسم للذين يعجبونني.

جورج : ليس لدي شـــيء لكي أعجبك، وأنـــت لا تعجبينني. (فتـــرة) لـــو أني أســـتطيع أن أمنع أولئك الأشـــداء الملاعين من الذهاب إلى الســـجن فـــأي دور جميل ألعبـــه عليكم جميعا. (يســـير) النجـــدة ياعبقريتي! أريني أنك مازلتِ موجودة!

فيرونيك : العبقرية يا صديقي...

جورج : صمتـــا (يدير ظهـــره لفيرونيـــك وينحني) شـــكرا! شـــكرا! (يتقدم من فيرونيك) يؤســـفني أن أعلن لك أن صديقيـــك الصغيرين لن يقبـــض عليهما. وداعا أيتها الاحتفالات الكبرى، يا وســـام الشرف للشهيد. سوف تســـتعيد مدام كاستانييه وظيفتها، ومن يدري إن كانت أصـــوات بيردريير المائة ألف لن تذهب يوم الأحد المقبل للمرشـــح الشيوعي! سأريك أنا إن كان أحد يستطيع أن يحركني على هواه.

فيرونيك : (تهز كتفيها) لا تستطيع عمل شيء.

جورج : وأبحـــث لي عن شـــخص أختبئ عنـــده، وغدا تأتين لرؤيتـــي وســـأمنحك حديثا صحافيا حقوق نشـــره محفوظة في العالم أجمع.

فيرونيك : مرة أخرى!



جورج : لا تريدين ذلك؟

فيرونيك : كلا...

جورج : إن عنـدي عنوانـا جميلا مع ذلـك: كيف أصبحت نيكراسوف، بقلم جورج دي فاليرا؟

فيرونيك : جورج!

جورج : سأبقى خمسة عشـر يوما عند صاحبك: صوروني فـي جميع الأوضاع، بالعصابة السـوداء على عيني وبدونها. إني أعرفهم جميعا، أمثال بالوتان، ونيرسيا وموتون. سـأزيح السـتار عن أسرار لا مجال للشك فيها.

فيرونيك : بعد المقال الأول سـوف يرسلون إلينا البوليس. وإذا رفضنا تسليمك فسيكتبون في كل مكان أن شهادتك مخترعة.

جورج : أتظنين أنهم يجسـرون على القبض عليَّ بعد المقال الأول؟ إني أعرفهم جيدا. ثم ماذا؟ إذا ألحوا فلتعطهم عنواني. إنك تضايقني بشـهدائك: إذا كان لا بد من شهيد، فلماذا لا يكون أنا؟

فيرونيك : أنت ترى جيدا أنك تموت من الكبرياء.

جورج : نعم. (فترة) هل أنت موافقة على الحديث الصحافي؟ (تقبله) حافظي على مسافاتك. (يضحك) لقد ربحت في النهاية: سـوف تنشـر جريدتك التقدمية كلام المحتال. أما أنا، فلن يغير ذلك فيّ شيئا تقريبا: كنت



أملي على الوالد، وسـوف أملـي على الابنة (يدخل بودوان وشابوي من النافذة).

المشهد الثاني

جورج وفيرونيك وبودوان وشابوي.

شابوي : صباح الخير يانيكيتا!

بودوان : المفتش جويليه يبحث عنك.

شابوي : ولكن لا تخش شيئا: سوف نحميك.

فيرونيك : ضاع كل شيء.

جورج : مـن يدري؟ لقد اسـتعدت عبقريتي، ولعل نجمي لم يأفل.

بودوان : تعال معنا يانيكيتا. أنت في خطر.

شابوي : هذه الفتاة تتردد على الشيوعيين.

بودوان : ربما كلفوها بقتلك.

جورج : أنا جورج دي فاليرا المحتال، وأطلب تسليمي للمفتش جويليه.

شابوي : (لفيرونيك) يالنيكيتا المسكين!

بودوان : (لفيرونيك) أصدقاؤك الروس سجنوا أخيرا زوجته وأولاده الكبار.

شابوي : (لفيرونيك) لقد أفقده الألم صوابه وجعله يهذي. (يذهب بودوان إلى باب الدخول ويفتحه. يدخل ممرضان)



المشهد الثالث

السابقون وممرضان.

بودوان : (للممرضين) ها هو. ترفقا به.

شابوي : أنت في حاجة إلى الراحة يانيكيتا.

بودوان : سوف يقودك هذان السيدان إلى مستوصف جميل.

شابوي : له حديقة جميلة مشمسة.

جورج : (لفيرونيك) أرأيت ماذا وجدا؟ ذلك أشـــد مكرا من فيلا في الضواحي.

بودوان : (للممرضين) احملا السيد!

(يقترب الممرضان، وقد تركا الباب مفتوحا. يمسكان بجورج. يدخل جوبليه)

المشهد الرابع

السابقون وجوبليه.

جوبليه : طبعا أيها السادة والسيدات لم تروا رجلا طوله متر وثمانية وسبعون.

جورج : (بصـــوت جهـــوري) هنـــا ياجوبليه! أنا جـــورج دي فاليرا.

جوبليه : فاليرا!



جورج : أنا أعترف بمائة واثنتين جريمة احتيال! سوف تصبح مفتشا عاما قبل نهاية العام.

جوبليه : (مشدوها) يتقدم فاليرا!

بودوان : (يقف في طريقه) خطأ يا زميلي: إنه نيكراسوف!

جوبليه : (يتجنبه ويلقي بنفسه على جورج ويشده من ذراعه) هاك سنوات وأنا أبحث عنه!

شابوي : (يجـــذب جورج من ذراعه الأخـــرى) قلنا لك إن هذا مجنون يتوهم أنه فاليرا.

جوبليه : (يجذب ذراع جورج) اتركه! إنه ملكي، إنه حياتي، إنه رجلي، إنه غنيمتي!

شابوي : (يجذب) اتركه أنت.

جوبليه : أبدا!

بودوان : سوف نطرحك أرضا!

جوبليه : حاولوا إذن : ستكون لذلك ضجة!

جورج : تشجع ياجوبليه! أنا معك!

بودوان : (للممرضين) خذوهما معا، الاثنين!

(يلقي الممرضان أنفسهما على جورج وجوبليه)

فيرونيك : النجدة!

(يسد شـــابوي فمها بيده، فتحاول التخلص منه في عنـــف. وفي تلك اللحظة يدخل ديميدوف حانقا في جنون).

المشهد الخامس

السابقون وديميدوف.

ديميدوف : أين رفيقي المكافح؟

جورج : إليَّ يا ديميدوف!

ديميدوف : رفيقي، اللعنة! أعيدوا إليَّ رفيقي في الكفاح! أريد رفيقي في الكفاح!

بودوان : (لديميدوف) وما دخلك أنت؟

ديميدوف : ما دخلي أنا؟ خذ! (يضربه بقبضة يده فيطرحه أرضا. يهجم عليه الآخرون) يحيا الحزب البلشفيكي - البلشفيكي - لا تلن أيها الرفيق! يسقط رجال البوليس! (يلقي بأحد الممرضين على الأرض) آه! أكنتم تريدون تصديع البلشفيكي - البلشفيكي! (يطرح شابوي أرضا) آه ! كنتم تحاولون وقف الثورة الزاحفة! (يطرح جوبليه أرضا .. جورج وفيرونيك يتشاوران بالنظر، ثم يهربان من النافذة. يطرح ديميدوف الممرض الآخر أرضا، وينظر حوله ثم يخرج من الباب وهو يصيح). قاوم يا رفيقي في الكفاح، وأنا آتٍ إليك!

جوبليه (ينتصب وفي سوداوية وحزن) حقا لقد قلت إني لن أقبض عليه. (يسقط من جديد مغشيا عليه)

(ستار)



المنظر الثامن

الديكور : مكتب بالوتان. إنه الفجر. لم يسطع ضوء النهار. الأنوار مضاءة.

المشهد الأول

نيرسيا وشاريفيه وبيرجيرا وليرمينييه وجول.

نيرسيا يرتدي طرطورا من الورق، وبيرجيرا ينفخ في بوق، شاريفيه وليرمينييه جلسا في إعياء، وأشرطة من الورق الملون تلتف على أرديتهما السموكينج. جول يتمشى على حدة قليلا. يبدو عليهم جميعا الإرهاق، يحملون شارة «قتلي المستقبل»، وهي شارة كبيرة يستطيع المتفرج أن يقرأ عليها في حروف مذهبة: «ق. م». وفي أثناء المنظر يضاء المسرح قليلا قليلا. وتضيء الشمس، بوضوح، المكتب بعد رحيل جول.

شاريفيه : بي ألم في الجمجمة!

ليرمينييه : وأنا أيضا!

بيرجيرا : وأنا أيضا!

نيرسيا : كلا، ياشاريفيه، كلا! نحن ننتظر نيكراسوف، وسوف تنتظره معنا!

شاريفيه : نيكراسوف! إنه لايزال يركض!

نيرسيا : لقد وعدونا بإحضاره قبل الفجر.

شاريفيه : (مشيرا إلى النافذة) قبل الفجر؟ هاهو الفجر.

نيرسيا : بالضبط، كل شيء سينتهي بعد قليل.



شاريفيه : (وقد اقترب من النافذة. يتراجع في نفور) يااللفظاعة!

نيرسيا : ماذا حدث؟

شاريفيه : الفجر! لم أكن قد رأيته منذ خمس وعشرين سنة. لم يعد على عهدي به! (فترة)

نيرسيا : أصدقائي الأعزاء... (ينفخ بيرجيرا في المزمار) حبا في الله لا تنفخ يا بيرجيرا في هذا المزمار بعد الآن.

بيرجيرا : إنه نفير.

نيرسيا : (في صبر) وهو كذلك يا صديقي العزيز. أو تسعدني بإلقائه؟

بيرجيرا : (وكأنما أهين) ألقي بنفيري! (بعد تفكير) سألقي به إن أنت خلعت طرطورك.

نيرسيا : (مبهوتا) طر..؟ إنك ثمل ياعزيزي. (يرفع يده إلى رأسه فيلمس الطرطور) آه!... (يلقي الطرطور مقهورا ويرفع هامته) بعضا من الوقار أيها السادة! نحن في اجتماع. تخلصوا من هذه الأشرطة الورقية الملونة. (يضع بيرجيرا بوقه على المكتب. وينظف الباقون ملابسهم بالفرشاة) حسن. (جول الذي لم يتوقف عن السير، غارقا في أفكاره، يذهب إلى المكتب، يفتحه، يتناول منه زجاجة شراب وكأسا. يهم بملء الكأس ليشرب) آه! كلا ياصديقي العزيز! ليس أنت! كنت أظنك لن تشرب أبدا.



جول : إني أشرب لكي أنسى.

نيرسيا : لكي تنسى ماذا؟

جول : لكي أنسى أن تحت يدي أروع خبر في حياتي الصحافية وأنا ممنوع من نشره. «نيكراسوف كان فاليرا». هيه؟ أيروقك هذا؟ رجلان شهيران في واحد. إنه عنوان ضخم يساوي اثنين. إنه تهويل في الصحافة.

نيرسيا : أنت غافل عديم الإدراك يا صديقي.

جول : كنت أحلم. (يسير) أن نكون جريدة يسارية يوما واحدا! يوما واحدا فقط! أي عنوان ضخم! (يتوقف عن السير في حالة وجد وذهول) إني أراه: إنه يملأ الصفحة الأولى، ويمتد إلى الصفحة الثانية، ويجتاح الثالثة...

نيرسيا : كفى!

جول : حسن! حسن! (في ألم) بعد معركة تسوشيما، واجهت مشكلة ضمير مماثلة، واجهت مدير جريدة يابانية كبرى. فانتحر بالهاراكيري.

نيرسيا : لا تأسف لشيء يا صديقي. نيكراسوف هو نيكراسوف. لقد هرب منذ قليل، لأنه ظن أنه مطلوب اغتياله من الشيوعيين. (عيناه في عيني جول) هذه هي الحقيقة.

جول : (يتنهد) إنها أقل جمالا من الحلم. (طرق على الباب) ادخل.



المشهد الثاني

السابقون وبودوان وشابوي.

المفتشان يربطان رأسيهما بالضمادات. شابوي يعلق ذراعه في رابطة، وبودوان يستند إلى عصاتين.

الجميع : أخيرا.

نيرسيا : أين هو؟

بودوان : لقد فاجأناه عند سيبيلو...

شابوي : في حديث غرامي مع شيوعية...

جول : مع شيو... مثير! (يذهب ليتكلم في التليفون، فيوقفه نيرسيا).

نيرسيا : (للمفتشين) استمرا!

بودوان : كان يتأهب لبيع معلومات لجريدة «ليبراتير» libérateur.

شابوي : « كيف أصبحت نيكراسوف، بقلم جورج دي فاليرا».

جول : لجريدة ليبراتير؟

بيرجيرا : بقلم جورج دي فاليرا؟

شاريفيه : لقد تخلصنا من هذا المأزق الحرج بسلامة.

نيرسيا : طبعا ألقيتما القبض عليه؟

شابوي : طبعا!

الجميع : (ماعدا جول الذي يحلم) برافو! أيها السادة. برافو!

شاريفيه : اسجنوه في حصن!

ليرمينييه : رحلوه إلى جزيرة الشيطان!



بيرجيرا : ضعوا على وجهه قناعا من الحديد.

بودوان : المسألة أنه... (يتردد)

نيرسيا : تكلم، هيا تكلم!

شابوي : كنا قد أخضعناه حينما دخل علينا عشرون من الشيوعيين...

بودوان : ... وألقوا بأنفسهم علينا وضربونا ضربا مبرحا.

شابوي : (يريهم ضماداته) أترون جروحنا؟

نيرسيا : نعم، نعم.... ونيكراسوف؟

شابوي : لقد... هرب... معهم.

ليرمينييه : أيها الأغبياء!

شاريفيه : الحمقى!

بيرجيرا : البلهاء!

بودوان : (يريهم عكازيه) أيها السادة نحن ضحايا الواجب.

نيرسيا : لستما ضحايا بما يكفي، وأنا آسف لأنهم لم يحطموا ضلوعكما. سنرفع شكوانا إلى رئيس الحكومة!

بيرجيرا : ولجان بول دافيد.

نيرسيا : اخرجا! (يخرجان)

المشهد الثالث

السابقون، عدا بودوان وشابوي.

بيرجيرا : (يرفع شارته وينظر إليها في حزن) انتهى الأمر. (يلقي بها)



ليرمينييه	:	(الحركة نفسها) انتهى الأمر.
شاريفيه	:	(الحركة نفسها) سوف نموت في فراشنا! (صمت)
جول	:	(لنفسه في سوداوية) عنده حظ!
نيرسيا	:	من؟
جول	:	زميلي محرر جريدة «ليبراتير».
نيرسيا	:	(في عنف) كفى! (يتناول زجاجة وكأس جول ويلقيهما على الأرض. للثلاثة الآخرين) بعضا من الشجاعة أيها الأصدقاء الأعزاء! لنواجه المستقبل في صحو ووضوح.
بيرجيرا	:	لم يعد هناك مستقبل. غدا هو يوم الإعدام: سوف تنشر جريدة ليبراتير اعترافات فاليرا، وسوف يغتبط منافسونا جرائد المساء بنشرها في نصها الكامل، ويغرقوننا سخرية واستهزاءً.
شاريفيه	:	بشاعة يا صديقي العزيز! بشاعة!
ليرمينييه	:	وسوف يتهمنا الناس بأننا لعبنا لعبة الشيوعية!
بيرجيرا	:	لقد تحطمنا وانفضحنا.
شاريفيه	:	أريد أن أنام! أريد أن أنام!
		(يهم بالخروج فيستبقيه نيرسيا)
نيرسيا	:	ياللرغبة العارمة في ذهابك إلى الفراش. لا شيء يعجل بذهابك مادمت على ثقة من موتك فيه. (بيرجيرا ينفخ في البوق) وأنت ياعزيزي، للمرة الأخيرة دع هذا المزما.. النفير!
بيرجيرا	:	أنا لي الحق مع ذلك أن أجد عزائي في الموسيقى!



(ينظر إليه نيرسيا في احتجاج) حسن، حسن! (يلقي بالبوق)

نيرسيا : (للجميـع) لم نفقد شـيئا، ولكن لا بد مـن التأمل والتفكير، كيف ننقذ الجريدة؟ (صمت طويل)

جول : لو كنت أستطيع السماح لنفس...

نيرسيا : تكلم!

جول : لنسـبق جريدة ليبراتير، ولننشـر الخبر في عددنا هذا العصر.

نيرسيا : ماذا؟

جول : (يتلو عنوانه الضخم) فاليرا، أقوى من أرسين لوبين، يخدع فرنسا كلها.

نيرسيا : أرجوك أن تسكت.

جول : سوف نبيع ثلاثة ملايين نسخة.

الجميع : كفى! كفى! كفى!

جول : حسن! حسـن! (يتنهد) هذا هو حقا العذاب الأليم! (فترة)

نيرسيا : بعد تفكير وتأمل، آخذ اقتراح بالوتان، ولكني أكمله

جول : إن تصريحاتنا سوف تثير غضب القراء...

بيرجيرا : للأسف!

نيرسيا : فلنخفف من حدته بتضحية إنسانية. سوف نقول إن دهشـتنا كانت بالغة، وإننا خدعنا أنفسنا، وليحمل واحد منا على عاتقه كل الخطأ. سـوف نفضح على صفحـات الجريدة تهاونه الإجرامـي ونطرده طردا مهينا. (صمت)



شاريفيه	:	في من تفكر؟
نيرسيا	:	إن مجلس الإدارة ليس من اختصاصه نشر الأخبار في مفهومنا الصحافي. وليس واحد من أعضائه هو المتهم.
الجميع	:	برافو! (يصفقون)
جول	:	(يتوقف عن التصفيق) في هذه الحالة لا أرى... (يتوقف عن الكلام. ينظر إليه الجميع. يسير فتتابعه النظرات) لماذا تنظرون إليّ؟
نيرسيا	:	(يقترب منه) ياعزيزي بالوتان، تشجع!
بيرجيرا	:	هذه الجريدة، نحن نعتبرها ابنتك إلى حد ما.
شاريفيه	:	وليست هذه هي المرة الأولى التي يهب فيها والدٌ حياتَه في سبيل حياة ابنته.
جول	:	آه! آه! أتريدون أن... (فترة) موافق.
الجميع	:	برافو!
جول	:	موافق، ولكن هذا لن ينفع إلا قليلا: فمن أنا؟ موظف متواضع، يجهل الجمهور حتى اسمي. لكي تؤثروا في النفوس، نصيحتي الأولى أن تضحوا برئيسكم.
بيرجيرا	:	(مأخوذا) هيه!
ليرمينييه	:	هيه! هيه!
شاريفيه	:	بالوتان ليس على خطأ تماما.
نيرسيا	:	يا صديقي العزيز...
شاريفيه	:	آه! سوف تقوم بعمل جميل!
نيرسيا	:	وستحتل أنت مكاني في الرئاسة؟ آسف ولكن بالوتان



هو الذي قدم لنا فاليرا.

شاريفيه : نعم، ولكنك قبلت أقواله دون تمحيص.

نيرسيا : وأنت أيضا.

شاريفيه : لم أكن أرأس المجلس.

نيرسيا : ولا أنا، الرئيس كان موتون.

شاريفيه : (يتقدم نحو نيرسيا) كان موتون المسكين يشك في الأمر!

ليرمينييه : (يتقدم نحو نيرسيا) ليس خطأه إن كنا قد وقعنا في الفخ.

بيرجيرا : إنه أنت يانيرسيا، أنت الذي طردته بمؤامراتك. (نيرسيا في تراجعه يصطدم بالحقيبة).

شاريفيه : (صارخا) حذار!

نيرسيا : (يستدير على عقبيه) هيه؟

الجميع : الحقيبة!

(ينظرون إليها في رعب. ثم يستحوذ عليهم الغضب فجأة)

نيرسيا : (للحقيبة) سفالة! (يركل الحقيبة بقدمه).

بيرجيرا : (للحقيبة) سأملؤك أنا بالمسحوق المشع القاتل. (يركلها بقدمه)

شاريفيه : (مشيرا للحقيبة) إنها هي السبب في كل شيء!

ليرمينييه : إلى الموت! إلى الموت!

(يركلون الحقيبة. يدخل موتون، يتبعه سيبيلو).



المشهد الرابع

السابقون وموتون وسيبيلو.

موتون : برافو أيها السادة: تدربوا، فهذا ملائم لسنكم.

نيرسيا : موتون!

الجميع : موتون! موتون!

موتون : نعم يا أصدقائي، موتون رئيسكم القديم، الذي اعترف له الآن سيبيلو الرجل الشريف بكل شيء. ادخل ياسيبيلو، ولا تخف!

سيبيلو : (وهو يدخل) إني أطلب العفو من الجميع.

جول : أيها المخبول.

موتون : صمتا! يا عزيزي الشجاع سيبيلو، لا تعتذر، لقد أديت لنا خدمة جليلة لك أن تفخر بها. لو أننا أنقذنا الجريدة فسيكون ذلك بفضلك أنت.

شاريفيه : أنستطيع إنقاذها؟

موتون : لو كنت أشك في ذلك، أكنت حاضرا بينكم؟

بيرجيرا : ولديك الطريقة؟

موتون : نعم.

شاريفيه : (يتناول يده) لقد كنا مجرمين...

بيرجيرا : كيف ستعفو...؟

موتون : أنا لا أعفو أبدا: أنا أنسى حينما يعرف المرء كيف يجعلني أنسى. إن جريدة سوار آباري ثروة ثقافية، وإذا اختفت فسوف تفتقر فرنسا: هذا هو ما يدفعني إلى فرض الصمت على أحقادي وضغائني.



شاريفيه : ماذا تقترح؟

موتون : أنا لا أقترح شيئا، أنا أصر!

بيرجيرا : تصر؟

موتون : إصراري الأول. الذي لا يقبل الجدل أني رئيسكم.

نيرسيا : تسمح يا صديقي العزيز، لقد تم الانتخاب الدوري...

موتون : (للآخرين) لا تفكروا إلا في الجريدة. إذا كان نيرسيا يستطيع إنقاذها فأنا منسحب.

شاريفيه : نيرسيا؟ إنه عاجز.

نيرسيا : إني مصر على القول إن...

الجميع : (عدا جول وموتون) استقالة! استقالة!

(نيرسيا يهز كتفيه، وينسحب من الجماعة)

موتون : طلبي الثاني، لقد رفدتم سبعة محررين أبرياء، وأنا أنوي إعادتهم وتعويضهم.

ليرمينييه : طبعا، طبعا!

موتون : وها أنا ذا قد وصلت إلى لب الموضوع. أيها السادة منذ عام والجريدة تنزلق في منحدر سيىء: لم نكن نفكر إلا في زيادة التوزيع، وكان المحررون يندفعون في جنون بحثا عن الأخبار المثيرة، وكنا قد نسينا شعارنا الجميل الصارم: الحقيقة عارية تماما. (يشير إلى الإعلان الملصق على الحائط)

ليرمينييه : وا أسفاه!

موتون : من أين يأتي الضرر؟ آه، أيها السادة، ذلك أننا كنا قد



عهدنا بإدارة جريدتنا إلى مغامر، إلى رجل لا مبادئ له ولا أخلاق: أعني بالوتان.

جول : هــا نحن قد وصلنــا إلى قلب الموضــوع: لقد أردت دائما ضياعي!

موتون : أيها السادة عليكم أن تختاروا: هو أو أنا.

الجميع : أنت! أنت!

جول : لقد كنت قلب الجريدة، يحس بنبضي الجميع من كل الســطور. ماذا تفعلون أيها التعساء من دون نابليون الصحافة الموضوعية؟

موتون : ماذا فعلت فرنسا بعد «واترلو»؟ لقد عاشت ياسيدي. وسنعيش نحن.

جول : بــلاء! خــذوا حذركم! (مشــيرا إلى موتــون) هاك لويس الثامن عشــر. هاك عهد عودة الملكية. أما أنا فسأرحل إلى جزيرة ســانت هيلين. ولكن فلتحذروا ثورات يوليو!

موتون : اخرج!

جول : بسرور! اركدوا أيها السادة! اركدوا! منذ هذا الصباح انتقلت الناحية الإخبارية في الصحافة إلى اليسار! إلى اليسار أيتها الأخبار اليومية المثيرة! إلى اليسار أيتها الرجفة الجديدة! وبما أنها في اليسار فسألحق بها. سأنشد جريدة تقدميه تحطمكم!

سيبيلو : سيدي! ســيدي! إني أسألك المغفرة: كانت الأكاذيب تخنقني، وأنا...

جول : إلى الوراء، يا يهوذا! فلتشنق نفسك! (يخرج)



المشهد الخامس

الجميع، عدا جول.

موتون : لا تأسفوا على شيء. إنها عملية تطهير عامة. (مشيرا إلى النافذة) انظروا: بالوتان يتركنا والشـمس تشرق. سنقول الحقيقة أيها السادة، سنصرخ بها فوق الأسطح. أي مهنة جميلة، مهنتنا! جريدتنا والشمس لهما الرسالة نفسـها: تنير الرجال. (يقترب منها) أقسموا على قول الحقيقة. كل الحقيقة. الحقيقة الواحدة.

الجميع : أقسم على ذلك.

موتون : اقتـرب يا سـيبيلو. لهذا الرجل العظيم الشـريف، لمنقذنا، أطلب منكم أن تعهدوا إليه بإدارة الجريدة.

سيبيلو : لي أنا؟ (تخور قواه)

موتون : هاك خطتي. لقد اتصلت بالوزير تليفونيا منذ قليل، طبعا ترك ملاحقته ديفال ومايسـتر، فالنتيجة غير مؤكدة.

شاريفيه : لا بد أنه هائج.

موتون : كان كذلك، ولكنـي هدأته واتفقنا على تدابير نتخذها معا. غدا في الفجر سـوف يتجمع ثلاثة آلاف شخص أمام السـفارة السـوفييتية. وفي السـاعة العاشـرة سـيصبحون ثلاثين ألفا. وسوف يتضاعف عدد رجال البوليس ثلاث مرات، وسيحطم المتظاهرون سبع عشرة نافـذة زجاجية. وفي الثالثة بعد الظهر سـوف يتقدم أحد نواب الأغلبية مطالبا البرلمان بتفتيش السفارة.

شاريفيه : ألا تخشى أن حادثة دبلوماسية...



موتون : أنا أرجو ذلك..

شاريفيه : إننا نخاطر بوقوع صراع.

موتون : أوه، أليس للاتحاد السوفييتي وفرنسا حدود مشتركة.

نيرسيا : وما الداعي لهذا كله؟ ولماذا هذه الضجة؟

موتون : لكي نغطي مقدما الضجة التي سوف تحدثها جريدة ليبراتير، لأننا نحن أيها الأصدقاء الأعزاء، الذين سوف نقود المعركة. الفوران الشعبي والمظاهرات المعادية للاتحاد السوفييتي سوف يثيرها عدد اليوم من جريدتنا. (يهز سيبيلو) سيبيلو!

سيبيلو : (يعود إلى رشده) هيه؟

موتون : إلى العمل ياصديقي. لا بد من إعادة ترتيب الصفحة الأولى. ضع لي أولا في عنوان ضخم «جورج دي فاليرا يبيع نفسه للشيوعيين»، وليحتل المانشيت الكبير نصف الصفحة «السوفييتيون يختطفون نيكراسوف في أثناء حفل استقبال عند مدام بونومي»، وتختم بهذا العنوان «بعد أن أمضى المسكين اثنتي عشرة ساعة في كهوف السفارة أرسل فيما يبدو إلى موسكو في حقيبة كبيرة».

سيبيلو : نعم يا سيدي الرئيس.

موتون : خذ ستة أعمدة وطور الموضوع على هواك.

شاريفيه : وهل يصدقوننا؟

موتون : كلا، ولكنهم لن يصدقوا أيضا ليبراتير: هذا هو المهم. (لسيبيلو) بالمناسبة يا صديقي، وجد البوليس قائمة إضافية في أوراق نيكراسوف...

شاريفيه : قائمة لـ....



موتون : لقتلى المستقبل طبعا. (لسيبيلو) سوف تنشر الأسماء الرئيسية في الصفحة الأولى: جيلبير بيكو، جورج ديهامل وموتون رئيسك. (ينحني ويلتقط شارة من شارات قتلى المستقبل ويعلقها على صدره)

شاريفيه : هل أستطيع أن أنام؟

موتون : طبعا يا صديقي العزيز: أنا سهران. (يدفع زملاءه إلى الباب، فيبدي نيرسيا بعض المقاومة) وأنت أيضا يا نيرسيا، أنت أيضا: حينما يكون رأسك على الوسادة، أنا على ثقة بأنك لا ترتكب الحماقات. (يستدير موتون وهو عند عتبة الباب، نحو سيبيلو) إذا احتجت إليّ يا سيبيلو فأنا في مكتبي.

(يخرجون)

المشهد السادس

سيبيلو بمفرده، ثم تافرنييه وبيريجور.

ينهض سيبيلو ويسير أولا في بطء، ثم قليلا قليلا في سرعة. وفي النهاية يخلع سترته ويلقيها بعيدا على مقعد فوتيه، ثم يفتح الباب وينادي.

سيبيلو : تافرنييه، وبيريجور، اجتماع الصفحة الأولى!

(يدخل تافرنييه وبيريجور جريا جريا، يريان سيبيلو فيقفان مبهوتين. ينظر سيبيلو في عيونهما)

في هذه الحالة يا أطفالي، هل تحبونني؟

(ستار)



نيكراسوف.. رؤية تحليلية

بقلم: د. سيد الإمام

١ - مدخل عام: ميلاد جديد للبطل

لن أحاول، في التعرض لدراما نيكراسوف التي كتبها سارتر خلال عام ١٩٥٥، وظهرت في ١٩٥٦، أن أقدم تفسيرا أو تأويلا لأحداثها وشخصياتها، لكن قراءة تحليلية تتبع الشخصية الرئيسية، وتدمج البناء فيما سبق أن بينت في المقدمة من صيغة فنية اعتمدها سارتر بتنويعاتها الممكنة في مختلف أعماله الدرامية، من حيث هي الصيغة ذات الطابع الأرسطي. إن هذه الدراما - كما يتضح من تاريخ إنتاجها - تنتمي إلى المرحلة الثانية من أعمال سارتر، وتسبق مباشرة «سجناء الطونا» (١٩٥٩) التي تعد آخر هذه الأعمال، ومن ثم فالبعد الاجتماعي يتكشف فيها بوضوح في مستويين، أولهما: مستوى بناء الشخصيات الواعية بماضيها وما اكتنفه من تجارب وما تولد عنها من معرفة متواترة بالأنا والآخر، وإن لم تؤد - على نحو ما كان يخشى سارتر في أعمال المرحلة الأولى - إلى تشيؤ الوعي، فتفقده قدرته على تجاوز نفسه في صميم تطلعه للمستقبل، وثانيهما: مستوى الموقف الابتدائي وتطوره، وما يبنيه من علاقات عمل رأسمالية وما تطرحه من بنية أفكار مراوغة، محتويا في الوقت نفسه أبعاد السياق التاريخي/ السياسي الذي تتفاعل معه الشخصيات وتمتزج به مما يغني عن افتراضه من خارجه، وهو سياق الصراع بين الكتلتين الأيديولوجيتين، متخذا مجاله الذي يتكشف فيه، من إحدى الصحف اليمينية وعلاقتها بالشيوعية من جانب وعلاقتها الملتبسة بالنظام الحاكم من جانب آخر.

والواقع أن هذا السياق التاريخي الذي يغلب على الفضاء الدرامي في مجموعه، يجعل المنظر الأول من بين المناظر الثمانية التي يتكشف فيها، يبدو - في تقديري على الأقل - منظرا مجانيا زائدا على الحاجة، شأنه شأن مشهد عمدة ترافادجا ومترجمه في المنظر الثاني، إذ يمكن الاستغناء



عنهما، ووضـــع دلالتيهما فيما تضمنته المناظـــر التالية، فالمنظر الأول لا يعـــدو أن يكون تمهيدا لجرعة الحياة الاســـتثنائية التي يعيشـــها جورج دي فاليـــرا، بصفته نصابا مطـــاردا كان قد قرر طواعية الانتحار غرقا، حتى لا يقع في قبضة الشرطة فتزج به إلى السجن، ولكن أنقذه متشردان على غير ما تدبر أمر انتحاره.

غير أن المنظر الأول، من ناحية أخرى، لا يخلو من مغزى - في حد ذاته - علـــى إيجاد صيغة درامية لعرضيـــة الوجود في الحياة التي طالما لهجت بها الفلسفة الوجودية، بما تنطوي عليه من تجريد وإطلاق للوضع البشري، فجورج الذي يوشـــك أن يقتحم به ســـارتر التناقضـــات الأيديولوجية بين صحف اليمين واليسار السياسيين، كاشفا ما في الممارسة من زيف وادعاء واختـــلاق وترصد للفرص المواتية وغيـــر المواتية، ولا تخلو من هزل تحت شـــعارات الجدية والالتزام بمبادئ الديموقراطية، يبدو وكأنه في حاجة إلى ميـــلاد جديد يقطع صلته بعمليات النصب التقليدية التي طالما اندفع إليها بـــذكاء وألمعية ودقة في التدبير والتنفيذ، ممـــا أدى إلى وصفه بالعبقرية، حتى من جوبليه مفتش الشـــرطة المكلف بمطاردته والقبض عليه، فيأســـه هذا التقدير نفســـه مـــن إمكان فلاحه في أن ينجز مهمتـــه. وهذه الحاجة إلى الميلاد الجديد ما دفعت ســـارتر - ربما - إلى التماس مبررات المنظر الأول، ليتمتع جورج بعرضية الوجود وجرعة الحياة الاستثنائية التي جاءته على غير رغبة منه، ولم يشـــأ - في الوقت نفســـه - أن يفرط فيها، أو في وعيه بما تنطوي عليه حياة البشـــر من شـــر في صراع البقاء، أو مسؤوليته عن أفعاله من دون أن يدين بها لأحد كائنا من كان.

وهو في هذا السياق، يوبخ المتشردين اللذين أنقذاه، ومدا له حبلا يتعلق به من الغرق، بوصفهما مغفلين ظنا نفســـيهما «العناية الإلهية»، وسقطا إلى الحضيـــض فلم يحترما رغبته الأخيرة فتعديا عليها، واســـتغلا - على غير انتظـــار منه - ضعف طبيعته البشـــرية المؤقت الذي دفعه إلى العوم لحظة بعد أن ألقى بنفسه في نهر السين، إنه لا يرى فيما فعلاه ميلا للخير، فكل الناس يفكرون في الشـــر، ولو أنهما كانا يعرفان أن في ســـترته التي خلعها



على الجسـر ثلاثة آلاف فرنـك - وربما كان يدعي ذلك ليكشف حقيقة زعمهما - لما أنقذاه، فيقول للمتشـرد الذي شـعر بالأسـف على السترة: ضاعت منك رغم أنفك، ولسـوف أحملهـا معي إلى الموت. هل فهمت أيها الأبله. وفي السياق نفسه، يأبى أن يدين بحياته لهذا المتشرد، أو يشعر بأنه أسدى إليه خدمة، فيؤكد أن حياته له «لا أدين بها لمخلوق، ولا حتى لوالدي اللذين كانا ضحية خطأ في الحسـاب. من الذي أطعمني ورباني؟ من الذي واسـى أحزاني الأولى؟ من الذي حماني من أخطار العالم؟ أنا وحدي، إني أدين بكل شيء لنفسي وحدها. أنا صنيع أعمالي»[1].

وأعمـال جـورج لم تكـن انقضاضا علـى الأطفال الشـهداء والفتيات المخدوعات والآباء العاطلين ممن ضاقت بهم الحياة واستسـلموا للانتحار - كما يفعل المتشردان - لكنه كان يذهب إلى الأغنياء في بيوتهم، في عظمة سـطوتهم، ويبيع لهم - فيما يقول - الهـواء، فالحياة لا تعدو أن تكون لعبة «بوكر». وبتأثير هذا الفكر الذي ينضح بالفلسفة الوجودية، يشك جورج في إمكان تكرار محاولة انتحاره، لأنه - وإن فتش في نفسه ووجد دواعيه التي يستنكر أن يمنح الشريدان أنفسهما حق مساءلته عنها - قد لا يعود يائسا على نحو كاف، ولذا يقاوم هذين الشـريدين حيـن راحا يدفعانه إلى النهر حتى لا تأخذهما الشـرطة التي لاح مقدمها، بتهمة مشـاركته في جرائمه، بل ويقنعهما - على نحو لا يخلو من هزلية تسود المشهد كله - بأن يتسترا عليه ويمنحاه شيئا من ثيابهما ويدعيا أنه ابنهما الوحيد الذي ينبغي عليهما أن يحميـاه، لا أن يدفعاه إلى الغرق أو بين يدي الشـرطة، فيقول لهما: أنا طفلكما، وقد قلت أنت ذلك منذ لحظة (يدفعهما عنه فيوقعهما أرضا)، لي حقوق عليكمـا أيها القاتلان، عليكما أن تحميا الابـن الذي دفعتما به إلى العالم على غير رغبة منه[2].

وعلـى هذا النحـو يولد جورج دي فاليـرا ولادته الثانيـة التي حكمتها مصادفـة إنقاذه من الانتحار على يدي المتشـرد وزوجتـه، على غير رغبة

(١) سارتر، جان بول - نيكراسوف - المشهد الثاني من المنظر الأول.

(٢) سارتر، جان بول - نيكراسوف - المشهد الثاني من المنظر الأول.

منـــه، ولا رغبة منهما، لو أنهما كانا يعلمـــان ما في جيوبه من ثروة لم يكونا يحلمان بها. ولد ابنا لهذين الشريدين أنفسهما، وكأنهما تكرار عجيب لأبويه الأولين اللذين جاءا به لمجرد خطأ في حسابيهما، وتدثر في بعض ثيابهما المقـــززة بقذارتها وما فيها مـــن قمل، وأعيد قذفه في عالـــم يطارده بكل ما ينطوي عليه من قســـوة وشـــر وأنانية، كحالة فزع في مســـرح شـــب فيه الحريـــق وكل امرئ يلتمس فيه باب الخروج ولـــو داس فوق وجوه الآخرين. وفي هذا العالم لا يملك جورج غير أســـمال بالية قذرة اقترضها من هذين الأبوين بالمصادفـــة، وذكائه الحاد، الذي دعاه إلـــى تمثيل دور الابن الأبله أمام الشـــرطة، ودعاه مرة أخرى إلى تحين فرصة انشغال المفتش بمحادثة الشـــريدين، فيلوذ بالفرار غير مبال بمصيرهمـــا، إلا أنهما - وقد أدركا أن القبض عليهما وشيك - ألقيا بنفسيهما في النهر، فتخفف بالتبعية مما قد يثقله نحوهما من واجب.

٢ - الموقف الابتدائي وشروطه الموضوعية

لم يكن ســـارتر من الناحية الفنية، في حاجة حقيقية إلى كتابة المنظر الأول بمشـــاهده الثلاثة، لاســـيما أنه اعتاد أن يقذف أبطاله مباشرة في المواقف التي يتعين عليهم أن يتفاعلوا معها ويلتمسوا لأنفسهم مبرر وجودهم فيها، ولكنه - ربما - وجد في المنظر جملة تنفيســـا عن بقايا الفلســـفة الوجودية القابعة في رأسه، مضفرة بخيط من حياة المهمشين الذين يجرفهم المجتمع الرأسمالي إلى البغاء مثل ليزا في «المومس الفاضلة» أو إلى الحياة - مثل المشردين هنا - على فتات المنتحرين ممن دفعهم إلى اليأس المجتمع نفسه، أو حياة الاحتيال والنصب مثل جورج دي فاليرا. وعلـــى أي حال فالفضاء الدرامي يبدأ فعليا في المنظر الثاني الذي يجســـد الموقف الابتدائي بكل شروطه الموضوعية، كما تبدت في الظروف التي تمر بها جريدة «ســـوار آباري» (أو مساء في باريس) اليمينية، سواء بوضعها المالـــي أو بالســـياق التاريخي للحرب الباردة بين الكتلتيـــن الأيديولوجيتين، مما تمخض عـــن الاحتياج، وتبلور الفعل الذي دمج قوى الصـــراع معا، بما هما عالم جـــورج دي فاليرا الأفاق المطارد، وعالم الجريدة الحليفة للحكومة والمعادية في الوقت نفسه للشيوعية.



ففي مكتب جول بالوتان مدير تحرير الجريدة يتكشف منذ الوهلة الأولى، جو من التوتر يتعرض فيه جول لمثلث من الضغوط تمتزج فيها علاقات العمل الرأسمالية بالأبعاد السياسية متعددة المستويات فمن ناحية يشعر جول بأن رئيس مجلس الإدارة الذي عقد المجلس من دون أن يدعوه، يتحين الفرصة للإطاحة به من مقعده. ومن ناحية ثانية يشكو إليه سيبيلو المحرر المسؤول عن صفحة محاربة الدعاية الشيوعية، ما يبذله من جهد في اختراع الحيل والتكتيك لملء صفحته على نحو لا يخلو من خصوبة خيال، بينما مرتبه ضئيل قياسا بما يثقل كاهله من التزامات نحو نفسه ونحو زوجة مريضة في مستشفى منذ خمس سنوات، وابنته الوحيدة التي لا توافقه دائما على عمله وأفكاره، وتعمل في صحيفة تقدمية، ليست غنية وتعينه بقدر ما تستطيع. غير أن جول لا يبالي بهذه الشكوى، ويسأل سيبيلو أن يبالغ في مرتبه كيف شاء ليستر خجله منه أمام الآخرين، ويكاد يدعوه إلى الاحتذاء بمن يعملون مثل عمله، ولكن إيمانا به، وحبا في منازلة الأوغاد الذين يودون تعطيل الإخاء بين الطبقات، ومنع البرجوازية من أن تضم إليها الطبقة العاملة التي تكملها، وفي الوقت الذي يعد فيه سيبيلو بدراسة حالته، يطلب من السكرتيرة أن تمنعه من دخول مكتبه. ومن ناحية ثالثة، تتبدى الجريدة - في لقاء جول مع المحررين بيريجور وتافرنييه - وقد افتقرت إلى الأخبار المثيرة التي تمدها بالعناوين الساخنة، فلا جديد - في سياق الحرب الباردة - سواء من الحكومة في واشنطون، أو في موسكو، حتى بدا الوضع مفزعا بما فيه من ابتعاد شبح الحرب أو صمت محير بين الجانبين، الأمر الذي يهدد بتقليص عدد القراء الذين لن يجدوا ما يثيرهم لشراء الجريدة، وبالتالي تضاؤل حجم توزيعها وإحجام المساهمين فيها عن دعمها.

غير أن انحصار جول بين مصادر الضغوط الثلاثة وإمكانات تطورها، لا يلبث أن يخف مؤقتا على طريقة مشاهد الترويح comic relief الشكسبيرية، بمشهد عمدة ترافادجا ومترجمه، الذي لا يفيد بكل ما انطوى عليه من هزل ومفارقات لغوية، إلا في التهكم على جول وجهله بالجغرافيا والتاريخ وأفكاره التافهة التي لا تخلو من زيف، ولهفته على نشر صوره في



الصفحة الأولى، وهو يسلم العمدة شيك التبرعات التي جمعتها الجريدة إنقاذا لقريته الصغيرة من آثار الكارثة الطبيعية التي أحدقت بها، أو في يوم الإحسان الأسبوعي الذي يزمع الدعوة إليه، على أن يكون لضحايا الكوارث لا للمشردين الذين يهينون «الحب» في قصصهم البائسة عن الظلم الاجتماعي!! في إشارة واضحة إلى علاقات العمل في النظام الرأسمالي، التي لا تبالي بالتناقضات الاجتماعية الواضحة التي تنتجها بنفسها، بينما تستغرق في تطهير ثوبها بالإحسان الذي تغدقه – وسط الدعاية الملتبسة – على ضحايا كوارث الطبيعة.

وعلى أي حال فالضغوط التي يتعرض لها جول تطورت بالامتداد إلى ثلاثة أحداث متزامنة في الواقع المعيش، على نحو يشكل الشروط الموضوعية في الموقف، على خلفية الظرف الذي تعيشه الجريدة، أولها خبر هرب المحتال جورج دي فاليرا الملقب بعبقري العصر، وثانيها اختفاء نيكراسوف وزير الداخلية السوفييتي الذي لا يعرف عنه شيء منذ حضر حفلة أوبرا منذ أسبوع، والتزمت حياله وكالة تاس السوفييتية الصمت. وثالث هذه الأحداث المعركة الانتخابية التي يذكرها موتون رئيس مجلس الإدارة، في زفة خبر اتفاقه مع وزير الداخلية على إيثار الجريدة بإعلانات العمل، الأمر الذي يزيد دخلها وفرص مضاعفة صفحاتها وتطويرها للمنافسة في سوق الصحافة. ويبدو بوضوح نوع من الربط بين المعركة الانتخابية واتفاق الإعلانات، ففي مدينة سين مارن ستجرى انتخابات جزئية قرر الشيوعيون أن يخوضوها لاختبار قوتهم السياسية، ووزارة الداخلية تود أن تنجح مدام بونومي المرشحة اليمينية التي تدعو إلى الإخاء وحماية السلام بإعادة تسليح ألمانيا، وتخشى وقوع الكارثة بإعادة الانتخابات بينها وبين بيردربير المرشح الراديكالي الذي على رغم معاداته للسياسة السوفييتية، يعارض تسليح الألمان، ربما لأنهم اجتاحوا ضيعته إبان الحرب، ولذا فالوزارة من ناحية ثالثة تريد أن تكون الجريدة رأس الحربة التي تدفع بيردربير إلى التنازل عن الاستمرار في معركته، لاسيما أنها واسعة الانتشار بين جماهير المدينة التي تشهد المعركة.



وبغض النظر عن التفاصيل الجزئية التي تتعلق بالنقد الذي يوجهه موتون على لسانه أو لسان وزير الداخلية، للجريدة وأسلوبها في تغطية بعض الأحداث والوقائع السياسـية الأخيرة، مما يعد تهكما على أساليب الدعاية الرخيصة ضد الشـيوعية والسـوفييت، على رغم المماحكة فـي الموضوعية المهنية ومبـادئ الديموقراطية، فإن المهمة التـي تلقى على عاتق جول تتلخص في ضرورة البحث عن أفكار صحافية جديدة وفعالة، تقض مضاجع المواطنين فزعا من السوفييت والشيوعية، وتحفظ الاتفاق الذي عقده موتون مع وزارة الداخلية وتحقق بالتبعية أهدافه، وإلا فإن مركزه في الجريدة مهدد. ولا غرو أن هذه المهمة بما اكتنفها من تهديد واضح، خصوصا مع الانتقادات المهنية الصريحة التي وجهت إلى جول، تعد - على مستوى الصيغة التقليدية للبناء الفنـي - الحدث الحافز ونقطة الهجوم التي ينطلق منها الفعل الدرامي، بما يربط مختلف الخيوط التي بـدت متناثرة، بدءا من هروب الأفاق جورج دي فاليرا، إلى اختفاء نيكراسـوف وزير الداخلية السوفييتي، إلى حتمية البحث عـن أفكار دعائية مبتكرة تنقذ الجريدة مـن الركود في ظل أوضاع الحرب الباردة، دون أن تجاوزها بطبيعة الحال.

٣ - نقطة الهجوم.. وبداية التعقيدات

يميل «سـارتر» في هذه المسرحية - كعادته في أعمال أخرى - إلى أن يضفي بالمصادفة طابعا أسـطوريا على الموقف الابتدائي، ليدمجه ضمن تنويعة المواقف الاستثنائية، التي يفجر من خلالها رؤيته لعالمه، وهي رؤية على غير ما يتصور كثيرون تجنح بالتبعية إلى نوع من الكوميديا التي تفرط فـي الهزل غالبا. والواقـع أن المصادفة وحدها هي التـي يمكن أن تربط بين الخيـوط الثلاثة، التي تبدت في جريدة «سـوار آباري»: هروب الأفاق جورج، واختفاء وزير الداخلية الروسـي نيكراسـوف، والاحتياج إلى أفكار صحافية مبتكرة تنقـذ الجريدة من الركود، وتحقق أغراض وزارة الداخلية في الانتخابات.



فجول الذي كاد يضحي بسيبيلو المحرر المسؤول عن الصفحة الخامسة المخصصة لمهاجمة الشيوعية والشيوعيين، لا يلبث أن يدعوه، ويتخذ منه الموقف نفسه الذي اتخذه موتون حياله، فإما أن يقدح زناد فكره ومخيلته طوال الليل، وحتى صبيحة اليوم التالي، بحثا عن الأفكار الجديدة التي طلبت منه، وإما أن يعتبر نفسه مرفوتا، وليبدأ حياته حيث شاء من جديد، غير مأسوف عليه وعلى خدمة الجريدة، أو زوجته المريضة في المستشفى بين الحياة والموت، فماذا عساه سيبيلو يفعل وقريحته تكاد تجدب وما تفرزه من أفكار أفرزتها من قبل وطالما وجدت الرفض لها والتهكم عليها؟

ومن ناحية أخرى فإن جورج دي فاليرا في المنظر الثالث تلقي به المصادفة في أثناء المطاردة، إلى بيت سيبيلو، ليجد نفسه متراوحا بين صحافة اليسار الشيوعي ممثلة في ابنته فيرونيك، وصحافة اليمين ممثلة في سيبيلو ذاته، لكنه لا يستطيع أن يتفهم عقلية فيرونيك ولا موقفها منه، تلك العقلية التي بدت متعاطفة معه، ولم تجد مبررا للصراخ في وجهه، أو استدعاء البوليس، فهي تكرهه وطالما أهينت منه في المظاهرات بالضرب والسجن، فضلا عن أنها امرأة ولا يمكنه أن يثق في النساء. وعلى الرغم من ذلك فقد حمته فيرونيك، وأنكرت أنه دخل البيت ورأته، حينما دق بابها المفتش وسألها عنه مدليا بمواصفاته، بل وقدمت له طعاما وبذلة من ثياب أبيها بديلا للأسمال البالية التي اقترضها من المتشردين، وحذرته من أن أباها قد يتصرف على نحو آخر - لو أصبح مكانها - فيتحين الفرصة لتبليغ الشرطة. غير أن جورج يبدو شغوفا - على غير ما توقعت فيرونيك - بلقاء أبيها، ولم يفكر في فرار آمن أتاحته له. فسيبيلو - على الأقل - رجل يمكنه أن يتعامل معه، وله عقل مفهوم ومألوف طالما عامل أمثاله، فاجتاز عقباته وجاس في دروبه. إنه العقل الذي يستعيد في مواجهته «النظام السائد والحاكم»، بنسق أفكار وأوضاع طالما استطاع أن يشتبك معها، ويحتال عليها، ويبيع لها في أوج سطوتها الهواء، وهو هواء تريده وتود أن تتنفسه، بلا تمييز بين الطيب منه والخبيث، الحقيقي والزائف، فترى الأحلام التي تتطلع إليها وتتفجر منها وتنبثق عنها، تغشي العيون.

وفي هذا السياق يتعقد خط الحياة الاستثنائية التي حصل عليها جورج، وأمدته فيرونيك بحمايتها له، حين يلتقي سيبيلو، مثلما تتعقد حياة سيبيلو



نفســه، فقد قرر جورج أن يشتبك بما يقض مضجعه، ويقنعه بأنه هو نفسه الفكــرة الصحافية البراقــة التي يبحث عنها، فتديم عملــه بالجريدة وتدر عليــه مــا لا يحلم به مــن أموال، فما عليــه إلا أن يقدمه للمســؤولين عن الجريدة بصفته نيكراســوف وزير الداخلية الروســي الذي هرب من بلاده وفي جعبته أسرار الكرملين وأجهزة مخابراته بقوائم أعوانها المنتشرين في أنحاء العالم، وما أعده من خطط في صراعه مع الغرب، أي أنه الرجل الذي تحت يديه البضاعة المأمولة. وقد يستطيع سيبيلو أن يتردد، بإزاء الصفقة التي يعرضها عليه جورج بوصفها عملية نصب، ولكنه أيضا لا يســتطيع أن يرفضها أو ينكر ما تشــعه من بريق، وما تشــكله بالتبعية من مخرج له من المأزق الذي ألقاه فيه مدير التحرير (جول). وربما أجهزت الشرطة نفسها على شيء من تردد سيبيلو حين أكد المفتش جوبليه وصف جورج بالعبقري، فما لبث أن اســتعان جورج بالوصف نفســه والموقف برمته، ليسدد طعنة نجلاء لتردد سيبيلو، مدعما في الوقت نفسه مزايا الصفقة له.

٤ - المفارقة في مراحل التصعيد

ويبدو المنظر الرابع بالغ الأهمية في مراحل التعقيد، وفي كشف جوانب المفارقة معا، ويتعمد ســارتر أن يحشده من اللحظة الأولى بأسباب التوتر. ففي مكتب جول مرة أخرى، يشيع قلق انتظار سيبيلو، ومتابعته بغير جدوى بالتليفون، بينما ينعقد مجلس إدارة الجريدة الذي يلح بدوره على دعوة جول كــي يضع علــى طاولة الاجتماع ما توصل إليه من أفــكار، ومن ناحية ثالثة تتصل وزارة الداخلية مستفســرة عن آخر التطورات في الشــأن نفسه، فلا يملك جول هنا وهناك إلا إرجاء المواجهة طالبا من سكرتيرته ادعاء أنه يعد مفاجأة. وربما أقنع جورج - بخبرته العميقة وذكائه الحاد - سيبيلو بالتأخير عن الموعد الذي حدده جول، لتبدو حالة الترقب والانتظار وما تحتشــد به من حيل هزلية لمغالبة القلق، مصنوعة عمدا، فتزيد اللهفة والاحتياج إليه، مما قد يغشي العيون - ولو قليلا وبالقدر المناسب معا - عما سيقدمه لهم متوافقا، في الوقت نفســه، مع ما يتطلعون إليه. وبصــرف النظر عن تفصيلات



المشـاهد، فجـورج يفلح في القضاء علـى الثغرات الدقيقة التـي يقع فيها سـيبيلو، نتيجة ما تبقى فيه من تردد، ويقنع جول بأنه نيكراسوف الذي يمتلك في جعبته من أسـرار الحقائب المفخخة بالمواد المشعة والمنتشرة مع عملاء الروس، ما يكفي لرغبة الناس سـنوات طوالا، ومن الفضائح السـاخنة للنظام الروسـي، ما يملأ صفحات الجريدة، ويزيد الإقبال عليها، ومن قائمة العملاء مع السـوفييت ما يتسـع لبيردرييـر المنافس الراديكالي لمـدام بونومي في الانتخابـات التي تعنـي وزارة الداخلية، مما تكفي الإشـارة إليه حتى يضطر بيردرييـر إلى التنازل عن ترشـيحه. والواقع أن جـورج لا يكتفي بكل أولئك، ولكن ما أن يشـتم في موتون شـكا في الهوية التي يقدم نفسـه بها وصادفت تلهفا عليها، حتى يقرر الزج باسـمه في قائمة المتعاونين مع السوفييت، فيبلغ الهـزل مداه فـي اجتماع مجلـس الإدارة على التخلص مـن «موتون» وإغفال تاريخـه بينهـم، والاندفاع لإبداله بغيره، بل يتورط في الإدلاء بأسـماء لا يود قط إيذاءها باعتبارهم من عملاء السـوفييت المندسـين فـي الجريدة، مثل المدام كاسـتانييه ضاربة الآلة الكاتبة، وإن أفلح في إرجاء التخلص منهم، كما أفلح في مضاعفة مرتب سـيبيلو لسبعة أمثاله، بصفته الصحافي الذي اختاره ليملـيعليـه مذكراتـه.

ويبـدو جـورج وكأنه يمتلك أزمـة الموقف جميعا بين يديـه، محذرا تارة، ومهـددا أخرى، وممليا ما يراه من شـروط ثالثـة، مقررا في وضوح وصراحة أنه يحتقرهم جميعا باعتبارهم خدام الرأسـمالية القذرة، وأنه لم يزل شيوعيا نقيـا غادر وطنه لأن سـادة الكرملين يخونون المبادئ، وغايتـه تنقية الحركة الثوريـة وتطهيرهـا، مما يزيدهـم احتراما له وتقديرا في الوقت نفسـه، لما يبيعهم مما يتصورونه أسرارا خطيرة. غير أن جورج من ناحية أخرى، لايدرك أنـه على الرغم من ذلك سـقط بين أيديهم، مثلما سـقطوا بيـن يديه، وأنهم يسـتطيعون تحميـل ضميره فوق مـا يطيق، ويخترقوا ما تصـور أنها خطوط حمراء تحكم علاقتهم به، وضعها بنفسـه، فلا ينشـرون إلا ما يقول بدقة، ولا يفعلون إلا ما يسـمح لهم به.



٥ – الذروة الدرامية وكشف المفارقة

لا شــك في أن أبسط تعريف للذروة في البناء التقليدي للعمل الدرامي، يقــرن بين المفارقة والفعل، فهي أقصى ما يمكن أن تتخذه الشــخصية من قــرارات، في ضوء المفارقة التي تحكم موقفها في مســار الفعل. والمنظر الخامس يجســد الذروة الدرامية في فضاء نيكراســوف بالمفهوم نفســه. فجورج في هذا المنظر أصبح يعيش على حســاب الجريدة في فندق فخم، تحيط به الحراســة ويلبي له الخدم أتفه أوامــره، ويتلقى الهدايا وبرقيات التحية والتعضيد من الكونجرس الأمريكي، ومن مكارثي السناتور الذي شن الحملة المناهضة للشيوعية – آنذاك – فيما يشبه محاكم تفتيش في العصور الوسطى، كما يتلقى دعوة علية القوم متسابقين فخورين – في الوقت نفسه – إلى سهراتهم التي تجرى في قصورهم، بصفته نيكراسوف، وهذا خلافا لما تحقق للجريدة من رواج بما ينشره فيها من مذكرات مختلقة، أدت أيضا إلى نجاح مــدام بونومي في الانتخابات، وتنــازل الراديكالي بيردريير عن الترشــح أمامها. لكن الذروة تتبدى فــي تحديه القاطع لأي تهديد يمكن أن يتعرض له القناع الذي يتصور أنه يقبض من خلاله على خيوط اللعبة، وهو التحدي الذي يتكشف في المشهد الرابع مع سيبيلو.

فقد جاء ســيبيلو يرتجف رعبا من دوره الذي أداه في تثبيت القناع على وجه جورج، طالبا منه أن يطاوعه في تســليم نفسه إلى الشرطة والاعتراف بحقيقة اللعبة التي لعباها معا، بدلا من أن تفتضح بأيدي غيرهما، فيســوء موقفهما معا. ولا يلبث سيبيلو أن يكشف مصادر التهديد التي ألقت بالرعب فــي قلبه، فمن ناحية يتعقبه موتون بتوثيق صلته بديميدوف، وهو شــيوعي حقيقي منشــق على القيادة الســوفييتية، ويعيش لاجئا سياسيا في فرنسا، ويمكنه أن يفضح احتيال جورج، ومن ناحية أخرى أذاع نيكراسوف الحقيقي تصريحا تناقلته وكالات الأنباء، بشــفائه من مرض ألم به وأنه سيعود قريبا لمباشــرة مهام منصبه بين أعضاء الحكومة الســوفييتية. غير أن جورج لا يبالي بــأي من هذين التهديدين، مؤكدا تصوراته عن امتلاكه أعنة الموقف



بين يديه، فهـو كفيل بديميدوف وكذلك بموتون، لأنه ممسـك بهم جميعا: رجـال الصناعة وأصحـاب البنوك، قضـاة ووزراء، مسـتعمرين أمريكان ولاجئيـن سـوفييت، ويجعلهم - فيما يقول - يرقصـون. ومن ناحية أخرى لا يبالي بما أذاعه نيكراسـوف، وقد تدعمه وكالة تاس السوفييتية بأخبار ووقائع مصورة، إذ يستطيع ابتكار القصة التي تجعل من هذا الـ «نيكراسوف» مجرد شبيه له، أعد ليحميه من الاغتيالات، مثلما أعد أمثاله لحماية غيره من القادة السـوفييت. وفي سـياق الموقف نفسه يسـتدرج سيبيلو لتأكيد اعترافه بأنه نيكراسـوف ، وليس جورج النصاب، فلديه أوراق منحته إياها الحكومة الفرنسـية تؤكد هذه الهوية وتضمن بقاءها، وما على سـيبيلو إلا أن يطمئن إلى أنه أيضا في هذه المرة يجاري أكاذيب ويسـهم في أباطيل بضمان الحكومة.

ولكن لا تكاد ترتسم ملامح الذروة على هذا النحو، ويبدو جورج ممسكا بخيوط اللعبة التي صنعها بذاته واختياره النابع منها، حتى يتكشف أنه ينقاد إلى غير ما يشـتهي، وأنه إن كان يمسك بطرف من الخيط فالطرف الثاني في يد الآخرين الذين اتجهوا إلى توظيفه فيما يشاؤون مستجيبين لمشاعر الحقد التي تملأ نفوسـهم ضد الشـيوعية، وذلك في المشهد الخامس مع مدام كاسـتانييه ضاريـة الآلة الكاتبة رقيقة الحـال بترملها مرة وبإعالتها طفلة مريضة مرة أخرى، وكان تورط في الزج باسمها مع آخرين باعتبارهم ضمن عملاء السوفييت، وفي المشهد السابع مع فيرونيك التي يشعر نحوها بعميق فضلها عليه وعلى الحياة الاسـتثنائية التي يعيشها. فمدام كاستانييه فوجئت بجول بالوتان ومجلس الإدارة، وقد استدعوها لإعلانها بالرفت من الجريدة، وأن أسـبابهم عند نيكراسوف، ولكن جورج، وقد جاءته مستفسرة عن هذه الأسـباب واصفة إياه بالسـفالة، لا يستطيع أن يقنعها بأمر تورط فيـه، ولا يمكـن إلا أن يكون خطأ غير مقصود، ومـا لبث أن تبين أن حقد جول وأمثاله نحو السـوفييت ومن يتصورونهـم عملاء لهم، أقوى بكثير من المخاوف والتهديدات التي وضعهم تحتها، فجعلوه يتعدى على الفقراء لأول مرة في حياته بغير ما يشـتهي، وحين حاول أن يصطحب مدام كاسـتانييه



إلــى الجريــدة ليرفع عنها الظلم الذي حاق بها، يتبيــن ثانية أنه في قبضة الحراس ومــن يلقون عليهم الأوامر، فلم يأذنوا لــه بالخروج، فلم يملك إلا أن يحمل ســيبيلو بتهديده إلى جول، إما أن يعيد مدام كاستانييه والآخرين الذيــن رفتوا من الجريدة إلى عملهم وزيادة رواتبهم مع الاعتذارات الكافية، أو أن يتجــه إلى إكمال مذكراته في جريدة أخرى. على أن اكتشــاف جورج أن بعضا من أطــراف اللعبة بين يدي الآخرين الذين ظن أنه يهيمن عليهم، لــم يقتصر على هؤلاء الموظفين الفقراء الذين رفتوا بســببه من الجريدة، ولكن في مواجهته مع فيرونيك يتبين أيضا أنهم زجوا على لســانه باسمي روبير ديفال وشــارل مايســتر الصحافيين في الجريدة التقدمية التي تعمل فيهــا فيرونيك بين العملاء الذين يتقاضون أموالا من الســوفييت، تمهيدا لإجــراءات محاكمتهما بتهمة الخيانة العظمى، أي أنهــم لم يعودوا - فيما تقــول له فيرونيك - يرضون بما يمدهم به من أكاذيب، بل راحوا ينســبون إليه أكاذيب لم يقلها.

والواقع أن الزج باسمي روبير وشارل على هذا النحو، لم يكن إلا البرهان العملي على مفهوم الشــر الذي يمارســه جورج أو - علــى الدقة - يوظف فيــه بما يختلقه من أباطيل من دون أن يدري بانعكاســاته، وهو ما اتجهت فيرونيك إلى كشــفه له، فجول وزمرته من أبواق الرأســمالية، يشترون من هذه الأكاذيب لتيئيس الفقراء وإحباط الطبقة العاملة بحيث يرون المجتمع البرجوازي بكل ما فيه من مســاوئ، أفضل عالم ممكن. لقد كان جورج في ضوء الفلسفة الوجودية بسماتها الأولى، يتصور أن لعبتـه مجـرد مزاح لا خطر فيه، ولا غرض منه إلا أن يفيد من هؤلاء الأغنياء الذين يبيعهم - كما اعتــاد - الهواء والأوهام التي تتغــذى على أحلامهم وتطلعاتهم، من دون أن يبالــي بالنتائج بوصفها عدما خارج الموقف المتعين، وخارج خياراته، ولكن فيرونيك بأطر معرفتها الماركسية التي طورت فكر سارتر نفسه، كشفت له زيف هذا التصور، وحذرته من اعتقاده أن يملك كل خيوط اللعبة بين يديه، وإن راح يقاوم - بشــكل لا يخلو من هزل مرير - ذلك الكشف الذي يخلخل تصوره عن نفســه في الموقف، واعدا بإجبار الجريدة أن تنشــر تكذيبا لما



نشـــرته على لسانه بشـــأن روبير وشـــارل، لكن ما لبث - وفي ذروة نشوته الجريحة بنفســـه وبتصور أنه يمتلك خيوط اللعبة بين يديه - أن بوغت في محادثة تليفونية مع سيبيلو، أن جول رفض أن ينصاع لمطلب إعادة الموظفين الذين رفتهم من الجريدة، وهو الموقف الذي يدعم الاكتشاف ويمهد للتحول في صورته وفي علاقته بجماعة «جول/مجلـس إدارة الجريدة/الداخلية/ المخابرات/ أمن الدولة»، التي كان على وفاق معها.

٦ - التحولات الدرامية والعودة إلى نقطة الصفر

في المنظر السادس يتبين التحول الدرامي الذي يحيق بصورة جورج، في إطار الاستثارة التي أمده بها سواء موقفه مع مدام كاستانييه أو فيرونيك ، وهي الصورة المحاصرة بعديد مـــن القوى المتناقضة والمتوافقة معا، وإن حرص ســـارتر - من جانبه - على أن يضفي عليها لمســـات هزلية متنوعة، للتهكم منها. وقد احتشـــدت هـــذه القوى في قصر مـــدام بونومي محتفلة بفوزها الوشـــيك في الانتخابات، بعدما تنازل بيردريير عن ترشـــيحه، وبدا في الحفل - على نحو لا يخلو من هزل - مرعوبا ينخرط في البكاء والأسف على ماضيه مبديا شكره وتقديره لرجال صحيفة «سوار آباري» الذين فتحوا عينيه على ما نشـــروه عنه مســـتندين إلى نيكراســـوف. ففي الحفل يلتقي جورج وجول بالوتـــان ومجلس إدارة الجريدة، الذين ينبغي أن يفرض عليهم إعادة الموظفين المفصولين بســـببه من أعمالهم، وإعلان تكذيب لما نشـــر على لسانه بشأن «روبير - شارل»، فيبرئ ساحته من الاعتداء على الفقراء وإيذاء الأبرياء، ويؤكد لنفســـه أنه لم يـــزل قابضا على خيوط اللعبة جميعا بيـــن يديـــه. ويلتقي موتون الذي فرض نفســـه على الحفـــل وقد اصطحب ديميدوف الشـــيوعي المنشـــق عن الســـوفييت، ليمزق قناع نيكراسوف عن وجهه، بعدما اســـتطاع أن يطيح به من رئاسة مجلس إدارة الجريدة، ويسيء إليه وإلى ســـمعته ويثير شـــكوكه في نفسه بوصفه عميلا للسوفييت طالما خدم سياســـتهم وحقق أغراضهم، ولو على كره منه، ومن دون أن يعي ذلك. ويلتقي جوبليه مفتش الشـــرطة الذي يـــود إلقاء القبض عليه بوصفه جورج



الأفـــاق الهارب، غير أن جوبليه يجد تحذير «شـــابوي - بودوان» مفتشـــي الدفاع الوطني المكلفين من رئاســـة الجمهورية الفرنسية بحماية جورج من أي محاولة اغتيال محتملة، أو إيذاء بصفته نيكراسوف، وهو التحذير الذي يستحيل إلى منافسة هزلية. ولا يجد جورج في هذه المرحلة إلى جانبه غير سيبيلو حليفه الجبان الذي يستطيع أن يبعد عنه جوبليه مؤقتا في المشهد التاســـع، وإن بدا مرعوبا من اكتشاف حقيقته، ويوشك أن يبادر بالاعتراف بها، مخففا من وطأة مسؤوليته عما تداعت إليه في الواقع، على الرغم من عظم ما أفاد منها.

والواقع أن جورج بدا في المشـــاهد «١٢، ١٣، ١٤» وكأنه استعد لمعركته جيدا مع ديميدوف بدراســـة شـــخصيته وتاريخه ووضعه كشـــيوعي منشق التهمـــه الغرب، فيقنعه بأن موتون انتزعه من النســـيان كي يفســـد به فقط حياته، ليعيده إلى النســـيان مرة أخـــرى، وأولى به أن يلتزم الصمت ويطيب نفسا بانضمامه إلى حزبه الذي لا يضم أعضاء سواه، فيشهد ديميدوف بأنه نيكراســـوف، وتبوء خطة موتون بالخســـارة، بل ويقبض عليه مفتشا الدفاع الوطنـــي بوصفه متآمرا، ويوظف ديميدوف من ناحية ثانية في خطة هربه، عقـــب التحول الواضح في صورته، عائدا إلـــى نقطة الصفر بوصفه جورج المحتال المطارد.

إن جورج على مستوى آخر، لم يستطع في المشهد الحادي عشر أن يقنع جول أو نيرســـيا رئيس مجلس الإدارة الجديد، بإعادة الموظفين المرفوتين إلى عملهم بعد أن وصمهم بنفسه بالشيوعية، ولم يستطع أن يفرض عليهما نشر تكذيب لما نسباه إليه بشأن الصحافيين «شارل مايستر - روبير ديفال» والعضوين البارزين في الحزب الشـــيوعي، باعتباره ســـطرا صغيرا لا يلفت نظر أحد، ولن يتذكره بعد قليل أحد ممن قرأوه، ويحتجان بأن نســـبة توزيع الجريدة عادت إلى الانخفاض، فقد أصبح ما يظنه أســـرارا مثيرة، مملا لا يصلح شهية القراء، فبدا نجم جورج في قناع نيكراسوف، إلى الأفول، وبدت خدماتـــه للجريدة بضاعة نال أجرها، وهي الآن تصادف الكســـاد. غير أن الســـطر نفسه لفت نظر مؤسسة الدفاع الوطني التي اتجهت لحماية جورج،



وإذا بمفتشيها اللذين قبضا على موتون يطالبانه في المشهد الـ «١٥» بتأكيد الشهادة ضدهما - أي شارل وروبير- باعتبارهما أشاعا عامدين روح الهزيمة بين مواطني فرنسا المسكينة، ولا يبالي المفتشان بما يقول «جورج»، واصفا السطر بالخبر الذي نسب إليه من دون أن يقوله، ولا بمحاولة إفلاته مدعيا أنهما ربما كانا من عملاء وزارة الدعاية أو الاستعلامات أو الخارجية الذين لا علم له بهم لأنه في الداخلية، فالصحافيان شيوعيان وبالتبعية عميلان سوفييتيان ويمكن أن يشهد عليهما مرتاح البال والضمير، وإلا تهدد بالقبض عليه بتهمة أنه عميل أرسله السوفييت، أو سلماه إلى البوليس السوفييتي ليقضي وقتا جد عصيب، جزاء ما نشر على لسانه من دعاية ضد الحكومة والنظام والسوفييتيين. ويبدو بوضوح أن «شابوي - بودوان» يعرفان حقيقته التي يواجهانه بها، حين مضى متحديا وطالبهما بترحيله إلى الحدود، بل ويبالغان في إهانته بوصف النصاب ليس سوى خرقة وامرأة، ومن اليسير إن لم يذعن لهما خلال أسبوع أن يسلماه إلى جوبليه.

وعلى هذا النحو، تحولت صورة جورج كلية، وتأكد له ما كشفته فيرونيك متجردا من قناعه ومجده وسطوته التي تصورها في نفسه، فإذا به محض تاجر بضائع سرعان ما كسدت في سوق الصحافة المضادة للشيوعية والسوفييت، وشاهد زور حقير يستخدمه الأمن الوطني في تلفيق قضية تزج ببريئين في غياهب السجون بتهمة الخيانة العظمى. وفي هذا السياق فإن جورج في المشهد الـ «١٦» لا يفكر - وهو لم يزل يمتلك إرادته واعيا بحريته وقدرته على الاختيار في إطار الموقف «هنا - الآن» - إلا في الترحيب بنفسه وقد عاد إليه اسمه، وتوديع قناع نيكراسوف وعالمه، والتماس الفرصة المواتية للفرار مجددا. وفي المشهدين الـ «١٧» والـ «١٨» يستخدم ديميدوف آخر أوراقه التي صنعها في عالم نيكراسوف، ويدفعه إلى مزيد من الشراب، حتى يفقد سيطرته على نفسه، ويثير صخبا وهياجا بين المدعوين في الحفل، يتيح له فرص الفرار من قصر مدام بونومي، والعودة ثانية إلى وضعية المطارد، وإن تكن مزدوجة هذه المرة، تضم مفتشي الأمن الوطني «شابوي - بودوان» اللذين يريدان منه استمرار قناع نيكراسوف من ناحية، ومفتش الشرطة جوبليه الذي يريد منه وجه جورج دي فاليرا من ناحية أخرى.



٧ – النهاية الدرامية وإعادة ترتيب الأوراق

جورج في مهربه هذه المرة يشـعر شـعورا عميقا بالتضامن مع «شارل – روبير» الصحافيين الشـيوعيين اللذين يود رجال الأمن الوطني لو دفعوه إلى الشـهادة عليهما، ولكنه – وإن كان أفاقا اعتاد أن يحتال على الأغنياء ليشـق طريقه بينهم سـاخرا منهم متهكما عليهم بائعا لهـم الأوهام التي تطيب لها نفوسـهم – ليس نذلا بإمكانه أن يغدر ببريئين لا ذنب لهما عنده على الأقل، ويعيش قرير النفس والضمير. ولم يفكر في أن هذا الشـعور بالتضامن يمكن أن يزج به في الطرف الآخر من الصراع الأيديولوجي السـائد في عالمه، أو أنـه يمكنه الإفلات طويلا من قبضة القوتين اللتين تطاردانه، فقط يرجح أن الأمن الوطني سيكون أسرع إليه من الشرطة، وأنه لن يستطيع أن يصمد بين أيديهم سـواء أودعـوه في فيللا معزولة بضاحية بصفته نيكراسـوف ضيف فرنسـا، أو انهالـوا عليه ضربا، فهو – فيما يقول – فنـان بطبعه ولا قبل له بالقوة الجسمانية[٢]، وربما اضطر إلى أن يعترف لهم بما يريدون ويأباه عليه – في الوقت نفسه – ضميره. وفي هذا السياق، يتجه للقاء فيرونيك في بيت أبيها، باعتباره لقاء الفرصة الأخيرة قبل أن يلقى القبض، لأنه يريد أن تكون آخر وجه يراه ويتذكره، كما أنها تسـتطيع بصلتها بالصحافيين أن تحذرهما ممـا يدبر لهما، وأن تقنعهما بالفرار منه، فإن ضعف وأجبر على الغدر بهما، كان الحكم عليهما غير ذي بال مادامـا بعيدين عن قبضة الأمن الوطني.

وعلى هذا النحو يتشكل المشهد الأول من المنظر السابع، غير أن جورج بهذا التفكير المنطقي الذي يبدو نبيل الغاية في الوقت نفسه، لا يدرك أنه اقتحم عالم الشـيوعيين الذين لا يعرف – من ناحية أخرى – كيف يتخذون خياراتهم ويديرون مصالحهم وعلاقاتهم بالقوى التي تضطهدهم متمثلة في النظام، والقوى التي يعنون بها متمثلة في الطبقة العاملة وحلفائها، ولا أنهم

(٢) راجع: سارتر، جان بول – نيكراسوف – المنظر٧/ المشهد ١.



يعمقون محنته ويبدلون خياراته المألوفة أو ما يراه فلسفته البسيطة التي كانت تعينه على الحياة[٤]، ربما لأنها كانت مستقاة من فهمه للنظام السائد ومتسقة معه، وإن بدت تحايلا عليه. فيباغت بتأكيد فيرونيك أن «شارل - روبير» لن يهربا، ولن يباليا بتحذيره، وأن رفاقهما لن يقوموا إلا بتنظيم المظاهرات والمؤتمرات الشعبية، وتعليق ملصقات التنديد، فلا يستطيع إلا أن يصف ذلك بالبلاهة والجنون والخطأ الشنيع الذي لا يكتم شعوره بالاشمئزاز حياله، والأسف في الوقت نفسه على الشابين المسكينين اللذين يحس بالتضامن معهما، بينما يضحي رفاقهما بهما. وإذا بـ «روبير ديفال» نفسه، وقد اتصلت به فيرونيك تليفونيا، يعرض عن التحذير ويأبى الفرار على الرغم من أنه عرف تماما تجربة السجن لمدة خمس سنوات وخرج مريضا بصدره، وإذ يدهش جورج تفسر له فيرونيك بأن ديفال يعني تأكيدا بحياته ويود إنقاذ جلده، فهذا أمر طبيعي، لكنه لا يشغل بنفسه كل يوم، فهناك أيضا حزبه ونشاطه وقراؤه، فإذا أراد أن ينقذ كل ما هو كائن فيه، فلا بد أن يبقى.

وهكذا لا يستطيع جورج أن يلتمس عونا من فيرونيك، ولا من صاحبيها، لينقذ ذاته من خيار أن يكون حشرة أو خائنا كيهوذا أو مرشدا، إذا تهالك جسده مع التعذيب واعترف بما يأباه ضميره، فلن يكون جزاؤه آنئذ إلا بصاق الاحتقار، ويظل سيبيلو يسود صفحات «سوار آباري» بتصريحات نيكراسوف الزائفة، وقد تعلم كيف يدبجها ويختلقها، وعلى جانب آخر يعرف الشيوعيون كيف يجعلون ضحاياهم مسيحيين وشهداء منتصرين. والحقيقة أن جورج يأبى هذا المصير الذي يجعل منه أداة لكتابة التاريخ بعدما كان أداة في يد الحقد، ولا يستطيع أن يهرب، ويعود - لو نجا - لما كان عليه، فقد دهمه الجد على نحو بالغ - فيما يبدو - ولا يريد الانتحار لينجو من مأزقه، كأن الجد الذي ولد بإحساس التضامن العميق مع الآخر البريء، أضفى على حياته معنى وقيمة، ولو بشكل غامض عليه أن يجلوه بوعيه ويستمده من أغوار ذاته.

---

(٤) راجع: سارتر، جان بول - نيكراسوف - المنظر ٧/ المشهد١.



عند هذه النقطة من تطور تفكير جورج في موقف النهاية، وفيما تكشف له منه يستجير بعبقريته لتعيد ترتيب الأوراق فيقبض ثانية على مصيره بين يديه ليصنعه بنفسه لنفسه، من دون أن ينبذ شعور التضامن ليس مع مدام كاستانييه وزملائها الذين فصلوا بسببه من الجريدة، ولا مع بيردريير الذي سحب ترشيحه من الانتخابات، فقد يعود إليها ويستأنف معركته ويحتفظ بما كان له من أصوات في دائرته، ولا مع «شارل - روبير». إنه يستطيع أن يدعو فيرونيك لمثل ما دعا إليه أباها من قبل، فيطلب منها أن تبحث بين رفاقها عن واحد يمكنه أن يخبئه عنده، وأن تأتيه ليدلي لها بأحاديث صحافية ليس بصفته نيكراسوف ولكن بصفته جورج، سيزيح فيها الستار عن أسرار لا شك فيها، تخص قناع نيكراسوف وكل من تعاملوا معه وأفادوا منه وأعلوا شأنه وأرادوا استنزافه إلى آخر أكذوبة ممكنة فيه، إنهم لن يجسروا على تكذيبه وملاحقته، فإن دهموا الجريدة اليسارية وألحوا في ملاحقته فليكن هو الشهيد لا يهوذا الخائن.

ولا يكاد جورج يعيد ترتيب أوراق النهاية على هذا النحو الذي توافق عليه فيرونيك، حتى يحتاج سارتر بدوره، لأنه يمنحه جرعة حياة استثنائية مرة ثانية، من دون أن يبالي بما تتخذه من طابع ميلودرامي لم يخل من هزل واضح. فيدهم مفتشا الأمن الوطني جورج، وقد اصطحبا ممرضين من مستشفى الأمراض العقلية من ناحية، وجوبليه من ناحية أخرى، ولكنهم يتشاجرون عليه ويتنافسون، حتى كاد يتمزق بينهم لولا أن يأتي ديميدوف - مصادفة - في نوبة سكره العنيفة وهياجه باحثا عمن دعاه رفيق كفاحه، فيثير فوضى ويطيح بهم واحدا إثر الآخر، على نحو يمنح جورج فرصة الفرار مع فيرونيك من النافذة. وإذا كان سارتر احتاج أن يمنح جورج جرعة حياة جديدة على هذا النحو، فقد احتاج أيضا إلى أن يعيد ترتيب الأوراق على الجبهة الأخرى في الجريدة، بشكل مماثل لما كانت عليه في البداية، وكأنه يرسم بنية مغلقة تعيد إنتاج نفسها في الزمن، وإن تنوعت



أشــكالها وأطرافها. ففي المنظر الثامن والأخير يعاني رجال جريدة «سوار آباري» محنة إدراك أن نيكراسوف لم يكن إلا الأفاق جورج دي فاليرا، تلك الخدعة التي انجرفوا وراءها طويلا، والفضيحة التي ســيتعرضون لها حين تتناولها الصحف في الغد، خصوصا بعدما يعلنهم المفتشــان بنجاح جورج في الإفلات منهما مع ابنة سيبيلو، وما ينتويانه. إنهم يبحثون بينهم عن كبش فداء يتحمل مســؤولية الخدعة أمام القراء، فلا يجدون غير جول بالوتان، وبالطبع يتحملون عودة موتون رئيســا لمجلس الإدارة الذي كان سيبيلو قد اعتــرف له بالتفصيلات، فلم يجد ســواه بديلا علــى مقعد جول، ولا يلبث ســيبيلو - في مشهد آسر لا يخلو من دلالة على إعادة إنتاج بنية العلاقات الرأســمالية لنفســها - أن يعيد ســيرة جول في إدارته للجريدة وعلاقاته بالمحررين، مرددا أقواله نفسها، ومستعدا لتنفيذ توجيهات موتون بأكذوبة أن نيكراســوف اختطفه الســوفييت، وأعادوه إلى البلاد بعد اثنتي عشــرة ساعة قضاها المسكين في سفارتهم!!

ربما تأثر ســارتر فــي تصميم النهايــة الدرامية على هــذا النحو، بمســرح العبث الذي أبدى إعجابا بالغا به، ذلك المســرح الذي اشتهر بميلــه إلى الدوائر المغلقة blocked rounds التي تعود فيها النهاية إلى نقطــة البدايــة مرة ثانية، غير أنه - في الوقت نفســه - لا يغفل التنوع variety الــذي يكاد يخفي المماثلــة، ويمنح فضاء النص انفتاحا زائفا، كأنه يستشرف مفهوم «آليات الانضباط الذاتي» في البنية، التي تجعلها قادرة على إعادة إنتاج نفســها في الزمن، ذلك المفهوم الذي سيؤسسه الفكر البنيوي في الستينيات.

* * * * *

هذه السلسلة:

للكويتيين تجربة مبكرة في المسرح، فقد أدرك رواد العمل الثقافي المستنيرون أهمية دوره الحيوي وما يمكن أن يقدمه من تطور وتنمية لمجتمعهم، وعلى الرغم من اقتران انطلاقة المسرح الأولى بالمؤسسة التعليمية (المدرسة) مع بداية ثلاثينيات القرن الماضي، فإنه لم يكن مسرحا تعليميا تربويا فقط، بل كان مسرحا يشارك بنصوص جادة، قدم بعض قضايا المجتمع والحياة العامة إلى جانب تناوله أمجاد العروبة وتاريخها الإسلامي، وامتدت عروضه خارج أسوار المدرسة خلال العطلات الصيفية وخارج الوطن بصحبة الدارسين في القاهرة في بيت الكويت.

وظلت الدولة على اهتمامها بهذا الفن وتشجيعه ورعايته بالتمويل والإشراف بعد انتقال مسؤوليته إلى دائرة الشؤون الاجتماعية، وتخصيصها إدارة للمسرح والفنون ورعاية شؤون الفرق المسرحية، حتى انتقلت إلى وزارة الإرشاد والأنباء (وزارة الإعلام في ما بعد)، وتطور معهد الدراسات المسرحية إلى معهد عال لدراسة الفنون المسرحية أكاديميا.

وفي سبيل تنمية الوعي الفني المسرحي وإثرائه فكريا وأدبيا، ارتأت الوزارة إصدار ونشر سلسلة من المسرحيات العالمية المترجمة، لكبار الكتاب المتميزين على الساحة المسرحية العالمية، وأن تكون ترجمتها للعربية عن اللغة الأصلية للنص المسرحي، وتخضع للتحكيم العلمي، وكان يشرف عليها الشاعر الراحل أحمد العدواني، والدكتور محمد موافي أستاذ الأدب الإنجليزي، والمسرحي الكبير زكي طليمات، وصدر العدد الأول من سلسلة «من المسرح العالمي» في أكتوبر عام ١٩٦٩ يحمل عنوان مسرحية «سمك عسير الهضم» للكاتب الغواتيمالي مانويل غاليتش، وترجمة

الدكتور محمود علي مكي، وتوالى صدورها إلى أن بلغت ٣١٣ عددا حتى عام ١٩٩٨، بعد أن انتقلت مسؤولية إصدار السلسلة إلى المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، وقد تناولت نحو ٤٢٠ مسرحية عالمية (مع ملاحظة أن بعض الأعداد قد اشتمل على أكثر من مسرحية)، ولكل مسرحية مترجم ومراجع ودراسة تحليلية فنية ونقدية شملت خصائص النص وكاتبه.

عندما قرر المجلس الوطني في نوفمبر ١٩٩٨ دمج هذه النصوص المسرحية العالمية المترجمة ضمن نصوص لأعمال أدبية أخرى مختلفة بين القصة والرواية وأدب الرحلات والسير الإبداعية، وصدرت تحت عنوان «إبداعات عالمية»، وبعد مضي تسعة أعوام على ذلك، أبدى كثير من المهتمين بشؤون الحركة المسرحية في البلاد وخارجها الشوق إلى إعادة طباعة بعض هذه النصوص المسرحية الإبداعية المختارة.

لقد اعتبرت سلسلة «من المسرح العالمي» أضخم مشروع قومي عربي من منظور الترجمة والتركيز على مجال فني متخصص واحد، وإنه ليسعد المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب إعادة هذا الكنز المفقود إلى أيدي عشاق المسرح وهواته في الكويت ومختلف أرجاء الوطن العربي، في هذا الإصدار الثاني الذي بدأ بإعادة طبع رائعة شكسبير «العين بالعين».

بدر سيد عبدالوهاب الرفاعي

سعر النسخة

الكويت ودول مجلس التعاون الخليجي	نصف دينار
الدول العربية الأخرى	ما يعادل دولارا أمريكيا
خارج الوطن العربي	دولاران أمريكيان

تسدد الاشتراكات مقدما بحوالة مصرفية باسم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب وترسل على العنوان التالي:

السيد الأمين العام

للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص. ب: **28623** - الصفاة - الرمز البريدي **13147**

دولة الكويت



كتب سارتر دراما «نيكراسوف» خلال عام ١٩٥٥، وظهرت في ١٩٥٦، وهي بالتالي تنتمي إلى المرحلة الثانية من أعماله التي يتكشف فيها البعد الاجتماعي في مستويين، أولهما: مستوى بناء الشخصيات الواعية بماضيها، وما تولد عنه من معرفة متواترة بالأنا والآخر، لم تؤد إلى تشيؤ الوعي، أو تفقده قدرته على تجاوز نفسه في صميم تطلعه للمستقبل، وثانيهما: مستوى الموقف الابتدائي وتطوره، وما يبنيه من علاقات عمل وأفكار مراوغة، محتويا - في الوقت ذاته - سياق الصراع بين الكتلة الاشتراكية (ممثلة في الاتحاد السوفييتي) والكتلة الرأسمالية (ممثلة في أمريكا)، وهو الصراع الذي عُرف بالحرب الباردة. فلا يكاد الأفاق «جورج دي فاليرا» يحظى بجرعة حياة استثنائية، مُفلتا من محاولة انتحاره وقبضة الشرطة، حتى يخترق صحيفة يمينية موالية للحكومة، بصفته «نيكراسوف» وزير الداخلية السوفييتي ا
المشهد السياسي، بما في جعبته من أسرار النظام وفضائحه ال
يبوح بها، فلا يلبث أن يتبوأ مكانة مرموقة، ويحظى بحـ
المؤسسات الحاكمة، وهو في الحقيقة لا يملك إلا الأكاذيب.

ISBN: 978 - 99906 - 0 - 271 - 5
رقم الإيداع: (٠١٦/٢٠٠٩)